الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية كلية الشريعة وأصول الدين والحضارة الإسلامية

قسم الدعوة والإعلام والاتصال

باعزيز بن عمر

حياته وفكره الإصلاحي

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في الدعوة والإعلام والاتصال

إعداد الطالب

مراح محمد

إشراف

الأستاذ الدكتورميلود سفاري

1425 - 1426 هـ

2004- 2005م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ارتبط نهوض الأمم وصعودها في مراقي التطور والبناء الحضاري، بأعلام في المجالات السياسية والعسكرية والثقافية والدينة، وخُصّت الأمة الإسلامية بأعلام في مجال الدعوة والإصلاح المنبثقين من تعاليم الإسلام ومبادئه؛ ليكونوا أبرز دعاة النهوض، والانعتاق من تسلط الأجنبي، والتخلف بشتى صوره .

ورغم رزء الاستعمار الذي حل بالجزائر، فقد رُزقت بمصلحين ومثقفين، ومفكرين أوقفوا حياتهم، وجهودهم الفكرية والعملية على إصلاح ما بالبلاد والعباد، بعد أن كاد الكيان الجزائري في نواحيه (التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية) أن يضمحل ويزول ، فأدى هذا إلى ظهور أولئك المصلحين الذين انتظمتهم "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" . فطار ذكر أعلامها في الآفاق، وخضعت جهودهم الفكرية والعملية الإصلاحية للدراسات العلمية المتخصصة وغير المتخصصة لكن بقي إلى جانب أولئك الأعلام القادة، مصلحون آخرون يمكن الاصطلاح على تسمية الكثيرين منهم بالتلاميذ أو الأتباع أو الجيل الثاني- باعتبار المنزلة لا الزمن - للرواد والقادة، لم يكن لهم الذكر نفسه الذي كان لأولئك، مع مالهم من اسهامات إصلاحية (فكرية أو عملية)، نرى أن هذه الحركة الاصلاحية لا تستوفي حقها من الدراسة والبحث، ومانقتضيانه من اعتبار بالتأسي والاتباع أو النقد، إلا بتتبّع وبحث آثار هؤلاء (الأتباع) أو (الجيل الثاني)، للوقوف على حقيقة ما قدموا في ميدان الإصلاح الذي خاضت غماره الجمعية، وجوانب الإضافة، والإبداع، والتميز التي قد تكون، ضمن طروحاتهم الإصلاحية .

في هذا السياق يندرج بحثنا هذا حول باعزيز بن عمر، فما هي الظروف التاريخية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية) التي شكلت شخصيته وفكره؟ ومن هو باعزيز بن عمر؟ وما هي مضامين فكره الإصلاحية في المجالات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتربوية والثقافية ؟ وما الذي حملته من تميز، وإبداع حقيقيين في حقل الإصلاح الواسع، أو ماموقعها في سياق الفكر الإصلاحي ؟

*وأسباب اختياري هذا الموضوع هي :

أولا : ما لاحظته وأنا أتصفح بعض جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (خاصة جريدة البصائر) من حضور كثيف ومستمر لمقالات باعزيز بن عمر، التي أتى بعضها في صورة افتتاحيات البصائر، واستقلاله بباب بها(في مجتمعنا الجديد)، مما رغبني في تتبع فكره وآرائه الإصلاحية .

ثانيا: تنوع موضوعات مقالاته المذكورة، وارتيادها المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية، الأمر الذي جعلها مادة مناسبة لدراسة نموذج للفكر الإصلاحي .

ثالثا : التركيز في مقالاته على القضايا الاجتماعية، مما دعا أحد الدارسين لاعتباره أكتب كتاب المقالة الاجتماعية • في الصحف الجزائرية في تلك الفترة، ولهذا جاءت دراستنا لفكره الاجتماعي أوسع فصول الدراسة .

رابعا: تناول إسهامات (فكرية / عملية) جيل التلاميذ/ الأتباع أو الجيل الثاني من رجال جمعية العلماء المسلمين، ضمن دراسات أكاديمية خاصة في مجال الدعوة .

خامسا: الدعوة التي تضمنها مقال للدكتور عمر بن قينة •• أهاب فيه بأهله أن يجمعوا تراثه إنصافا له ولمادة الحركة الثقافية، في فترة صعبة من تاريخنا الجزائري الحديث، ونحن وإن لم نكن من أهله نسبا، فنعُد أنفسنا من أهله في الدين والعلم والانتماء الوطني والثقافي، والحضاري .

سادسا: الصمت المطبق حول الرجل، خاصة شخصيته وحياته وجهوده في الإصلاح، إلى الحد الذي اعتبر فيه الدكتور بن قينة في مقاله المذكور، أن هذا الصمت مؤامرة وراءها قوى العمالة للمستعمر البائد.

• انظر : مرتاض، عبد المالك : **النثر الفني في الجزائر1934ـ1954.(د.ط)**؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،1983، ص 113.

•• بن قينة، عمر."**ابن ضحية مؤامرة الصمت".المنهل،دارة المنهل المجلد 59،السنة63،العدد540،المحرم1418هـ مايو1997م.ص.ص126ـ130.**

سابعا : دراسة باعزيز بن عمر (حياته وفكره الإصلاحي) موضوع جديد بكر، لم يُتطرق إليه من قبل، خاصة ضمن دراسة علمية، وقد تأكد لنا هذا بعد أن كان احتمالا راجحا عند اختيارنا للموضوع .

*أهمية الموضوع : تكمن في الاعتبارات الآتية :

1. الكشف عن جانب من جوانب التاريخ الثقافي الجزائري الحديث المرتبط بتاريخ المقاومة الثقافية للظاهرة الاستعمارية في أحد أبشع ملامح هوية الفرد والمجتمع الجزائريين .
2. كونها تدخل في إطار عملية إزالة التراب، وإماطة اللثام عن تراثنا الثقافي المعاصر، ورواده الذين خاضوا جهادا مريرا لأجل، أن يحفظوا على الأمة هويتها الثقافية وذاتيتها الحضارية .
3. قراءة تاريخ وجهود أحد رجال الإصلاح في الجزائر، وهذا بوضعها في سياقها التاريخي والاجتماعي .

* أهداف الدراسة هي :

أولا : التعريف بالسياق التاريخي الحضاري، الذي ظهر فيه باعزيز بن عمر .

ثانيا : الترجمة لباعزيز بن عمر، بتتبع مراحل حياته البارزة، حسب ما أتيح لنا من وثائق وخاصة تعليمه، وأبرز الشخصيات التي أثّرت في مسلكه الفكري والسلوكي، وأهم خصائصه الخلقية .

ثالثا : تحليل فكره الإصلاحي، بعد تصنيفه إلى المجالات : السياسية والاقتصادية، الاجتماعية والتربوية الثقافية .

رابعا : وضع جهوده الفكرية ضمن إطارها الحضاري، أي ضمن الصلة بين (التقدم والانتماء الثقافي)، في مشروع النهضة الذي حملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لواءه، وعملت على تجسيده في الواقع الاجتماعي الجزائري

خامسا : الكشف عن بعض أوجه الحياة الاجتماعية في الجزائر، إبان الحقبة الاستعمارية، وهذا بتأثير المقالات المنصبة على الحقل الاجتماعي الذي أولاه باعزيز بن عمر عناية بارزة .

سادسا : تقويم ونقد فكر باعزيز في سياقه التاريخي، لاعتقادنا ألا فائدة حقيقية تُرجى من دراستنا لماضينا – ومنه الفكر الإصلاحي- إذا غاب عنها النقد الموضوعي، أحد أقوى عوامل التقدم والاستقامة الحضارية، ولهذا كان النقد عماد التطور الثقافي والمعرفي في الحضارات أيام ازدهارها، والقرآن الكريم إمامنا في هذا المجال، فلطالما تناول مسار الدعوة الإسلامية بالنقد والتقويم، إلى جانب الهداية التأسيسية ابتداء قبل الحركة و الفعل . وأرى مخلصا أن أمتنا أحوج ما تكون في المنعطفات الخطرة التي تمر بها للممارسة النقدية، خاصة ماضيها القريب والبعيد الذي كثيرا ما تشبثت به بصورة غير واعية، ثم ما قيمة البحث العلمي في غيبة النقد العلمي الموضوعي ؟!

*أما الصعوبات التي اعترضتني، ولا أريد ذكر الذاتية منها، رغم شدة وطأتها علي وإعاقتي أحيانا كثيرة عن السير الطبيعي في البحث، رغم أنها كانت مما يصادم شروطه المنهجية (الموضوعية والنفسية)، حتى كادت تثنيني عنه.

أماالموضوعية منها، فأبرزها هي :

أولا : الندرة البالغة لوثائق تتناول شخصية – وحتى فكر- باعزيز بن عمر لا تفصيلا، ولا بالقدر الذي يساعد على بناء ترجمة متكاملة له، وقد كان لهذا العامل الأثر البالغ على الدراسة خاصة الترجمة له، مما ألجأنا للاحتمالات، والترجيحات إن أسعفتنا القرائن، فبقيت أكثر جوانب حياته-في تقديرنا- مظلمة .

ثانيا: قلة التعاون الذي لاقيته من أهله، فرغم وجود بعض الوثائق الهامة للدراسة في حوزتهم*، فإثر جمعها وإعدادها للنشر، وبعد تسويف طويل ممن له صلة بهم، أُخبرت أن العائلة قررت ألا أحصل على شئ منها، إلا بعد نشرها!!**

ثالثا : تعذر الاتصال والاستفادة من أكثر المقربين منه، إما بسبب المرض ثم الوفاة كالشيخ أحمد سحنون، أو الشيخوخة وأعراضها كالشيخ عبد الرحمن الجيلالي.

---

*خاصة كتابي : الرحلة الحجازية، وذكرياتي مع ابن باديس والابراهيمي .

** تفضلوا – مشكورين- بإهدائي مسرحية الجزائر الثائرة-بعد طبعها-، ولازلت أنتظر ما تبقى من هدايا فكره

وبما أن هذه الدراسة العلمية هي الأولى من نوعها التي تناولت حياة باعزيز وفكره الإصلاحي، فلا أرى ضرورة التعرض لبعض ما كتب حوله، رغم استفادتي منها* لقلته و لأنه لا يخرج عن كونه عرضا عاما لجوانب من حياته و فكره، مما يتناسب مع الأهداف التي كتب لأجلها .

وركزنا في دراسة فكر باعزيز بن عمر أثناء الفترة الاستعمارية خاصة، لوفرة انتاجه آنذاك، دون إهمال لما أنتجه بعد الاستقلال على قلته، وفي كل الأحوال كان رائدنا طلب الفكرة الإصلاحية هنا أو هناك .

*أما أهم مصادرنا، بالنسبة أولا: للترجمة، اعتمدنا أسلوب المقابلة الشخصية، (أو عن طريق الهاتف إذا تعذر اللقاء المباشر)، مع بعض معارفه سواء كانوا من أهله أو غيرهم ممن تبقى من أفراد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . كما كنا نستخلص من مقالاته إشارات دالة على مرحلة أو موقف، أو خاصية من خصائص شخصيته، فكانت هذه وتلك عُدتنا في ترجمتنا له .

وبالنسبة ثانيا لفكره الإصلاحي، فأسعفتنا مقالاته الكثيرة المنشورة خاصة في (الشهاب) و(البصائر) لرصد وتحليل فكره على نحو ما جاء في الدراسة . وجدير بالذكر أن مقالات (الشهاب) عددها ثلاثون مقالا اعتمدناها جميعا تقريبا إلا ما كان منها مكرر الأفكار أو لا صلة له بموضوع الدراسة كتغطية حدث .أمّا مقالات البصائر التي استطعنا الحصول عليها فكثيرة (بضع وثمانون مقالا) مقالا، ولتغطيتها مجالات دراسة فكره ووفائها بالغرض اكتفينا بها، فكانت بمثابة العينات. وما تبقى من مصادر، فهي مساعدة لرسم السياق التاريخي الذي ظهر فيه باعزيز، ولوضع فكره في موضعه من الفكر الإصلاحي، أو الكشف عن هذا الملمح أو ذاك.

وقد اتبعت **المنهج التاريخي**، للتعرف على أوضاع الجزائر السياسية، والاجتماعية والدينية والثقافية خاصة الفترة الممتدة من بداية القرن العشرين حتى قيام ثورة أول نوفمبر باعتبارها السياق الزمني والتاريخي الذي ولد فيه باعزيز

---

* انظر مثلا: الصديق،محمد الصالح.أعلام من المغرب العربي.(د.ط)،الجزائر:موفم للنشر،2000،ج2 ص ص 798 ــ835

وترعرع وأنتج فيه فكره الإصلاحي . كما أفادني هذا المنهج أثناء وبعد بحثي التنقيبي عن الوثائق التي استندت إليها في الترجمة .وقد استعنت –هنا– بفن التراجم المتبع –خاصة– في الدراسات الأدبية، في مقاربة بنائية لشخصية باعزيز بن عمر، ولتحليل فكره الإصلاحي، واتبعت **المنهج الاستقرائي** للتعرف ولتصنيف فكره إلى المجالات السياسية والاجتماعية والتربوية الثقافية . إضافة إلى **أسلوب الوصف، والتحليل النقدي**، باعتبارهما من التقنيات الملائمة لتحليل ونقد فكره .

وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وبابين، وخاتمة . **الباب الأول : عصر باعزيز بن عمر وحياته**، تناولت فيه الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية في عصر باعزيز بن عمر، وترجمة حياته وقد قسمته إلى أربعة فصول هي :

الفصل الأول : أوضاع الجزائرالسياسية في عصر باعزيز بن عمر، ورصدت فيه التحول في كفاح الشعب الجزائري من أسلوب المقاومة المسلحة (المقاومات الشعبية) في القرن التاسع عشر، إلى اتباع أسلوب المقاومة السياسية أساسا، مع ما كان يتخللها من انتفاضات وثورات حتى ثورة التحرير الكبرى .

وقسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : طوالع كفاح جديد، وسياسة بلا أحزاب، وقسمته إلى مطلبين :

المطلب الأول : طوالع كفاح جديد، وفيه بينت كيف قرر الجزائريون التحول عن المقاومة الشعبية المسلحة، إلى خوض تجربة الأساليب السلمية، دون التخلي كليا عن الانتفاض والتمرد على الاستعمار كلما اتخذ اجراءات تدفع إلى ذلك، كقانون التجنيد الاجباري الصادر سنة1908، ثم ظهور الإتجاهات السياسية خلال العشرينيات من القرن العشرين، كالاتجاه المحافظ والمعتدل، والليبرالي، والثوري، والعربي الاسلامي .

المطلب الثاني : سياسة بلا أحزاب : تحدثت فيه عن ممارسة النضال السياسي دون أطر حزبية، وكيف مثلته فئتان هما النخبة وتيار الأمير خالد، الذي كان له أعمق الأثر في الحركة الوطنية .

المبحث الثاني : الاتجاه التغريبي، وتضمن مطلبين هما :

المطلب الأول : الاتجاه اليساري الشيوعي، بينت فيه جذور هذا الاتجاه، وصلته العضوية بالحزب الشيوعي الفرنسي، والركائز الايديولوجية التي قام عليها، كحماية المصالح والسيادة الفرنسيتين بالجزائر، وعدم التسليم بوجود شعب جزائري موحد، والدعوة -بعد الانفصال سنة 1936 عن الحزب الأم – إلى جزائر حرة متحدة مع فرنسا، وثورة البروليتاريا وليس الثورة للاستقلال .

المطلب الثاني : الاتجاه الليبرالي، تناولت فيه ممثله فرحات عباس، بشخصيته ومساره التاريخي في الحركة الوطنية، ودعوته للثورة بالقانون، وارتقاء الجزائر إلى دولة مستقلة متعاونة مع فرنسا، والأخذ من حضارة الغرب، مع احترام الاسلام والعربية .

المبحث الثالث : الاتجاهان : الثوري والإسلامي(الاستقلاليان)، وقسمته إلى مطلبين هما :

المطلب الأول : الاتجاه الثوري الاستقلالي : تحدثت فيه عن الحزب الذي مثله بأسماء متعددة بدءا بحزب نجم شمال افريقيا، ثم حزب الشعب الجزائري PPA، وانتهاء بحركة انتصار الحريات الديمقراطية MTLD . وعرضت لنشأته في كل مرة تحت اسم منها، والظروف التي كانت تدفعه للتغير، وزعيمه البارز مصالي الحاج، ومجمل مواقفه وآرائه، وكذلك العراقيل والمواجهات التي يجابهه الاستعمار بها؛ والأزمات التي تعرض لها، مما انتهى بفصيل منه إلى اختيار العمل المسلح في مجابهة الاستعمار وإعلان ثورة نوفمبر 1954 .

المطلب الثاني : الاتجاه الاسلامي – العربي الاستقلالي: الذي تمثله جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهي المحضن الذي ترعرع فيه باعزيز بن عمر، وكون اتجاهه وفكره، والمجال الذي مارس فيه الاصلاح التربوي (التعليم)، وأنتج فيه فكره. وقد بينت عوامل ظهورها والمجالات الإصلاحية التي ارتادتها، ودورها السياسي في الحركة الوطنية، وإعدادها الأرضية الثقافية والدينية المناسبة للثورة التحريرية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تناولت فيه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائر في عصر باعزيز بن عمر .وقسمته بدوره إلى مبحثين هما:

المبحث الأول : أوضاع الجزائر الاقتصادية في عصره، وقد بينت فيه الإجراءات الاقتصادية المجحفة التي اتخذها الاستعمار من مصادرة أراضي الجزائريين، وتبديل انتاجهم إلى منتجات تلبي حاجته كالكرامة والخمور . والدخل الفردي ومظاهر البؤس الفلاحي والاقتصادي للجزائر، كل ذلك وفق إحصاءات وتقارير مختصة .

المبحث الثاني : أوضاع الجزائر الاجتماعية في عصره، وقد تحدثت فيه عن أثر السياسة الاقتصادية الاستعمارية على أوضاع الجزائريين الاجتماعية من فقر وجوع ومرض، كما تناولت فيه قضايا محددة هي : الهجرة إلى فرنسا وظاهرة النمو الديمغرافي، وقلة فرص العمل والضمان الاجتماعي .

وجدير بالملاحظة في هذا المقام أن ما تعرضت له في هذا الفصل –تحديدا – ذو صلة مباشرة وثيقة بالقضايا التي تناولها باعزيز بن عمر في مقالاته، مما ساعدنا على الفهم والتحليل .

الفصل الثالث : أوضاع الجزائر الثقافية والدينية في عصر باعزيز بن عمر، وقد تناولتها عبر مبحثين هما :

المبحث الأول : الأوضاع الثقافية وقسمته إلى مطلبين هما:

المطلب الأول : التعليم : بينت فيه السياسة الاستعمارية في هذا المجال القائمة على التمييز ومنح نوع من التعليم الرسمي للجزائريين تمويها، وبما يحقق بعض مصالحها، وبعض مضامينه التي تتفق مع مبادئ الحركة الماسونية . كما تحدثت عن التعليم المقاوم الذي تخصصت فيه مدارس جمعية العلماء .

المطلب الثاني : الصحافة : عرضت فيه إلى خوض المثقفين والإصلاحيين هذا المجال، مغالبة للاستعمارين الداخلي (التخلف الحضاري)، والخارجي (الاستعمار الفرنسي)، والتفاعل المتبادل بينهما وبين الشعب، وأوليت عناية خاصة

بالشهاب والبصائر لمكانتهما في صحف الحركة الاصلاحية، ولاحتوائهما أكثر نتاج باعزيز بن عمر .

المبحث الثاني : الأوضاع الدينية في عصر باعزيز، وقسمته بدوره إلى مطلبين هما : **المطلب الأول : هدم وتدجين**، ذكرت فيه ما تعرضت له المؤسسات الاسلامية الدينية من التدمير، وتدجين من نصبتهم أئمة فيما تبقى منها .

المطلب الثاني : الدجل الطرقي : تناولت فيه أداء (الطرقيين) لوظيفة الاستعمار الداخلي، وتعويق النهضة وخدمة الاستعمار .

الفصل الرابع : حياة باعزيز بن عمر، فقسمته إلى مبحثين هما :

المبحث الأول : النشأة العائلية والعلمية، فتعرضت إلى البيئة التي شهدت ميلاده، ودراسته، بالزاوية، ثم التحاقه بابن باديس للدراسة عليه، ثم بجامع الزيتونة، والمهام والوظائف التي تولاها .

المبحث الثاني : أخلاقه وثقافته وآثاره .

الباب الثاني : فكر باعزيز الإصلاحي، تطرقت له من خلال تمهيد، وثلاثة فصول هي :

تمهيد : حول مفهوم الاصلاح عند باعزيز بن عمر حددت فيه مفهوم الإصلاح (مصطلحا)، ثم لدى باعزيز، وأسسه وشروطه ومنهجه، مع ما رأيناه مناسبا من التعقيب والنقد .

الفصل الأول : فكر باعزيز السياسي، وقسمته إلى مبحثين هما :

المبحث الأول : إدانة الاستعمار من سماته، المستخلصة من فكره كالآتي : - الحرب الدائمة- الميز العنصري-الأنانية- المكر السياسي المراوغة -منطق القوة -الجمع بين المتناقضات -تسخير رجال الدين لمساندة سياسته -كارثة مهدمة- الحقد على الديمقراطية --الجبن والخوف من يقظة الشعوب المستعمرة .

المبحث الثاني : الاصلاح السياسي كما ورد به فكره، تناولته من خلال المحاور الآتية : 1. ملامح من النظام السياسي الإسلامي 2. دور العلماء في الحكم 3. الإصلاح السياسي أساس كل إصلاح 4. من عوامل النصر 5. المنظمات السياسية الدولية والحركات الشعبية العالمية6.إتصال النواب الحقيقي بالشعب

.**الفصل الثاني : فكر باعزيز الاقتصادي والاجتماعي** . وقد قسمته إلى تمهيد ومبحثين . **تمهيد** : تناولت فيه ندرة التأليف في المسائل الاجتماعية أثناء الفترة الاستعمارية، ومنزلة نتاج باعزيز بن عمر بين كتاب المقالة الاجتماعية:

المبحث الأول : فكر باعزيز الاقتصادي، وفرعته-بدوره- إلى المطالب الآتية : المطلب الأول : طبيعة الاستعمار، المطلب الثاني : من معايير النجاح الاقتصادي، المطلب الثالث : التصدير، المطلب الرابع: من آثار التحديث في ظل الاستعمار .

المبحث الثاني : فكر باعزيز الاجتماعي، الذي اندرج تحته تمهيد وخمسة مطالب هي :

المطلب الأول : مفهوم الحياة الاجتماعية، تناولت فيه مفهوم الحياة الاجتماعية لديه، وكيفية إصلاح اختلالتها .

المطلب الثاني : البطالة-الهجرة -الضمان الاجتماعي، عرضت فيه إلى مقاربات باعزيز لهذه القضايا الاجتماعية، وبعض الحلول التي تقدم بها على ضوء المعطيات الاجتماعية والإحصائية المتاحة له .

المطلب الثالث : الفرع الأول : المرأة ونمو النسل، وفيه استعرضت وجهة نظره في موضوع المرأة، وأبرز ما فيها نقده للنظرة التجزيئية لمشكلة الرجل والمرأة، وضرورة ارتباطهما في قضية واحدة هي رقي المجتمع بهما .

الفرع الثاني : نمو النسل، الذي عدّه مشكلة استعمار في المقام الأول، حله ليس بالحد منه، بل بالتأثير في أسبابه على رأسها الاستعمار.

المطلب الرابع : التشرد والانحراف الاجتماعي، وبينت فيه نقد باعزيز لبعض الإجراءات الاستعمارية الشكلية والعابرة لمعالجة مثل هذه المشكلات، وبطلان مفعولها، واقتراح حلول عملية لها كسنّ سياسات تنموية شاملة، وآثار هذه الأوضاع المدمرة على أمن المجتمع، وقيمه، وبناء مراكز إيواء الشيخوخة واليتامى ومراكز التمهين .

الفصل الثالث : فكره التربوي والثقافي، وقسمته إلى ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : التعليم واللغة، وقد عرضت فيه لقضايا تعليمية، كدور العلم والدين في الخروج بالإنسان من الظلمات إلى النور، وغاية التعليم في المنهج

الإسلامي، وعوامل نجاح التعليم، وعقم الاقتصار في تعليم القرآن على الحفظ دون الفهم، ونقده التعليم في الزوايا، وتعليم المرأة، والتعليم الريفي، والرد على مدعي صعوبة تعلم العربية.

المبحث الثاني : التربية والشباب عالجت فيه المسائل الواردة في فكر باعزيز : تربية الأطفال، ودور النهضة في معالجة مشكلة الطفولة البائسة، وعدم إفساد تربية الأبناء بالإفراط في تدليلهم، وممارسة التربية الدينية في المدن والأرياف، والأهمية التي أولاها لقضايا الشباب، والصعوبات التي تعترض المصلحين في معالجتها وحلولها بالتربية، والتأثير في الظروف الاجتماعية المحيطة بهم والباعثة على انحرافهم، فضلا عن الدور الأكبر الذي يلعبه الدين في حياتهم . إضافة إلى قضايا تربوية متفرقة كعوامل هدم البيئة الأخلاقية، وتعاون المدرسة ووسائل الإعلام في التربية، ودور الجمال الطبيعي واللهو البرئ في تقوية الملكات .

المبحث الثالث : فكره الثقافي، تضمن بيان دور السياسة التعليمية الاستعمارية في صنع النخبة المتغربة، وانخداعها بالتفوق الموهوم . كذلك نقده لمستوى خطبة الجمعة على زمانه، وضرورة إصلاحها لأداء دورها في الإصلاح الاجتماعي، ومسايرتها لما يجدّ في أحوال الأمة.

وختمت الدراسة بأبرز النتائج التي توصلت إليها من دراسة فكره الإصلاحي، وتقييم آدائه، الذي خلصنا منه إلى أنه وإن أدى دوره في التوعية الثقافية والدينية، فإنه لم يقدم الإضافة الحقيقية التي ترتقي به إلى مصاف المصلحين المفكرين ذوي الرؤية الفلسفية المذهبية المتكاملة المؤصلة للتغيير، وفلسفته ووسائله ودقائق مسالكه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباب الأول

عصر باعزيز بن عمر

وحياته

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تتطلب الترجمة لباعزيز بن عمر ودراسة فكره الإصلاحي، الإحاطة بالأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية، التي سادت في عصره، لما كان لها من تأثير بالغ وقوي، في تكوين شخصيته وثقافته وتوجيه تفكيره، وتفاعله مع القضايا والمشكلات التي ميزت تلك الفترة العصيبة من تاريخ الجزائر. فكان من الضرورة بمكان – لوضع فكره في سياقه الزماني والتاريخي – من تتبع هذه الأحوال في هذا الباب، كي يتسنى لنا تقدير مدى هذا التفاعل، وقيمة ما قدّم في ميزان الإصلاح .

وقد قسمنا هذا الباب إلى الفصول الآتية :

- **الفصل الأول : أوضاع الجزائر السياسية في عصر باعزيز بن عمر**
- **الفصل الثاني : أوضاع الجزائر الاقتصادية في عصر باعزيز بن عمر**
- **الفصل الثالث : أوضاع الجزائر الثقافية والدينية في عصر باعزيز بن عمر**
- **الفصل الرابع : حياة باعزيز بن عمر**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

أوضاع الجزائر السياسية

في

عصر باعزيز بن عمر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يمثل الوضع السياسي الذي ساد الجزائر في مطلع القرن العشرين، المنـــاخ الذي ترعرعت في ظله سائر الأحوال الأخرى، الاقتصادية والاجتماعية والثقافيـــة والدينية، فكانت كل مسائلها وفعالياتها تتحرك سلبا أو إيجابا بتأثيره .

وانطبعت كل أشكال النضال الاجتماعي والثقافي والـــديني الإصـــلاحي، بالصبغة السياسية، إلى أن أذّن مؤذّن الثورة والجهـــاد فـــي أول نـــوفمبر 1954، فكانت الثورة المسلحة الكبرى هي النتيجة التي لابد أن ينتهي إليها ذلك النّزال .

وقد قسمنها هذا الفصل إلى المباحث الآتية :

المبحث الأول : طوالع كفاح جديد وسياسة بلا أحزاب

المطلب الأول: طوالع كفاح جديد

المطلب الثاني : سياسة بلا أحزاب

المبحث الثاني : الاتجاه التغريبي (اليساري والليبيرالي)

المطلب الأول : الاتجاه التغريبي اليساري

المطلب الثاني : الاتجاه التغريبي الليبرالي

المبحث الثالث : الإتجاهان الثوري والإسلامي(الاستقلاليين)

المطلب الأول : الاتجاه الثوري الاستقلالي

المطلب الثاني : الاتجاه الإسلامي الاستقلالي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبـــحث الأول

طوالع كفاح جديد وسياسة بلا أحزاب

المطلب الأول : طوالع كفاح جديد :

أرسلت فرنسا عام 1830 جيوشها لغزو الجزائر بعد أن حددت هدفها الأكبر، وهو ضمّ وإلحاق الجزائر بها نهائيا وقد جسّم نيتها قرارُ الضمّ الصادر سنة 1834، فإذا العالم إزاء حالة استعمارية جديدة، انفتحت بها وجهة جديدة في التاريخ، انتجت مجتمعا جديدا لا هو بالعربي ولا بالفرنسي ([1]) من الوجهة الإجتماعية، والتطلع لمحو الكيان الجزائري، فنتج عنه محو اللغة والتاريخ والحكومة، والرموز الوطنية الأخرى ([2]) من الوجهة السياسية، وقد أكدت الحوادث التي صاحبت الحالة الإستعمارية ذاك الهدف .

وبعد تجربة دامية مريرة مع المستعمر، عزم الشعب الجزائري مع مطلع القرن العشرين على خوض تجربة الأساليب السلمية مع الاستعمار، ويأخذ بعض الراحة من الكفاح المسلح الذي ميز القرن التاسع عشر(الثورات الشعبية) ، وفي الوقت نفسه يستفيد من تجاربه الماضية ومن الوسائل الممكن اتباعها مع الادارة الاستعمارية([3]) .

لكن – مع هذا – لم يفقد القرن العشرون حرارة الثورة والهيجان ضد المستعمر، فظهرت نشاطات ثورية ما بين سنوات (1900-1930)([4]).

ففي عام 1906 هاجم الجزائريون الثائرون في عين بسام مراكز الدرك وانتشروا في القرى منادين بحقهم في السيادة الشرعية على أرضهم ([5]).

---

[1] ــ بن نبي، مالك :**في مهب المعركة**،(د.ط)؛ بيروت لبنان، دمشق ــ سورية: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 1420هـ ــ 2000م، ص 33.

[2] ــ سعد الله ، أبو القاسم : **الحركة الوطنية الجزائرية4ط**؛ بيروت ــ لبنان : دار الغرب الإسلامي،1992،ج2، ص 57.

[3] ــ يحي، بوعزيز: **الأيديولوجيا السياسية للحركة الوطنية الجزائرية**،(د.ط)؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ت)، ص 3.

[4] ــ **أبو القاسم سعدالله : مصدر السابق، ص 108، 223 .**

[5] ــ **أبو القاسم سعدالله : مصدر سابق، ص 104 -217 .**

وتسموا بالمجاهدين، فاغتالوا إداريين فرنسيين و هاجموا مراكز عسكرية، وخربوا مؤسسات ومرافق كالطرق الحديدية([1]). ورغم القمع السياسي و المادي لهذه الانتفاضات،*فقد تواصلت وتيرة هذه الهجومات على المستعمرين وأملاكهم **. كما أعلن الجزئريون – عمليا– عن استعدادهم للانتفاضة و الهيجان – ولو سلميا – إزاء إجراءات وقوانين: عمقت من إحساسهم بالسخرة للنظام الاستعماري: وأبرز مثال على هذا، المعارضة التي لقيها قانون التجنيد الإجباري سنة 1908، فقد جرت مظاهرات تلقائية جماعية سلمية، ووزعت المنشورات . كما شهدت سنة 1912 اضطرابات، وانتشر العنف في كافة أرجاء القطر، وحدثت اغتيالات، ومصادمات مع الشرطة وتكونت فرق مقاومة، وفر الشباب للجبال([2]) ***. لكن

---

[1]ـ المصدر نفسه، ص216،217.

- تمثل القمع السياسي في منشور الحاكم العام للجزائر عام 1906، الذي أمر فيه رؤساء العمالات الثلاث بغلق المقاهي الجزائرية المشتبه في إسهام أصحابها في التحريض على الاستعمار، ومنع المهرجانات الجزائرية في المناطق المشبوهة، وسحب رخص حمل السلاح، وسجن كل جزائري غير موثوق به، أما القمع المادي لثورة الأوراس، فكان بمقتل ما بين 200و 300 جزائري، ومحاكمة وإعدام أكثر من 1200 شخص .

ـ سعد الله : المصدر نفسه،ص.ص 106،219،218.

** بلغ عدد الهجومات على الأشخاص في السنوات :1916،1917،1918على التوالي :
377هجوما،270هجوما،274هجوما.
المصدر نفسه، ص222.

[2]ـ المصدر نفسه

*** قد يكون من المفيد أن نذكر ردود الفعل السياسية حول قانون التجنيد، فقد اتسمت بتقديم العرائض للفرنسيين، وإرسال وفود إلى فرنسا، معبرين عن معارضتهم، أو قبول التجنيد شرط الحصول على الحقوق، فقد أرسل أعضاء بلدية الجزائر لائحة للحكومة والمجلس الوطني الفرنسي، تضمنت اعتبار القانون معاديا للديمقراطية، وغير عادل، إذ نص على سنتين جندية للفرنسيين مقابل ثلاث سنوات للجزائريين .
- المصدر نفسه ، ص 181،183.

مع هذا لم يتخل الجزائريون عن طابع النضـــال السيـــاسي ضد هذا القانون ممـــا يؤكد أنه أصبح السمة البارزة للحركة الوطنية حتى قيام الثورة التحريرية .

وما كانت فرنسا لتتراجع عن أهدافها، أمام هذه الاحتجاجات و المطالبات؛ فقد نفذت قانونها حول التجنيد الإجباري، خاصة مع إشتعال نيران الحرب العالمية الأولى. فاجتازت محنتها بالجزائريين إذ جندت منهم 82.751 في إطار الخدمـــة العسكرية، وانخرط 87.519 بصفة دائمة في الجـيش الفرنســي . كمـــا جلبـــت لمعاملها في فرنسا 78.000 عاملا جزائريا لتعويض العمـــال الفرنســيين الـــذين إلتحقوا بالجيش، وقد حصدت الحرب من الجزائريين مـــا لا يقـــل عـــن 25.711 قتيل، 72.035جريحا، أي 14.5 % من الجزائريين المجندين للدفاع عن فرنسا، وهي النسبة التي تقارب من ماتوا من الفرنسيين في الحرب نفســـها أي 16.5 % من مجموع مجنديها فيها([1]) .

وفي سياق التجاوب السياسي – الشكلي بالطبع – مع مطالب الجزائـــريين السياسية أصدرت فرنسا قانون 06/02/ 1919الذي يعطى بعضهم حق الانتخاب، كاعتراف بدورهم في تحرير فرنسا . نصّ هذا القانون على منح حق التصـــويت في الإنتخابات المحلية بحوالي 421.000 مسلم جزائري، والتمتع بالإمتيازات التي يتمتع بها كل من يحمل الجنسية الفرنسية . وهو القانون الـــذي تقضـــي شـــروطه التعجيزية إعطاء هذا الحق لأولئك الذين يوالون فرنسا ولاء تاما فحسب([2]) . فضلا عن كونه قانونا عديم الديموقراطية شكلا ومضـــمونا، إذ ثبّـــت نظـــام القســـمين الإنتخابيين (الأهلي والفرنسي)، والتمثيل النيابي المجحف في حق الجزائريين، فهم يمثلون1/4 رغم أغلبيتهم . كما أهمل الجنوب الذي أبقـــى علـــى صـــفته منطقـــة عسكرية غير ممثلة . كما فشل في وضع حد لقانون (الأهالي) وغيره من القوانين الاستثنائية،وأهمل تمثيل الجزائريين في المجلس الوطني الفرنسي أو إنشاء مجلس

---

[1] ــ بوحوش عمار : التاريخ السياسي للجزائر،ط1،بيروت ــ لبنان: دار الغرب الإسلامي،1997، ص 214 ، 215 .

[2] ــ المصدر نفسه: ص 216

خاص بهم في باريس ([1]). وفي هذا الجو من المطالب والاستجابة الشكلية لها، كانت سنة 1919 شبه انطلاقة جديدة للحركة الوطنية . إذ انقسمت النخبة السياسية الجزائرية لفريقين هما: فئة الاندماجيين، وفئة الرافضين للاندماج وأعلنت عن ظهور الأمير خالد الفائز في هذه الانتخابات بوصفه زعيما وطنيا جديدا، وكشفت عن رفض الرأي العام للاندماج و اختياره لقائمة الأمير خالد المتحصلة على 940صوتا مقابل 340 صوتا لقائمة منافسيه ([2]) .

ثم إن ما أعقب هذا الحدث من حركية سياسية انطبعت بها ساحة الحركة الوطنية انتهى في العشرينيات من القرن العشرين بتشكيل الاتجاهات السياسية والاجتماعية التي سادت في الجزائر حتى ثورة التحرير، هذه الاتجاهات هي :

1. الاتجاه المحافظ : يمثله بعض الإقطاعيين الجزائريين الذين خدموا فرنسا، واستفادوا من ذلك .
2. الاتجاه المعتدل : تمثله جماعة من النخبة بعد انقسامهم سنة 1919 .
3. الاتجاه الليبرالي : الذي يضم القسم الآخر من النخبة .
4. الاتجاه الثوري : الذي تطور من الليبرالي في عمومه .
5. الاتجاه الإسلامي العربي : يمثله العلماء([3]) (فيما بعد) .

ويمكن أن يضاف إليها الاتجاه اليساري الذي يمثله الحزب الشيوعي، حتى إن كانت نشأته الأولى باعتباره مكتبا أو فرعا للحزب الشيوعي الفرنسي، الحزب الأم ورغم بقائه وفيا لمنهجه الإيديولوجي ومقولاته بعد الانفصال عنه تنظيميا، فإن حركيته السياسية كانت تصب في المسألة الوطنية .

وإذا اعتبرنا مبدأ الاستقلال الغاية الكبرى التي كان مقدرا لنضال الحركة الوطنية أن ينتهي إليها، فإننا نصنف الاتجاهين الرابع والخامس ضمن اتجاه واحد بفرعين هما : -الاتجاه الثوري الاستقلالي -والاتجاه الإسلامي -العربي الاستقلالي، وسوف يتضح لنا- فيما بعد- المفهوم الواسع للاستقلال عند جمعية

1ـ سعد الله: مصدر السابق،ص275 .

2ـ المصدر نفسه، ص 290 .

3ـ المصدر نفسه، ص 289،288 .

العلماء ضمن الاتجاه الأخير .

وقد تبلورت هذه الاتجاهات في تنظيمات سياسية وامتدت منذ منتصف العشرينيات، لتستوي على أصول التنظيم الحزبي، والجمعيات الدينية في الثلاثينات . وعمل على بروزها عوامل منها :

1. تزايد النخبة المثقفة بالفرنسية التي شكلت تيارا قويا يطالب بالاندماج والمساواة والتخلص من التفرقة العنصرية .
2. مشاركة الجزائريين في الحرب العالمية وتحريرهم فرنسا، أشعرهم بحقهم في الحصول على المساواة في الحقوق .
3. الهجرة لأوروبا أثمرت وعيا قويا، ومشاركة فعالة في النقابات اليسارية التي كانت تناضل ضد الإمبريالية والإستعمار.
4. تزوير الانتخابات ونفي الأمير خالد (1) *.

وتُضاف عوامل أخرى لا تقل أهمية عما ذكرناه، إن لم تكن أقوى من بعضها لاعتبارات تتعلق بالشخصية العربية الإسلامية، هذه العوامل هي :

- أثر حركة الجامعة الإسلامية العميق في بعث الحركة الوطنية الجزائرية، وتأثير زعمائها على كثير من زعماء الحركة الوطنية .
- عودة بعض العلماء من المشرق العربي وبلاد الحجاز كالإبراهيمي والطيب العقبي والعربي التبسي(2).
- دور المهاجرن الجزائريين* إلى المشرق العربي في تعزيز الروح الوطنية، ووجه هذا الإسهام نراه من خلال اتصالهم بذويهم بالجزائر وبما يستقبلونه من أخبارهم مع الحجاج والتجار، وما كانوا ينقلونه عن أحوال الجزائريين تحت

1ـ بوحوش ،عمار : مصدر سابق، ص 229 .

*نفي الأمير خالد عام 1923،كما سيأتي الحديث عنه .

2ـ سعدالله : المصدر السابق ص 114 .

* جدير بالذكر أن الهجرة للمشرق لم تقتصر على إقليم بعينه في الجزائر، إلا أن أبرزها هجرة تلمسان سنة 1911 التي غادرها إلى سوريا أكثر من ألف ومئتي عائلة، و20،000 ألف جزائري في السنة نفسها . ونصف هذا العدد هاجر بتونس والمغرب سنة 1907 . وهاجر إلى مصر من شمال إفريقيا بين 20،000 و30،000 ألف، وإلى شبه الجزيرة العربية ما بين 10000 و15000، وإلى فلسطين بين ../..

الاحتلال للصحف التي يتحدثون إليها [1]*. خلال عقد العشرينيات، مما يصح وصفه بأنه عقد النهضة بالجزائر والاندفاع الوطني، والاتجاه نحو الثورة السياسية والإصلاح الديني والخلقي والاجتماعي، والنهضة الأدبية والعلمية[2]. فجُماع النهضة الجزائرية حركة سياسية، وإصلاح ديني اجتماعي تربوي أدبي وعمل ثوري مآل أعمال الحركتين السابقتين .

المطلب الثاني : سياسة بلا أحزاب

انبثق النضال السياسي في عشرينيات القرن العشرين، عن وعي سياسي وثقافي، بمشكلة شعب، أصبح كتلة بشرية مادية، يستخدمها الاستعمار وقت الحاجة إليه، ويتركها بعدئذ للتيه في أزماته المختلفة الطاحنة . ولحداثة هذا النضال لم يكن في حاجة لتنظيم حزبي كي يعبر عن مطالبه السياسية والاجتماعية والثقافية، ولا الإفصاح عن آرائه حولها. فما حقيقة هذا النضال؟ومنهم ممثلوه؟ وما هي مطالبهم؟ . يمثل النشاط السياسي الأقرب – أحيانا- للعمل الثقافي، خارج التأطير النظامي الحزبي المعاصر، الصفة العرضية لهذا النضال . أما جوهره فهو تشخيص أوضاع الشعب الجزائري المستعمر، في مشكلات محددة، من خلال المطالبة بحلها ومعالجتها بقوانين وإجراءات، تُرقي هذا الشعب إلى منزلة مستعمريه وقد مثل هذا النضال فئتان هما : فئة النخبة، وتيار الأمير خالد (1875 /1936) الذي كان له أعمق الأثر في مسار الحركة الوطنية من بعده، حتى ليصح وصفه بالفئة .

.../... 5000 و6000 وغيرها، ونصف عدد كل ذكر يقدر من الجزائريين نظرا لظروف الاستعمار المذكورة .

– المرجع نفسه : ص 123،124 وأعتقد أن هذه الإحصاءات تؤكد صحة وجهة نظرنا حول القيمة المعتبرة لعامل الهجرة إلى الشرق وسابقيه، في انتعاش الحركة الوطنية، وبعثها، خاصة إذ علمنا أن من بين المهاجرين كثير من العلماء والمجاهدين .

1ـ المصدر نفسه : ص ، 125 ،126.

* تتجلى قيمة هذا العامل من خلال حادث ذي دلالة عميقة، ففي سنة 1906 زارت باخرة عثمانية ميناء الجزائر، فصعد إليها بعض الجزائريين ممثلين لكل طبقاتهم، وطلبوا سرعة قدوم السلطان لإنقاذ الجزائر؟

– سعدالله : مصدر سابق ص 114 .

2ـ المصدر نفسه : ص 288 .

أولا : النخبة : ممن عُرفوا رسميا باسم" حركة الشبان الجزائريين " تزعمها مجموعة من الشخصيات الوطنية كانوا يشتغلون في ميادين الترجمة والتعليم والتجارة والسياسة والطب والصحافة . مثقفون ثقافة غلبت عليها الفرنسية والتغريب(1) . وهي الميزة الأولى من ميزات أخرى منها : - المعرفة بالسياسة وخباياها - إطلاعهم على مأساة المسلمين الجزائريين، وتأثير القوانين الاستثنائية الفرنسية عليهم - الإحساس بهموم وآلام الجزائريين - استنباط أسلوب التعامل السياسي من الأفكار الثقافية الغربية (2) . مما بوأهم منزلة جماعة التبديل الثقافي نحو أوروبا بتطلعهم لتحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع أوروبي (3) وبالخروج به - أولا -من وضع المهانة التي وضعته فيها قوانين الاستعمار، وإجراءاته، فحاولوا حفظ الجزائريين من قوانين الاستعمار، بالمطالبة بمساواتهم مع الفرنسيين، وتمتع النواب الجزائريين بالحرية، فيتسنى لهم الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين(4).

كما ركزوا على الاتصال والضغط المتواصل على حكومة باريس لإنصاف الجزائريين وتمكينهم من الحصول على مقاعد في البرلمان الفرنسي، في الانتخابات المحلية، والاعتراف بالشخصية الجزائرية فطالبوا بتعليم اللغة العربية في المدارس، إضافة إلى الفرنسية واحترام الأعياد والشعائر الإسلامية (5)، كما عارضوا مرسوم 1908/7/17 المتعلق بالتجنيد الإجباري، إلا إذا حصل الجزائريون على حقوقهم الأساسية، كتعديل قانون (الإنديجينا code de l'indiginat الصادر في 1881، ورفع نسبة التمثيل الجزائري في الانتخابات

1ـ بوحوش، عمار: مرجع سابق، ص 202 ،203،وسعد الله : المرجع السابق، ص 159، 162.

2ـ مناصرية، يوسف : **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية** ، (د.ط)؛ الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988.ص88.

3ـ سعد الله: مصدر سابق، ص162 .

4ـ مناصرية: مصدر سابق،ص12.

5ـ عمار بوحوش : مصدر سابق ، ص 202 ، 206 .

المحلية، والمساواة بينهم وبين المستوطنين ([1]) .

ولم يهملوا القضايا الاجتماعية والاقتصادية والتربوية من مطالبهم، مثل : إنشاء بنك إسلامي ومنح الفلاحين والتجار قروضا، مع منحهم ضمانات بأن لا يغادروا أراضيهم، كما طالبوا بإنشاء مركز للتدريب المهني الصناعي، وتوفير فرص التعليم لأبناء الجزائريين ([2]) واقترحوا مضاعفة الجمعيات الخيرية، والمساعدات الطبية وإلغاء نظام (الخماسة)، وتسهيل هجرة الفلاحين لفرنسا، لما في ذلك من فوائد منها: الرفع من معنوياتهم لإطلاع على مجتمع مختلف تماما عن ما ألفوه فأغنى تصوراتهم وتجاربهم التي تفيدهم عند عودتهم لبلادهم، وإصلاح أحوالهم وعائلاتهم ماديا، ومنح الاقتصاد الفرنسي اليد العاملة الرخيصة كما كان تعليم في أعلى قائمة مطالبهم لإصلاح المدارس الجزائرية –الفرنسية، ووضع برنامج تعليمي خاص بالجزائريين، ونشر التعليم والثقافة الأوروبية في المجتمع الجزائري ([3]) .

ورغم هذه المطالب الإصلاحية، التي لا تخفى أهدافها في تغيير المجتمع الجزائري المستعمرمن حالة التخلف إلى التقدم والتحضر، وقبل ذلك الاعتراف به مجتمعا له كيانه ووجوده الإنساني، فإن النزعة التغريبية للنخبة حرمتهم من رؤية هذا المجتمع خارج إطار الكيان الدخيل المستعمر، حتى أصبح هو الأصل الذي لم يكن الاستقلال عندهم ليتجاوز إقامة إتحاد كنفدرالي جزائري –فرنسي والمطالبة بالإدماج الكامل ([4])* وقد ظلوا على مسارهم السياسي، حين

1ـ المصدر نفسه : ص 203 .

2ـ المصدر نفسه: ص 206 .

3ـسعد الله : المصدر السابق، ص،ص162، 165،166، 167.

4 ـ مناصرية : مصدر سابق، ص 20، وسعد الله : مرجع سابق، ص 162، 165 .

*يمكن ملاحظة ثبات النخبة على موقفها هذا حتى بعد تطور الحركة الوطنية، وظهور الأحزاب، والجمعيات الفاعلة في الساحة الجزائرية، بعد الثلاثينيات من القرن العشرين، فقد صرح أحدهم، لجريدة فرنسية في 1936/8/12 بقوله : " أنا لفرنسا والإسلام، أريد إدماج أحدهما في الآخر، وموقفي نابع من الاعتراف بالجميل فأنا ماذا أكون يا ترى بغير فرنسا، وغاية ما تبتغيه إدخال محاسن المدنية الفرنسيةكلها بلا تخصيص و لااستثناء في جميع الأوساط والطبقات الأهلية، ولو فرضنا أن القطر الجزائري صار بكيفية خارقة للعادة

.../...

أسسوا ما يشبه التنظيم الحزبي الذي عرف بـ " فيدرالية المسلمين الجزائريين المنتخبين" التي تأسست في 1927/9/11 بالجزائر العاصمة . فنادوا بمنح الجزائريين كل الحقوق السياسية والمدينة كالفرنسيين، وهاجموا مسألة الميز والنظام التسلطي الاستعماري، والظلم، ودعوا للتآخي بين الجزائريين والفرنسيين ولم يطالبوا بالوطنية الجزائرية، ولا الانفصال عن فرنسا، كما لم يعترضوا على أن تكون الجزائر مقاطعة فرنسية .

كما طالبوا بالتمثيل النيابي للجزائريين بالبرلمان الفرنسي، والمساواة في الخدمة العسكرية وفي التعويض عن العمل، وإلغاء موانع الهجرة إلى فرنسا، وإلغاء قانون الأهالي، وتطوير التعليم الموجه لهم مع إصلاح التعليم المهني . ومعاملة الجزائريين وفقا للقوانين الاجتماعية الفرنسية ([1]) .

ونتيجة للغربة الشعورية والفكرية التي كان يعاني منها ممثلو هذه الفئة إزاء مجتمعهم، نشأت لديهم عقدتان: عقدة الكمال تجاه مجتمعاتهم، وعقدة النقص إزاء الفرنسيين([2]). كذلك كانوا فاقدين لخطة مشتركة لمواجهة ظلم المعمرين للجزائريين، معدومي التجانس في منهجهم السياسي، لهذا فرغم مجهوداتهم، كان نجاحهم محدودا ([3]).

كما لوحظ غياب مطالبهم أثناء الحرب العالمية الأولى، ليعودوا إلى الظهور إثرها، خاصة في الانتخابات البلدية سنة 1919 بالعاصمة، إذ شكلوا الجناح المعارض للأمير خالد، وتجسد الخلاف بينهما في قضية إدماج الجزائريين وتجنسهم بالجنسية الفرنسية وقانونها . ولقبولهم للتجنس والاندماج مع

.../...أمة جزائرية مستقلة، لا شك – إذن – أن تسود فيه الفوضى التامة بما ينشأ عنها من مصائب وبلايا، والدواء للمستقبل، يتمثل في التعليم الإجباري لكل الأهالي، فتربية الناشئة التي تتألف منها الأجيال المقبلة بما يغرس فيها الفكرة والعاطفة الفرنسوية، ويجب ألا يأتي الجيل الثالث حتى يشعر ويحس جميع المسلمين الجزائريين بأنهم فرنسيون " (تسطير البصائر)

– البصائر : عدد 33، 1355/6/17هـ -1936/9/4.

1 – سعد الله : المصدر السابق ، ص .ص 351، 355، 356، 357 .

2 – المصدر نفسه، ص 162 .

3 – بوحوش: مصدر سابق، ص 202،203

فرنسا وتجاهل الموقف الشرعي الإسلامي من قانون التجنيس، ففقدوا مكانتهم في نفوس الجزائريين الذين التفوا حول حركة الأمير خالد (1).

ثانيا : الأمير خالد(1292ـ 1355هـ/1875 1936م) مثّل ظهور الأمير خالد على الساحة السياسية أمران هما : أولا : استمرار الدور النضالي العسكري والسياسي لآل عبد القادر في تاريخ الجزائر المعاصر منذ الاستعمار .

ثانيا : يُعد فاتحة عهد الاتجاهات السياسية الوطنية؛ لجرأته السياسية، وقلمه، وثقافته، وبرنامجه، بل وهندامه* . كما كان لنهاية حركته السياسية داخل الوطن، رمزية تبوءه مرتبة شهيد الوطنية، ورمزا للثوريين والمعتدلين على السواء(2).

أما برنامجه الإصلاحي سنة 1919 فعبّرت عنه مذكرة مطالب رفعها لحكومة فرنسا، تضمنت ما يأتي ذكره :

1. تمثيل المجلس الجزائري في البرلمان الفرنسي بنسبة معادلة لنواب المعمرين .
2. إلغاء جميع القوانين والإجراءات الاستثنائية والاقامات المحروسة
3. المساواة في الحقوق والواجبات بين الجزائريين والفرنسيين فيما يتعلق بالخدمة العسكرية .
4. المساواة بينهم في تولي المناصب العسكرية والمدنية .
5. تطبيق قانون التعليم الإجباري على المسلمين تطبيقا شاملا مع حرية التعليم .
6. حرية الصحافة وتأسيس الجمعيات .
7. تطبيق قانون فصل الدين عن الدولة .
8. عفو عام.
9. تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية لفائدة المسلمين .

1ـ مناصرية: مصدر سابق، ص12،13.

* إشارة لأناقته المتميزة .

2ـ سعد الله : أفكار جامحة،(د.ط)؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر،1988ص34 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

10. الحرية التامة للعمال الجزائريين في الدخول إلى فرنسا[1] * .

وهي المطالب التي تتناغم مع الجو الذي ساد المجتمع المعاصر، إثر الحرب العالمية الأولى كحق الشعوب في تقرير مصيرها وحقوق الإنسان، والحرية، الديمقراطية .

ومع ذلك فقد كان الأمير خالد واقعيا في مطالبه؛ إذ تبنى مطلب الحصول على الجنسية الفرنسية للجزائريين، لكن دون التخلي عن الهوية الإسلامية، ودخل مع زملائه – بهذا الاتجاه– للانتخابات البلدية عام1919 . ففاز على خصومه الذين قبلوا بالتنازل عن الهوية الإسلامية، مقابل الحصول على الجنسية للتساوي مع الأوروبيين . ويتغلبون عليهم في المجلس المالي عدديا، كما فاز في انتخابات عام 1920 للمجلس المالي، وسحق المرشح المدعوم من الإدارة الفرنسية فاغتاض الأوروبيون من هذه النجاحات الباهرة، واتهموه بأنهم زعيم ديني يحرض المسلمين ضد الأوروبيين، ومناهضة السيادة الفرنسية بالجزائر[2].

فلما أقلق نشاطه الاستعمار،قرر سنة 1923 نفيه من الجزائر بتوصية من (فيدرالية رؤساء البلديات والنواب) التي اتهمته بالقيام بأنشطة معادية لفرنسا [3] .

لكن نهاية نشاط الأمير خالد داخل الوطن، كان بداية لنشاطه في القضية الوطنية، وضد الاستعمار عموما خارجه . فقد نقل معركته إلى فرنسا، فعقد الملتقيات و الاتصالات مع المهاجرين الجزائريين، وعمال الشمال الإفريقي

1ـ خير الدين، محمد: مذكرات،(د.ط)؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ت)، ج2 ، ص 15.

• وفي هذا الصدد قام الأمير خالد بخطوة جريئة، حين مثل الجزائر في مؤتمر السلام بباريس سنة 1919، بوفد ضم أربعة من زملائه شاركوا في المؤتمر، كما فعلت الوفود التي جاءت تمثل بلدانها المستعمرة من بريطانيا، وتمكن من تسليم رسالة للرئيس الأمريكي ويلسن يوم 1919/5/19، تتضمن مطالب الوفد الجزائري، فأوجس الفرنسيون من حركة الأمير خالد هذه خيفة لتشبهه بزعماء الهنود الذين جاءوا يطالبوا باستقلال بلادهم .

- بوحوش : مصدر سابق، ص 220 .

2ـ المصدرنفسه ، ص 121، 122 .

3ـ سعد الله : الحركة الوطنية (مصدر سابق)، ص 364 .

عموما، والمنفيين السياسيين من المستعمرات فاحتج على الممارسات غير الإنسانية للاستعمار والفساد الإداري والأكاذيب الاستعمارية [1] .

كما رفع رسالة إلى رئيس الحكومة الفرنسية اليساري (ادوارد هيريو Eduard Herriot) سنة 1924، تضمنت مطالب مما كان ينادى به أثناء نضاله السياسي بالجزائر [2] مما يدل على بقائه مؤمنا بشرعيتها وأنها – في حالة تحققها – بداية طريق الخروج من نفق الاستعمار المظلم .

وقد انتهت هذه المرحلة من بواكير كفاح الحركة الوطنية دون تحقيق شيء يُذكر من مطالبها، ودون أن تضمها هياكل حزبية حقيقية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1ـ المصدر نفسه، ص 365 .

2ـ المصدر نفسه، ص 365،366.

المبـــحث الثـــاني

الاتـــجاه التـــغريـــبي

المطلب الأول الاتجاه اليساري (الشيوعي)

ظهر الحزب الشيوعي بعد الحرب العالمية الأولى، إذ ربط دعوته بشخص الأمير خالد، وتعود جذوره إلى " الإتحاد الثقافي للعمال الجزائريين " الذي نشأ بفرنسا سنة 1902، وأصبح بعض أعضائه من أبرز العـــاملين فـــي الحـــزب الشيوعي الفرنسي بالجزائر ([1]). وقد ظل فرعا للحزب الشيوعي الفرنسي، فلم ينفصل عنه هيكليا إلا سنة 1936 . ومن ثمة انطبعت مواقفه – كما سنرى – في معظمها بإيديولوجية الحزب الأم، ولهذا لم يستطع التخلص من أيديولوجيته الاستعمارية القومية وبقي على موقفه من اعتبار الجزائر مقاطعة فرنسية .

ورغم التنديد بالإمبريالية الفرنسية والمنـــاداة بالتـــآخي بـــين البروليتاريـــا الجزائرية والفرنسية، فلا يعدو أن يكون هذا خدمة للثـــورة العالميـــة، ولـــيس للحركة الوطنية ([2]). والتزاما بشروط الأممية الشيوعية التي تفـــرض بعضُـــها على أعضائها مساندة الحركات المناهضة للإمبريالية في المســـتعمرات، وأن حرية البروليتاري الأهلي في شمال إفريقيا ينبغي أن تكون ثمرة الثورة ضـــد السلطة ([3]).

وقد اعتبر بعض المؤرخين الحزب الشيوعي تيارا غير جزائـــري، رغـــم وجوده بالساحة الجزائرية، لارتباطه العضـــوي بـــالحزب الشـــيوعي الفرنســـي وبالأحزاب الشيوعية الأخرى في أوروبا الغربية وروسيا، وتغلغله فـــي أوســـاط العمال الكادحين ([4]).

يؤكد هذا الأمر الركائز الإيديولوجية التي يقوم عليها هذا الحزب وهي :

1ـــ مناصرية : مصدر سابق ص 21 .

2 ـــ سعد الله : الحركة الوطنية ج 2 ، (مصدر سابق)، ص 347 .

3 ـــ مناصرية : مصدر سابق ، ص 22 .

4 ـــ يحي بوعزيز : مصدر سابق ، ص 05 .

1. حماية المصالح والسيادة الفرنسيتين بالجزائر بأي ثمن وأي شكل، وعدم السماح للنيل منها، مهما كانت الحيثيات .

2. المطالبة بإصلاحات شكلية لا تنال من شرعية السيادة الفرنسية على الجزائر، ولا تمس جوهر المشكل الجزائري وهو التحرر والاستقلال .

3. عدم التسليم بوجود شعب جزائري موحد، حتى لا يكون ذلك مبررا للتسليم بمطالبه الوطنية ([1]).

ويكون – بذلك– قد ربط مصيره بالحزب الشيوعي الفرنسي، كلّما كان هذا ينادي بتحرر المستعمرات ويساند الحركات التحريرية، كانت فروعه في الجزائر تقاوم التيار الوطني والنزعة الاستقلالية عند فرنسا ولكن عندما تطور الحزب الشيوعي الفرنسي فأصبح يُحلّ المسائل الفرنسية في المقام الأول، صار الحزب الشيوعي الجزائري يطالب بالمساواة في الجزائر بين جميع الأجناس والمتساكنين، كما أصبح مفهوم الحرية لديه لا يعني تحرر الجزائريين، ولكن تحرر كل الشعوب الموجودة بالجزائر من الإمبريالية الفرنسية([2]). فأصبح برنامج الحزب الشيوعي منذ سنة 1936 العمل من أجل الجزائر حرة وسعيدة متحدة إتحادا أخويا مع الشعب الفرنسي والشعوب الأخرى المتساكنة بالجزائر([3]).

ولهذا كان يدافع عن سياسة الإدماج فقد تحدث (موريس طوريز) زعيم الحزب الشيوعي الفرنسي في خطاب ألقاه بالجزائر يوم 1939/2/11، أكد فيه تكوّن الجزائر من حوالي 20 جنسية، كلّهم ينتمون أصلا للجمهورية الفرنسية التي لا تتجزأ . وقد أصبح الحزب الشيوعي الفرنسي ومن ورائه الجزائري يدافع عن إدماج الجزائر في فرنسا وإيجاد كيان جزائري يشمل الأوروبيين واليهود، إضافة للسكان الأصليين([4]).

1ـ المصدر نفسه : ص 09 .

2ـ بو الصفصاف، عبد الكريم : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931ـ1945.(د.ط)،الجزائر : المتحف الوطني للمجاهد،1996، ص 306 .**

3ـ المصدر نفسه ص 296 .

4 ـ بوحوش : مصدر سابق، ص 283

ومشكلة الحزب الشيوعي الجزائري، أنه كان ينادي بقيام ثورة الفلاحين ضد الإمبريالية والإقطاع ولا يتطرق إلى الموضوع الجوهري، مثل بقية الأحزاب الوطنية، وهو تحرير الجماهير من الهيمنة الفرنسية، ولهذا بقي الحزب معزولا عن الجماهير ولا يحظى بتأييدها "([1]). فلم يشكل في يوم من الأيام قوة معتبرة في الجزائر، ولم يؤثر في مجرى الأمور سواء قبل قيام ثورة التحرير في سنة 1954 أو بعدها ([2]).

وأسباب ذلك هي :

1. اتهامهم لحزب الشعب في أحداث 1945/05/8 بأنهم مشاغبين، ومناصرين للفاشية الدولية .
2. عدم قبولهم لفكرة انفصال الجزائر عن فرنسا.
3. كانوا متهمين بولائهم للشيوعية الدولية وتلقى التعليمات منها .
4. لم يكن حزبا جزائريا بأتمّ معنى الكلمة .
5. اتهامهم لأعضاء جيش وجبهة التحرير في 1954/11/14 بقلة الثقة في الجماهير، فلجأوا للعمل العسكري ورفضهم للعنف المسلح، لاسترجاع الحقوق والسيادة .
6. محاولة المحافظة على مصالح الجزائر وفرنسا في وقت واحد .
7. التزامهم بالمشاركة في الانتخابات المزورة .
8. صراع زعمائه مع زعماء الحركة الوطنية وأحزابها ([3]) .

والغريب تناقض الحزب حتى مع قررات ووثائق الأممية الثالثة، ففي مسألة الاعتراف بالوجود الوطني للشعب الجزائري، ظل على تجاهله للوجود الوطني له، واستمر على ذلك حتى نهاية الاستعمار، وهو موقف مناقض لقرارات الأممية الثالثة حول الاستعمار، المصادق عليه في موسكو سنة 1920، وخرق أيضا لما

1ـ المصدر نفسه، ص 281 .

2ـ المصدر نفسه ص 286 .

3ـ المصدر نفسه، ص 285، 286 .

أقره المكتب التنفيذي لهذا التنظيم الأممي، من ضرورة مساعدة الأحزاب الشيوعية لشعوب شمال إفريقيا على الاستقلال(1). وبمواقفهم هذه ارتسمت في أذهان الناس عن الحزب الشيوعي فكرة عدم امتلاك برنامج سياسي واضح، وفقدان الثقة في مقدرة الشعب الجزائري على القيام بثورة تحرير نفسه من قيود الاحتلال (2) .

وعليه كان الحزب الشيوعي يلقى في دروسه أن الكلام عن استقلال الجزائر ديماغوجية وخيال، وأنه في حالة حدوثه سيضع الجزائر تحت الحكم الإمبريالي الأجنبي . وقد رفعوا شعارا يقول : إن الجزائر المنفصلة عن فرنسا تعني الجزائر العربية والجزائر في وحدة عربية تعني وقوعها تحت رحمة الإمبريالية الأجنبية (3). وهي رؤية تدل على الموقف الرافض لانتماء الجزائر لمحيطها الجغرافي والحضاري العربي الإسلامي .

وهذا الموقف من استقلال الجزائر، طبع سلوك الحزب بالاضطراب والتقلب فمثلا، عند نزول الحلفاء بالجزائر في 1942/11/8 أعلن قادة الحزب الشيوعي الجزائري عملهم من أجل تكوين إتحاد بين الجزائريين والفرنسيين، لمحاربة الفاشية وإقامة جزائر حرة لهذا سعوا لإقامة جبهة مشتركة مع الأحزاب الوطنية في 1944/3/14، ثم قرروا الانسحاب منها في سبتمبر 1944 . ويعتبر هذا الانسلاخ عن الأحزاب الوطنية طبيعيا؛ لأن قادة هذا الحزب، فرنسيون ماركسيون يرفضون قيام دولة جزائرية مستقلة ذات سيادة منفصلة عن فرنسا (4).

وقد ظل الحزب على موقفه هذا حتى بعد الحرب العالمية الثانية، و يُلاحظ هذا بجلاء في قانونه الأساسي للجزائر الذي يعني إنشاء قانون نظامي

1ـ قنان، جمال: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر**، .(د.ط)؛ الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد،1994، ص 187/186.

2ـ بوحوش : مصدر سابق، ص 283 .

3ـ بو الصفصاف : مصدر سابق : ص 320 .

4ـ بوحوش : مصدر سابق ص 284 .

للجزائر، يعتبرها قطرا مشتركا في دائرة الإتحاد الفرنسي. وعرضه على المجلس الوطني الفرنسي بتاريخ 1947/3/13، فاعتبروا أن كل تأخير في إصدار قانون ديمقراطي للجزائر يزيد في السخط الذي وصل إلى أعمق طبقات السكان الجزائريين ويسمح بانتشار دعاية رجعية ضد فرنسا بين مختلف العناصر المؤلفة للسكان الجزائريين، واعتبر هذا القانون في عنوانه الرئيس الجزائر قطرا مشتركا في دائرة الإتحاد الفرنسي([1]).

المطلب الثاني: الاتجاه الليبرالي:

ممثل هذا الاتجاه فرحات عباس (1985/1899)، بشخصيته ومساره التاريخي في الحركة الوطنية، فقد تميز بالاعتدال وعدم استعمال العنف للتخلص من القوانين الفرنسية الجائرة وكان يهدف من مشاركته السياسية المبكرة للقضاء على التفرقة العنصرية، وفكرة تخلف الجزائريين وتحضر وتفوق الأوروبيين، وإخراج الجزائر من قبضة الاستعمار وبناء جزائر تسودها المساواة، وإتاحة الفرصة للجزائريين ليتعلموا ويحصلوا على الجنسية الفرنسية ويتحسن مستواهم الاجتماعي ([2]). وقد عبّر عن رؤيته التطورية للسياسة الجزائرية ضمن مبادئ صاغها سنة 1927 على النحو الآتي :

1. احترام الإسلام والعربية والمدنية الإسلامية .
2. الإقلاع عن خرافة التفوق الجنسي .
3. سياسة المساواة في الحقوق هي وحدها الكفيلة بضمان مستقبل مشترك .
4. على الشباب الجزائري أن يكون حافز تطور المجتمع الإسلامي، وينفض عنه غبار الخمول والركود، حتى يصبح مجتمعا عصريا أخذا بأسباب المدنية الحديثة ومسلحا تسليحا مدنيا، حتى يُتاح له منافسة المجتمع الأوروبي منافسة الند للند .
5. إن جميع الشعوب تصبوا حسب ما فعله اليابان، إلى اقتفاء آثار أوروبا

1ـ انظر مشروع القانون في : بوعزيز، يحي: مصدر سابق، ص ص 24 ـ 43 .

2ـ بوحوش: مصدر سابق، ص 233 .

دون أن تضرب مدنيتها عرض الحائط أو تتنكر لتقاليدها، إن هذه الشعوب في حاجة إلى دولة أوروبية تكون بمثابة صلة الوصل بين الماضي والحاضر دون أن تطمع في استعباد الشعوب المستضعفة، إن الشباب الجزائري يتمنى أن تكون هذه الدولة فرنسا، وأن تكون الجزائر و(باريس) ملتقى المثقفين العرب بغية انبعاث العالم الإسلامي، إن مهمة هذا الشباب هو الدفع بفرنسا أن تلعب هذا الدور([1]) .

واضح أن أكثر هذه الأفكار تتناغم مع طروحات الاتجاه الليبرالي المعتدل في مطلع القرن العشرين، خاصة ما تعلق منها بالموقف من العربية والإسلام والأخذ من حضارة الغرب حتى أنه أعتبر اختيار طريق آخر غير طريق التقدم العلمي دخولا في مغامرة، واستيلاء جديدين، " إننا اخترنا طريقنا التي هي طريق التحرير بواسطة التطور والتقدم العلمي فإذا اخترنا طريقا آخر فإننا نفتح أبواب وطننا إلى استيلاء جديد وإلى تجارب ومغامرة جديدة دون أن نكون واثقين من الحصول على تحريرنا الوطني الذي هو غاية حركتنا الوحيدة "([2]).

واتسمت فكرته حول الاستقلال والعلاقة بالدولة المستعمرة بارتقاء الجزائر إلى دولة مستقلة متعاونة مع فرنسا، يقول :" أما نحن فلم نزل ندافع عن نظريتنا ومواقفنا، وكررنا بأن الحل الوحيد الصحيح لا يوجد في إدماج مستحيل، بل في ارتقاء الجزائر إلى درجة دولة مستقلة متعاونة مع فرنسا إن الجمهورية الجزائرية تتكفل وحدها بفضل مقتضيات عادلة مدرجة في دستورها إرضاء جميع سكانها وإشراكهم في الحياة العامة "([3]).

وهو موقف متطور في مسار فرحات عباس الفكري والسياسي الذي بدأ بإنكار وجود الأمة الجزائرية في التاريخ، وقبل أن يصل إلى فكرة "الدولة المستقلة" مر بمرحلة مغايرة للإدماج، وهي فكرة "التحرير والإتحاد" عن طريق ما سماه" الثورة بالقانون"؛ فقال : " كنا نغتنم كل فرصة سانحة لنعرض على فرنسا

---

1 . فرحات، عباس : حرب الجزائر وثورتها -1- ليل الاستعمار، (د.ط)ترجمة رحال أبو بكر المحمدية – المغرب، مطبعة فضالة، (د.ت) ص 144، 145

2 . بوعزيز، يحي : مصدر سابق، ص 59 .

3 . فرحات، عباس : مصدر سابق، ص 210 .

حلو لا إيجابية ومعتدلة، تحدونا رغبة واحدة وهي ضمان الحرية والكرامة لشعبنا ... كما كان هدفنا يدور حول فكرة واحدة وهي منح الجزائر دستور دولة ذات سيادة يفضي – بصفة سلمية- إلى ما نسميه(ثورة بالقانون)، وجعل الديمقراطية الفرنسية وسط جمعية جديدة أساسها الاعتراف بقومية الشعوب المستعمرة واحترام سيادتها وأصبح شعارنا" التحرير والإتحاد " (1).

وقد كانت الحرب العالمية الثانية فرصة لفرحات عباس كي يعبر عن مطالبه السياسية من الإدارة الاستعمارية، أو الدخول في التحالفات مع شخصيات وقوى سياسية للهدف نفسه؛ فقد حرر مع 28 شخصية جزائرية منتخبة عام 1943 بيانا للاستعداد للمشاركة في المعركة من أجل تحرير فرنسا شرط التزامها بعدم التفرقة العنصرية بين الأفراد في الجزائر، وإعطاء الحقوق السياسية للجزائريين، لكن ممثل حكومة المقاومة الفرنسية بالجزائر أظهر معارضة وعدم مبالاته بالبيان(2) .

كما أصدروا في العام نفسه ما عرف بـ(بيان الشعب الجزائري)، أضافوا فيه إلى مطالبهم السابقة مشروعهم للإصلاحات السياسية والاقتصادية، المتلخصة في المطالبة بإنشاء دولة جزائرية لها دستورها، ومجلس جزائري انتقالي منتخب من جميع سكان الجزائر . لكن هذا المشروع مُني بالرفض أيضا (3) .

ثم تحول البيان إلى كتلة وطنية ضمت إلى جانب فرحات عباس وحزبه حزب الشعب، وجمعية العلماء، والحزب الشيوعي الجزائري، وأصدروا إعلان (أصدقاء البيان والحرية) في 1944/03/14، رمى لتوحيد صفوف الأحزاب الجزائرية، وأصبح يطالب بإسمه بإنشاء جمهورية جزائرية قصد تكوين إتحاد فدرالي مع فرنسا ضد الإمبريالية والاستعمار(4).

1ـ المصدر نفسه، ص172 .

2 ـ بوحوش، مصدر سابق، ص236 .

3 ـ المصدر نفسه، ص236 .

4 ـ المصدر نفسه، ص 239 .

وكان من أهداف حركة أحباب البيان والحرية، كما حددها فرحات عباس ما يأتي :

- الدفاع عن البيان باعتباره مهمة عاجلة وأكيدة - نشر الأفكار الجديدة باعتبارها روح الحركة - استنكار الاستبداد والتنديد بالعنصرية وجبروتها(1).

وفي سنة 1946 أنشأ حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، معلنا الشعارات الآتية : جمهورية ذات استقلال ذاتي تتمتع بالسيادة وعلمها -2- دولة منضمة للإتحاد الفرنسي -3- برلمان منتخب أعضاؤه من طرف جميع الجزائريين -4-حكومة مكونة من رئيس جمهورية يُختار بطريقة مباشرة-5- يمثل فرنسا في الجزائر مندوب عام، ويكون له صوت إستشاري في مجلس الوزراء(2) . وهذه المبادئ تكشف عن الركائز الإيديولوجية للإتحاد وهي :الإيمان برسالة فرنسا التحضيرية في بلادنا - ربط مستقبل الجزائر بالديمقراطية الفرنسية، والجالية الأوروبية بها في إطار الكونفدرالية الفرنسية بشكل لا يسمح باستقلال الجزائر الكامل عن فرنسا -3- عدم اللجوء إلى العنف والثورة ضد فرنسا مهما كانت الأمور (3) .

وعلى عادة الأحزاب والجمعيات الجزائرية التي لم تكن تهمل الطرح الاجتماعي من برامجها ومطالبها، فقد عبر فرحات عباس (الكاتب العام للإتحاد الديمقراطي) عن رؤية حزبه لكثير من هذه القضايا، فقال في مؤتمر الحزب عام 1948 : "ففتح مدرسة معناه طرد الجهل بعيدا عنا، وإنشاء طريق عبارة عن تحصيل شئ من أسباب الحضارة، وتشييد مستشفى عبارة عن تقهقر جيوش الأمراض، وبناء خزان وتنمية الفلاحة زيادة في خصب البلاد، وبناء مسكن

---

1 ــ عباس ، فرحات : مصدر سابق ،ص181،182 .

2 ــ بوحوش: مصدر السابق، ص240،241

3 ــ بوعزيز، يحي: مصدر سابق، ص15 .

يوفر شيئـــا من السعـــادة العائلية، وسيكون العمل الاجتماعي أهم الأغراض التي ينبغي تحقيقها، فتحسين حالة المرأة المسلمة وتعليمها وترشيدها، هـــي الشـــروط الأساسة لتحريرنا الوطني، فالشعب عبـــارة عـــن بنيـــان مرصـــوص متماســـك الأجزاء(1) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) المصدر نفسه ، ص 66، 67 .

المبحـــث الثالـــث

الاتجاهان الثوري والإسلامي الاستقلاليان

المطلب الأول : الاتجاه الثوري الاستقلالي :

يمثل الاتجاه الثوري الاستقلالي في الحركة الوطنية، الحزب الذي ظهر بالتسميات الآتية على التدرج:

1-حزب نجم شمال إفريقيا -2- حزب نجم شمال إفريقيا المجيد -3- حزب الشعب الجزائري P.P.A -4- حركة انتصار الحريات الديمقراطيةM.T.L.D.

وسوف نتناول في هذا المبحث الاتجاه الثوري من خلال هذا الحزب، الذي اضطرته الأحداث، لأن يُطل على الحياة السياسية، بالأسماء المذكورة.

أولا : حزب نجم شمال إفريقيا : تأسس في باريس سنة 1926، وقد أُعتبر تأسيسه بمثابة الحدث العظيم في تاريخ الجزائر السياسي، لإسهامه باتجاهه الثوري في دعم الحركة الوطنية بشكل فعّال، وتثقيف الجماهير سياسيا، خاصة منهم العمال المهاجرين والتعريف بالقضية الجزائرية عالميا[1]. ومما يؤكد هذا الرأي استمرار هذا الحزب في تأثيره الفعال، ليس في مسار الحركة الوطنية فحسب، بل في تاريخ الجزائر المعاصر قاطبة*.

وقد حدد النجم- منذ البدء- هدفيه الرئيسين وهما: تحقيق الاستقلال بالوسائل الثورية، وهو هدفه البعيد والدفاع عن المصالح و مطامح عمال شمال

---

[1] - سعد الله : الحركة الوطنية، مصدر سابق ص 383 .

- يمكن إدراج الكثير من الصراعات السياسية في تاريخ الجزائر المعاصر في سياق هذا التأثير، ولعل أبرز أمثلته الجدل الدائر حول شخصية زعيم الحزب مصالي الحاج، وموقفه من ثورة التحرير الجزائرية.

إفريقيا، وهو هدفه القريب آنئذ، فأعلن زعيم الحزب مصالي الحاج(1898/1974) منذ البداية عن جمع حركة النجم للعناصر الجزائرية المغتربة المتحمسة للعمل من أجل استرجاع السيادة الوطنية، والنظام من أجل استعادة الأراضي المغتصبة، وحصول الجزائر على استقلالها التام وخروج القوات الفرنسية منها، وإنشاء جيش وطني جزائري، وانتخاب برلمان جزائري عن طريق الاقتراع العام(1) . وهو إعلان تام الوضوح في التعبير عن نزعة الحزب الاستقلالية والرؤية السياسية الناضجة التي عبر بها هذا الفصيل من الحركة الوطنية، في هذا الوقت المبكر من نضالها السياسي .

ومن الملائم التعرف عن الظروف التي ساعدت على إنشاء الحزب وهي :

-تزايد العمال الجزائريين المهاجرين في تلك الفترة، فبلغ عددهم 105.000 عاملا سنة 1929- انخراطهم في نقابات عمل يسارية فرنسية – بروز صحوة إسلامية في عقد العشرينات مناهضة للاستعمار – بروز منظمات اشتراكية دولية تعمل ضد الاستعمار، وتحرير الشعوب – انخراط 8.000 عامل مغترب جزائري عند تأسيسه(2).

إلا أن هذه العوامل الموضوعية لم تكن – وحدها بالطبع- كافية لإنشاء حركة سياسية ثورية النزعة، لولا وجود شخصية سياسية تتمتع بالنزعة ذاتها، هي شخصية زعيم الحركة مصالي الحاج فقد" أثبت... أنه كان مؤمنا بهدف واضح، وهو الاستقلال الكامل للجزائر، لم يخضع لقسوة الظروف أحيانا ولا للضغوط الشديدة التي كانت تمارس عليه ... وكان بذكائه ودهائه وشخصيته القوية، قد استطاع أن يسطير على زمام الحركة ... حتى أصبح هو في حد ذاته مدرسة في الوطنية والتضحية . والمناورات السياسية، والصبر على المكاره والثبات

1ـ سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ج3، ص119.

2 ـ بوحوش: مصدرسابق، ص289 .

على المبدأ "[1] لم يمكث مصالي الحاج بين أحضان الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي انتمى إليه سنة 1925، إذ خرج منه وهاجمه مؤكدا رغبة الجزائريين في الاستقلال وليس الوصاية الشيوعية التي تضر أكثر مما تنفع الجزائريين، واعتبر تركه الشيوعية تركا للموت وتمسكا بالوطنية رمز الحياة [2] .

ومما أسهم في تغيير اتجاهه من المنحى الشيوعي الدولي نحو الاتجاه العربي الإسلامي علاقته بالأمير شكيب أرسلان (1366/1286هـ 1946/1869م) منذ سنة 1932 [3] . والتي أنتجت لدى الطرف الآخر(الاستعمار) مخاوف أكدها مصالي الحاج حين قرر سنة 1935 التوجه بقيادة وفد من رفاقه لحضور مؤتمر مسلمي أوروبا بجنيف برئاسة الأمير أرسلان[4].

كما كانت نزعة مصالي الثورية الاستقلالية، تمتد لتستهدف الاستعمار في كل مكان، فدعا في السنة الأنفة الذكر للعنف ضد الامبريالية الفرنسية والإيطالية في إثيوبيا، فشعرت فرنسا بخطورة هذه النزعة، وأخذت شرطتها تضطهد قادة النجم وتحاكمهم[5] .

فكانت هذه إحدى الصعوبات التي صار يلاقيها (النجم) . إضافة لنقص المال وصعوبة ربط الصلة الوثيقة بين القاعدة والقمة في الحزب، فقرر مصالي في ديسمبر 1935 اللجوء إلى جنيف، وترك خلايا الحزب تعمل في فرنسا،

---

1 ــ سعد الله : الحركة الوطنية ج3، ص120 .

2 ــ المصدر نفسه، ص291 .

3 ــ المصدر نفسه ، ص125 .

4 ــ بوحوش: مصدر سابق، ص293 .

5 ــ المصدر نفسه، ص293 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أي اعتماد إستراتيجية المحافظة على القيادة خارج السجون و عزلها[1] .

ولعل استعراض الأحكام الإدارية والقضائية المختلفة والكثيرة المتعلقة بالحزب، يبرز لنا اضطراب الإدارة الاستعمارية إزاء حركته ومواقفه من جهة، ومدى تأثيره في قواعد معينة من الشعب الجزائري كالعمال من ناحية أخرى*. وفي 1937/01/26 قرر الحاكم العام(لوبو) le beau، حل الحزب بعد حصوله على مرسوم من حكومة الجبهة الشعبية، التي وثق بها مصالي[2].

ثانيا:حزب نجم شمال إفريقيا المجيد: من الواضح أن هذا الاسم لم يكن سوى استجابة للظروف كي يظهر النجم قانونيا باسم يبدو جديدا، خاصة بعد انخراط الحزب في عمل سري، إثر حله سنة1929 إلى غاية سنة1933، التي تأسس فيها الحزب بالاسم الجديد . فعقد مؤتمره في 1933/05/28، وصارت له هياكل تنظيمية محددة المهام، واللجنة التنفيذية ورئاسة الإدارة السياسية وتكوين اللجنة المركزية[3].

أما المطالب فتُظهر لنا الوجه الاستقلالي الذي ظهر به الحزب منذ انطلاقته* والكف عن هذا المطلب تحديدا في مؤتمر الحزب الجديد . والاقتصار على مطالب اجتماعية واقتصادية وتربوية و خدماتية فضلا على مطالب سياسية لا توحي بمطلب الاستقلال عن الدولة المستعمرة . وواضح أن هذا تعبير عن درس تعلمه قادة الحزب في فترة النضال السري، فلجأوا للمناورة والتعامل الواقعي مع الأوضاع في المستعمرة.

1ـ المصدر نفسه، ص 294

*أنظر ـ مثلا ـ حول قرارات الحل التي تعرض لها الحزب : بوحوش : المصدر نفسه ،ص290، 291، 292.

2 ـ المصدر نفسه : ص 301

3 ـ مناصرية: مصدر سابق ، ص 76 .

وقد لجأ (النجم) في عمله السياسي لوسائل أهمها : الاحتجاج والتظاهر والصحافة والتجمع، فلا تكاد تمر حادثة أو مناسبة وطنية أو عربية تتطلب اتخاذ موقف إلا أثبت النجم وجوده([1]).

ثالثا : حزب الشعب الجزائري P.P.A : تأسس في 1937/03/11، فكان طبعة جديدة "للنجم " في أهدافه واستراتيجية عمله، فمن أهدافه : تحسين الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للجزائريين، ومن الأهداف البعيدة استقلال الجزائر التام، وبناء أسس دولة جزائرية مرتبطة بماضيها العربي الإسلامي يُحترم فيها الإسلام دينا والعربية لغة، وتسود العدالة الاجتماعية والعمل مع الدولة الأخرى على الاستقرار والأمن ومنح الحرية للإنسانية كافة في إطار التعاون الأخوي([2]) .

وبما أن أكثر المضايقات التي تعرض لها الحزب في طبعته الأولى(أي النجم)، كانت بسبب نزعته الاستقلالية الواضحة الطافحة، أدرك قادته- كما يتضح من توصيات مؤتمر حزب الشعب سنة 1938- أن المناداة بالاستقلال التام قبل تهيئة الشعب سياسيا وثقافيا أمر صعب تحقيقه، في ظل استعمار مستعد للتضحية بكل القيم الإنسانية في سبيل المحافظة على مصالح في مستعمراته([3]).

لهذا لاحظ المؤرخون اختيار مصالي الحاج " طريق المرونة والابتعاد عن المواجهات السياسية التي قد تحطم حزبه فتخلى عن استعمال كلمة الاستقلال وركز جهوده على مسألة تحرير البلاد من الهيمنة الفرنسية ([4]) * .

---

1 ــ سعد الله : **الحركة الوطنية**، ج3 (مصدر سابق) ،ص 121، 122 .

2ــ مناصرية : مصدر سابق، ص 94، 95 .

3 ــ عبد الكريم بو الصفصاف : مصدر سابق، ص 235.

4 ــ بوحوش : مصدر سابق، ص 302 .

•لاحظ أبو القاسم سعد الله، استبدال كلمة(التحرير) أو (التحرر) EMANICIPATION بدل الاستقلال طيلة الثلاثينيات من قاموس استعمال حزب الشعب تفاديا للتصادم المباشر مع الإدارة الاستعمارية.

– سعد الله (تقديم) في : مازن صلاح مطبقاني : دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للحركة الوطنية، ط1،دمشق ــ بيروت: دار القلم بدارة العلوم،1408هـ 1988م ص 11 .

لهذا عمل على الانفتاح على جميع فئات الشعب الجزائري الاجتماعية والمهنية، يدافع عنهم وينطق باسمهم، ويهتم بجميع مصالحهم ومطالبهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والنقابية، والقوانين الاجتماعية وحماية الطفولة والنظافة والرعاية الاجتماعية([1]) .

لكن الاستعمار الذي لم تكن تخفى عليه أهداف حزب الشعب الحقيقية لم يفوت فرص عرقلة الحزب عن الاستمرار في نشاطه السياسي والإعلامي وانتهى بالقضاء على الحزب خلال صيف1939، فبدأ بمصادرة جريدة الأمة* بدعوى نشرها مقالا هاجمت فيه وحدة التراب الوطني، وسلطة فرنسا في المناطق التي تحت سيادتها كما أُعيد اعتقال مصالي في 1939، وصدر قرار بحل الحزب ومنع الجريدة من الصدور في السنة نفسها ([2]).

وقد تكون هذه الإجراءات القمعية التي تعرض لها الحزب، فضلا عن الوضع العام في البلاد، هي السبب في ظهور جناح ثوري داخل حزب الشعب يدعو لإنشاء تنظيم عسكري سري، بداية من السنة 1945 الدامية، مع بقاء جناح في الحزب يدعو إلى تنظيم جديد شرعي يواصل العمل الثوري([3]) ربما بالطرق السياسية مع الحفاظ على الروح الثورية للحزب .

رابعا حركة انتصار الحريات الديمقراطية M.T.L.D : تأسست سنة 1947، وعقدت مؤتمرها الأول في 1947/2/15 .وقد تدرج الحزب في سياسته عبر مرحلتين هما : الأولى : تمثل سياسة الهجوم، واستعمال العنف ضد الإدارة الاستعمارية، وامتدت من (1947-1948) .

---

1 ــ مناصرية: مصدر سابق، ص93.

* جريدة الأمة أنشأها حزب النجم سنة 1930، أثناء فترة حله، وكانت تصدر بالفرنسية بباريس، وتطبع بالآلاف، إذ بلغت سنت1934، 44،000 نسخة، ورغم منعها من الدخول لشمال إفريقيا فقد كانت توزع سرا. واستمرت في الصدور حتى سنة 1939 .

- سعد الله: الحركة الوطنية ج3 (المصدر السابق)، ص 122،،123 .

2 ــ المصدر نفسه: ص 147 .

3 ــ بوحوش: مصدر سابق، ص 310 .

الثانية : تتمثل في سياسة الدفاع والوقاية ضد سياسة العنف والعجرفة التي كان يتبعها الوالي العام الجديد (ناجيلان) ضد الحزب والتيار الوطني الاستقلالي، بغية تحطيمه، وامتدت من (1948-1950)([1]) .

ومع ذلك حافظ الحزب على سياسته المطلبية الدالة على ثبات نظرته للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية *، ومن الأساليب السياسية التي انتهجتها حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، المشاركة في الانتخابات أو الامتناع عن ذلك منذ سنة 1947 حسب الظروف، ومن النتائج الايجابية ما يلي :

1. إكراه الاستعمار على اللجوء إلى العنف، لفضحه أمام الرأي العام الفرنسي والعالمي .
2. التمكن من الاتصال بالجماهير لمخاطبتها، ودفعها للكفاح ([2]).

لكن هذه السياسة كانت مرصودة من الفئة الأوروبية المستعمرة، خاصة إثر الإصلاحات التي منحها قانون 1947/09/20 أو ما عُرف بالدستور الجزائري فسمح بإنشاء (المجلس الجزائري) على أن يتكون من60 نائبا للأوروبيين و60 نائبا للجزائريين، فأثروا على حكومة بلادهم، التي عينت (ناجيلان) حاكما عاما على الجزائر، الذي جاء ليقضى على رغبة الوطنيين في الفوز في الانتخابات 1948/04/04 عن طريق التزوير، المتمثل في أساليب مختلفة كاعتقال أكثر المنتخبين في M.T.L.D، ومحاكمتهم، ومنع الجرائد من الصدور، وتوزيع بيانات الحملة الانتخابية، وإشراف الشرطة على مكاتب الإقتراع ([3]) .

وقد شهد الحزب صراعات وانقسامات كبيرة كان لها أثرها الحاسم في تقرير مسار البلاد، وتحديد كيفية التعامل مع المستعمر . فنتيجة للصراعات الكثيرة بين الأطراف الرئيسة في M.T.L.D وهم : المركزيون (الجناح اليميني) المصاليون(أنصار مصالي المنفي). أعضاء المنظمة السرية (الثوريون)،

---

[1] ـــ يحي بوعزيز: مصدر سابق ، ص17، 18

* انظر: تقرير للجنة المركزية للحزب في المؤتمر الثاني (1953) في: بوعزيز، يحي: المصدر نفسه: ص 95، 99، وكذلك اللائحة العامة .ص 160، 162.

[2] ـ المصدرنفسه، ص 89 .

[3] ـ بوحوش ؛ مصدر سابق ، ص 315-317.

ومحاولاتهم الفاشلة في عقد مؤتمر وطني للحزب منذ 1952/3/2، ونزول هذه الصراعات إلى القاعدة، والاتهامات ومحاولات الإقصاء المتبادلة، وإدراك قادة المنظمة الخاصة عدم جدوى مساعيهم لعقد مؤتمر موحد لأعضاء الحزب، قرروا إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل C.R.U.A في 1954/3/23 ([1]) .

كما شهدت الحركة انقسامها النهائي نتيجة مؤتمر الحزب في بلجيكيا من 14-1954/06/17، هذا المؤتمر الذي منع المصاليون من حضوره، وانتهى إلى قرارات أهمها : انتهاج العمل الثوري المتضمنة في وثائق حزب الشعب، وإنشاء مجلس وطني للثورة بدلا من اللجنة المركزية، ونتيجة لهذه المواقف والقرارات انقسمت الحركة إلى قسمين هما : المركزيون والثوريون، ثم المصاليون، إلى قيام الثورة والاستقلال([2]).

---

[1] المصدر نفسه : ص 330-335 .

[2] المصدر نفسه : ص 338-340 .

المطلب الثاني :الاتجاه العربي – الإسلامي الاستقلالي (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)

سنفصل القول في هذا الاتجاه، باعتبار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المحضن الذي ترعرعت فيه أفكار ونشاطات الشخصية التي نترجم لصاحبها، وندرس فكره الإصلاحي . فكل ما صدر عن باعزيز بن عمر من أعمال أو أفكار إصلاحية، إنما هي انعكاس لتعاليمها، ومبادئها الإصلاحية .

يذهب الدارسون إلى أن ظهور جمعية العلماء(1931)، سبقته جهود فكرية وعملية إصلاحية، غير أنها كانت منقوصة من الهيكلة والتنظيم. وتمتد جذور الدعوة للإصلاح إلى السبعينيات من القرن 19، من خلال كتابات عبد القادر المجاوي (1364-1332هـ/1848-1913م)*، والذي نشر أفكاره عن طريق المدرسة وتلقاها تلاميذه كابن أبي شنب (1286-1347هـ/1869-1929م)**، وابن الموهوب(1283-1358هـ/1866-1939م)***

---

*عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن المجاوي: مصلح ، خطيب، من كبار العلماء، ولد بتلمسان، وتعلم بها وبطنجة وتطاوان، وأكمل دراسته بجامعة القرويين بفاس. وعاد إلى الجزائر، فعين مدرسا بجامع الكتاني والأئمة والوعاظ ، مات بقسنطينة. من آثاره: – اللمع في إنكار البدع – إرشاد المعلمين – نصيحة المريدين، و غيرها .– نويهض عادل: أعلام الجزائر

**محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب: باحث، عالم بالأدب، ولد بفحص قرب المدية، وتعلم بالمدينة وبمدينة الجزائر، التحق ، عين أستاذا بكلية الجزائر، أستاذا للعربية، منحته الجامعة الجزائرية لقب دكتورفي الآداب عام 1920م، يحسن الفرنسية والفارسية والعبرية والايطالية والتركية والاسبانية وغيرها. بالمجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1920، وعضوا بالمجمع العلمي الستعماري بباريس سنة 1924. مثل الجزائر في عدة مؤتمرات بالرباط واكسفورد ن له عدد هائل من التآليف والتحقيقات والترجمة .

– المصدر نفسه، ص189–191.

***.المولود بن محمد السعيد بن الشيخ المدني بن العربي بن مسعود، ابن موهوب كاتب،خطيب، شاعر، نشأ وتعلم بقسنطينة. عين سنة 1895 أستاذا للفقه والعلوم الإسلامية بمدرسة سيدي الكتاني بقسنطينة ثم مفتيا للمذهب المالكي بها.كان يلقى محاضرات بنادي صالح باي، والدروس بالجامع الأخضر .له شعر جيد في محاربة البدع، وعدد من المقالات الاجتماعية والثقافي، وكان يحسن الفرنسية، ويجادل المستشرقين والمستعمرين.

–المصدر نفسه، ص324.

و ابن الخوجة(1281-1333 هـ/1865-1915م)* .

كذلك شيوع فكرة الجامعة الإسلامية ووصول رسل السلطان عبد الحميد إلى الجزائر وزيارة محمد عبده(1266هـ،1849م/1323هـ،1905م) لها، وإقامة وزيارة، علماء ومشايخ الجزائريين للشرق والحجاز(1) .

غير أنه عدا المسألتين الأخيرتين من هذه الجذور/ الأسباب، يمكن عدّ العوامل المذكورة قليلة الأثر في ظهور الإصلاح، وحركته النظامية بالجزائر.

أما عوامل النشأة الحقيقية والمباشرة، فيضبطها على وجه دقيق الشيخ محمد البشير الإبراهيمي(1889 /1965) على النحو الآتي:

1. فليست مجرد زيارة محمد عبده للجزائر هي التي نهضت بالعلماء للإصلاح، بل الأثر الحقيقي والفعّال هو ما يَنقل عنه من معجبين وشانئين مخاصمين، في النفوس الضائقة بالواقع المتطلعة لتغييره، يُضم إليه فعل (المنار)، وكتب المصلحين كابن تيمية وابن القيم والشوكاني.

2-الثورة التعليمية التي أحدثها ابن باديس، وطريقته الجديدة في التربية والتعليم، التي أنتجت الفوج الأول وما تلاه من طلائع العهد الجديد.

3 ــ التطور الفكري الذي بان على الناس إثر الحرب العالمية الأولى، فسقطت من أعينهم كثير من الأوهام التي كانوا يقدسون بعد أن تكالب أصحابها على الدنيا وملذاتها.

4-عودة فئة من الجزائريين من أرض الحجاز بعد تلقيهم العلم، بفكرة إصلاحية ناضجة، متأثرة بقوة وحرارة الإصلاح المنبعث من القرآن والسنة؛ لا بحال غالبة

---

* محمد بن مصطفى بن محمد بن خوجة المشهور بالكمال: شاعر، كاتب، عالم بالشريعة واللغة، ولد ونشأ بالجزائر العاصمة. عين مدرسا بمسجد سفير حيث أقرأ التفسير والفقه والتوحيد. له مواقف معروفة في مقاومة الاستعمار الفرنسي ومحاربة البدع. يعد من أوائل تلاميذ محمد عبده الذين نشروا مذهبه خارج مصر ، له تآليف كثية . ــ المصدر نفسه، ص138.

1ــ أبو القاسم سعد الله : أفكار جامحة، .(د.ط)،الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،1988 ص 32، 33، 89، 90 .

في الحجاز آنذاك([1])* .

فهذه العوامل إن أنبأت عن تأثر حركة الإصلاح في الجزائر، بمناخ وحركية الإصلاح التي عمت العالم الإسلامي آنئذ، إلا أن أصالة الحركة في تفكير زعمائها وأدائهم الإصلاحي يدل عليها بعض العوامل كاعتماد التربية والتعليم مسلكا لتغيير الناشئة، بوصفها عمدة التوجيه -مستقبلا- للمجتمع. كذلك إحداث نقلة فكرية متطورة فيه، أصبحت فئات كثيرة منها مستعصية عن الاستذلال باسم الدين المحرف والمعتقدات الضالة.

وقد نزع هذا الإصلاح المنظّم المخطّط عن وعي عميق بخطورة الوضع الذي آلت إليه الأمة، لدى رواد الحركة خاصة زعيمها ابن باديس، وهناك وثائق هامة تكشف عن ذلك، منها ما جرى في اجتماع خاص سنة 1928 عرف باسم "اجتماع الرواد " فقد " دعا ابن باديس ثلة من العلماء العائدين من الزيتونة، والمشرق العربي لدراسة الحالة الراهنة، والتعاون على وضع خطة عمل لإنقاذ الشعب الجزائري قبل فوات الأوان فلبى الدعوة جمع منهم ... وألقى ابن باديس فيهم خطابا استعرض فيه الخطة التنفيذية للاستعمار من اغتصاب أرضنا، والدفع بالشعب للسكن في الكهوف و المغاور والجبال، شُغله الشاغل إضعاف الشخصية الجزائرية، وإحلال الشخصية الفرنسية محلها، وعرض سياسة الاستيطان المعروفة والقوانين الجائرة . ثم شبّه يوم العلماء آنذاك بموقف طارق بن زياد مع المجاهدين على ربوة جبل طارق فقال : وأنا اليوم أقول لكم لم يبق لنا إلا أحد أمرين لا ثالث لهما: إما الموت والشهادة في سبيل الله منتظرين النصر الذي وعد الله به عباده المؤمنين أو الاستسلام، ومدّ أيدينا إلى الأغلال وإحناء رؤوسنا أمام الأعداء فتكون النتيجة لا قدر الله أن يجري علينا ما جرى ببلاد الأندلس وغيرها من البلاد الإسلامية حين تركت الجهاد واستسلمت للأعداء، فأجابه العلماء

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،(د.ط)،الجزائر: دار الكتب، ص 47، 48 .

* در ء الشبهة الوهابية التي كانت تلصق بالحركة الإصلاحية بالجزائر.

للاستعداد للأمر الأول وهو التضحية في سبيل الدين والوطن[1]. ثم أسفر هذا الاجتماع عن مخطط عمل أهم بنوده هي :

1. تكوين لجنة من العلماء للتسيير والتنفيذ .
2. الشروع فورا في إنشاء المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية، والتربية الإسلامية.
3. الالتزام بإلقاء دروس الوعظ لعامة المسلمين، في المساجد الحرّة، والجولان في أنحاء الوطن لتبليغ الدعوة الإصلاحية لجميع الناس .
4. الكتابة في الصحف والمجلات لتوعية طبقات الشعب .
5. إنشاء النوادي العربية للاجتماعات والخطب والمحاضرات .
6. إنشاء فرق الكشافة الإسلامية في كافة أنحاء البلاد .
7. العمل على إذكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحرير البلاد من العبودية والحكم الأجنبي؛ لأن المبدأ الذي يجب أن نسير عليه هو إتباع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي علّم أصحابه أولا العقيدة والإسلام، ثم سلحهم بالسيوف وأدوات القتال، فكلا السلاحين لا يُغني أحدهما عن الآخر[2]* .

فأهداف الجمعية -إذن- ومنهاجها ووسائل عملها المنظّم واضحة- على الأقل بالنسبة لقادتها- قبل تأسيسها، ممّا يفيد أن الإصلاح كان منهجا محكما وغاية محددة ووسائل مرصودة، لعمل شُرع في إنجازه، وما زاد تأسيس جمعية العلماء في الأمر سوى أن ترقى بها إلى مصاف الأعمال التي تحويها القوانين، وتثبتها الإجراءات ثم تسري أعمالا في طبقات الأمة، بكيان معروف الاسم محدد المعالم.

وإذا صح اعتبار عوامل نشأة الإصلاح المنظمة السابقة الذكر، عوامل داخلية أو ذاتية فهناك أسباب أخرى خارجية عن الحركة، ذهب مؤرخون إلى اعتبارها في تأسيس جمعية العلماء منها :

---

[1] ــ خير الدين ، محمد: مصدر سابق، ص 83، 85 .

[2] المصدر نفسه : ص 85، 86

* تأكيدا على عنصر التخطيط لعمل الجمعية قبل التأسيس انظر -أيضا- الإبراهيمي : " أنا" مجلة الثقافة،عدد87، وزارة الثقافة، الجزائر،1405،15هـ 1985م

1. أن ذلك ردّ عملي على المؤتمر المسيحي الذي انعقد بالعاصمة (الجزائر) في 1930/07/5، وقد حضره مئات من رجال الدين المسيحي من شتّى البلاد الأوروبية وأعلنوها صليبية جديدة وصرّح بمناسبتها كبير أساقفة الجزائر قائلا:إننا لا نحتفل اليوم بمرور مئة سنة على احتلال فرنسا للجزائر، وإنّما نحتفل بدخول المسيحية من جديد إلى إفريقيا الشمالية ([1]) .

2. الوقوف في وجه النخبة المستلبة للثقافة الفرنسية، والمتنكرة لقيم الأمة المستمدة من الإسلام ([2]).

3. رد الفعل على الاحتفالات المئوية ([3])*.

لكن دون الانتقاص من هذه العوامل ودورها في الدفع بالجمعية للانتظام داخل هيكل قانوني معلن، خاصة السبب الأخير المُعبّر عن ردّات الفعل الملحوظة آنذاك في الأوساط الشعبية والسياسية الجزائرية ، فإننا لا نراها ترقى لأهمية الأسباب الأولى المتسقة مع سنة التجديد، الذي قضى الله ورسوله أن تشهده الأمة متى أدركها الوهن، وانحطت إلى دركات الجهل والضلال، والفوضى العارمة . صحيح أن الاستعمار كان أمّ كل ذلك، لكننا نعتقد أن الجمعية كانت ستوجد لو أن الأمة أصيبت بهذه النواقص ولا استعمار هناك . فهي حركة تجديدية تغيرية، ممتدة الأروقة على جميع مناحي الواقع الجزائري .

كان قادة الجمعية يدركون أنهم يزاولون عملا حركيا بالمفهوم العصري للحركة التي تعني " كل مبدأ تعتنقه جماعة، وتتساند لنصرته ونشره والدعاية

---

[1] المصدر نفسه: ص 110، 111 .

[2] بوحوش : مصدر سابق ، ص246 .

[3] سعد الله: الحركة الوطنية ج2 ، ص 308 .

*كلف الاحتفال بمئوية احتلال الجزائر، الخزينة الفرنسية حوالي 130 مليون فرنك (قديم)، الهدف منه إظهار الفرح بالقضاء على الدولة التي كانت تحرج أوروبا حوالي ثلاثة قرون . وشمل البرنامج الاحتفالي.../.../.../...معارض، واستعراضات، المحاضرات، وألعاب ، وأفلام، ومطبوعات، وجولات سياحية، وقد تولت أكاديمية الجزائر طبع سلسلة من الأعمال الدعائية، عنوانها (مجموعة الاحتفال.المئوي) . ومن ردود فعل الجزائريين على هذا الاحتفال العبارة الدائرة على الألسنة وهي :إنهم يحتفلون بالقرن الأول ولكنهم لن يحتفلوا بالقرن الثاني . - المصدر نفسه، ص 306، 307 .

والعمل له عن عقيدة، وتهيئ لـه نظامـا محـددا، وخطـة مرسـومة، وغايـة مقصودة"[1]. قامت هذه الحركة على(الأصول العشرين)* التـي صـاغها ابـن باديس، ملخصا مفاهيم الجمعية ومبادئها العقائدية والاجتماعية والخلقية والسياسية والاقتصادية، وهي تمثل المنهج الذي ألتزمته جمعية العلماء في جهادها التغييـري عبر المجالات الآتية:

- في المجال الديني: أسّسوا المساجد وكونوا الأئمة والمفتين الذين حافظوا على الإسلام وشريعته، وعملوا على العودة بالناس إلى صفائه، واجتهـدوا فـي التأسي بالسلف الصالح .
- في المجال الثقافي : عملوا على بعث الثقافة العربية الإسلامية وإحياء اللغـة العربية، وإبراز التاريخ الجزائري لصد محاولات التزييف والتحري وتجلى هذا المجهود الحضاري فـي المسـجد والمدرسـة والصـحيفة والنـادي، والمشاركة في المؤتمرات والندوات والتجمعات .
- في المجال الاجتماعي : حاربوا الفساد الاجتمـاعي والانحرافـات كـالخمر والميسر، والبطالة والفجور، ونادوا بتحرير المرأة المسلمة بتعليمها تعليمـا عربيا إسلاميا، كي يتأتى لها تخريج الأولاد والبنات الصالحين والصالحات .
- في المجال السياسي : حاربوا الطرقيين المبتـدعين المـوالين للاسـتعمار، وهاجموا الإدارة الاستعمارية ووصفوا أعمالها بالوحشية وغيـر الإنسـانية، وأحبطوا مساعي حركة الاندماجيين، والعمل مـن أجـل إتحـاد الأحـزاب الوطنية الجزائرية ([2]) .

فما من نشاط من هذه الأنشطة إلا أمكن ردّه لأصول الحركـة العشـرين، فإحباط مساعي الاندماجيين – مثلا- من باب إرشاد الضالّ مـنهم، والشـدة مـع المعاند المستغل من بعضهم الآخر. والدعوة لإتحاد الأحزاب الوطنية مـن بـاب التآزر عند المصلحة العامة، وتناسي الخلاف حتى تنفرج الأزمة .

---

[1] ــ الإبراهيمي : سجل مؤتمر جمعية العلماء، ص 47

* انظر القانون الأساسي ومبادئ الجمعية، المطبعة الجزائرية الإسلامية، (د.ت) .

[2] ــ بوالصفصاف : عبد الكريم: مصدر سابق، ص 146ــ 148.

ومدار الإصلاح لدى قادة الجمعية -خاصة لدى ابن باديس – إصلاح الباطن باعتباره أساس الإصلاح الاجتماعي إذ تنبع الأخلاق من داخل النفس الإنسانية، والوسيلة هي تطهير القلوب وتغيير النفوس، مما يؤدي إلى تغيير المؤسسات الاجتماعية ([1])، ويظهر أثر هذا الفقه في الأولويات عند تناول مسألة الجمعية السياسية، " فلم يكن القيام بأي عمل في النظام السياسي أو الاجتماعي ممكنا قبل تحرير الضمائر" ([2]) بتصحيح العقيدة، وإنقاذ الأمة من سطوة الطرائق الضالة، و ربقة الجهل والأمية وقد اعتمدت جمعية العلماء في أداء رسالتها، وتحقيق أهدافها الوسائل الآتية:

- التعليم بفتح المدارس والمساجد لتعليم القرآن والعربية.
- تأسيس الأندية للشباب في الوطن، وفي فرنسا للعمال الجزائريين .
- إرسال الوفود التي تجول في البلاد لتبليغ الدعوة، وتنشيط الحركة الإصلاحية
- إنشاء الصحافة الوطنية.
- إنشاء الكشافة الإسلامية والهيآت الرياضية والفنية([3]) .

وعن دور الأندية والهدف منها ورد في التقرير الذي قدمه المجلس الإداري باسم الجمعية إلى الإدارة سنة 1363هـ ما يلي: " جمعية العلماء ترى أن النوادي التي أسستها أو تؤسسها هي في حكم مدارس التعليم ومكملة لوظائفها؛ لأن طبقات الأمة ثلاث : صغار تضمهم المدارس الابتدائية وكبار تجمعهم المساجد وشبان تتخطفهم الأزقة وأماكن الخمر والفجور، فإذا أرادت الجمعية أن تقوم بواجبها الديني معهم لم تجدهم في المساجد ولا في المدارس، فمن واجب الجمعية أن تنشّط النوادي لتقوم بمهمتها التهذيبية فيها "([4]) .

إن ما عرضناه عن الجمعية إلى حد الآن يمكن أن يسلكها ضمن الحالة الثقافية أو الدينية من هذه الدراسة، فما المبرّر لإدراجها ضمن الحالة السياسية ؟

---

[1] الطالبي، عمار(إعداد وتصنيف): ابن باديس حياته وآثاره.ط1؛ لبنان: دار اليقظة العربية، 1388هـ-1968، ص 100، 101 .

[2] بن نبي، مالك (مقدمة) في : الطالبي، عمار: المصدر نفسه، ص 11 .

[3] خير الدين، محمد:مصدر سابق، ص 163، 164 .

[4] انظر : التقرير المذكور، المطبعة الجزائرية الإسلامية، بقسنطينة، ص26.

خاصة أن قانونها الأساسي ينصّ(الفصل الثالث) من (القسم الأول) على أنه: "لا يسوغ لهذه الجمعية بأيّ حال من الأحوال أن تخوض أو تتداخل في المسائل السياسية "([1]) .

الحق أنّ الحديث عن الجمعية في غياب بحث دورها السياسي، سيطمس على مساحة شاسعة من تاريخ الحركة الوطنية، كما سينحسر دورها عن شقه السياسي الذي يوازي، ما قامت به في المجالات الأخرى غيره .

فمن حيث مفهوم الإصلاح لدى العلماء أنه شامل ويمتد ليغطي كل مظاهر الحياة ومجالاتها، ومنها المجال السياسي بالضرورة، وهذا ما فعله المصلحون في الجزائر . فالإسلام دين ودولة فلا حديث عن الإصلاح في الإسلام مجرد عن معنى الدولة فهو السياسة عينها فقد كان الواجب عليهم إصلاح الجانب التعبدي والسياسي أيضا ([2]) .

واحتاطت الجمعية لكيانها فلم تعلن هدفها، وطابعها السياسي صراحة لإيمانها بمبدأين هما : 1.العمل السياسي الواضح سوف يعرضها لسبطش الإدارة الاستعمارية، فتموت قبل أن تقوى .2.إن بناء الدعامة الوطنية الأصيلة يتمثل في عودة الشخصية الجزائرية، وبعدها يأتي الاستقلال الذي يقوم على دعائم متينة الأركان وقد تجلى العمل بهما خاصة في سنواتها الأولى([3]) . وكما سبق الذكر فإن المبدأ الثاني ينبيء عن فقه جيد لمسألة الأولويات .

والدلائل على ممارسة الجمعية السياسية كثيرة منها :- اتفاق معظم الكتاب على أن أهدافها سياسية أرادت ذلك أم أبت.

- خضوع كثير من رجالها للإجراءات القمعية، والتعسفية مثلما خضع لها السياسيون، فقد سُجنوا وعُذبوا ونُفوا .
- المشاركة الفعلية في المؤتمر الإسلامي الجزائري.
- اعتبار ابن باديس الاستقلال حقا طبيعيا لكل شعب ومنه الشعب الجزائري .

---

[1] ـ انظر : القانون الأساسي ومبادئ الجمعية(مصدر سابق) ص 05.

[2] ـ سعد الله، أبو القاسم: الحركة الوطنية ج 3، ص 88 و89.

[3] ـ خير الدين، محمد: مصدر سابق ، ص 300 .

- معارضة الإدماج .
- رفض تأييد فرنسا في الحرب العالمية الثانية.
- تخطيط ابن باديس للاستقلال خلال تلك الحرب ([1]) .

يُعدّ المؤتمر الجزائري الإسلامي فكرة العلماء وابن باديس تحديدا، فقد دعا عام 1935 أعضاء المكتب الدائم للجمعية، وطرح على أعضائه حال البلاد العامة المتدهورة والفوضى السياسية السائدة، واختلاف الأحزاب ثم أعرب عن رغبته في الدعوة لمؤتمر غايته الجمع وتوحيد الصف وتحديد الهدف؛ لأن المرجع في الأمور يعود إلى الأمة وبما أن الإجماع أصل في التشريع فلماذا لا نعمل به في السياسة ؟ ثم طلب موافقتهم ورأيهم لتوجيه دعوى لكل من يهمه أمر البلاد والعباد، لعقد هذا المؤتمر، لمناقشة ولتدارس الحالة وأبعادها ونتائجها، فوافقه الحاضرون ([2]) .

ولهذا كان ابن باديس موضع ثقة الجميع في المؤتمر على اختلاف اتجاهاتهم، وكانوا يقبلون منه عن رضى ما يقترح عليهم من أسماء ([3]).

وفي يوم 1936/06/06 اجتمعت بنادي الترقي القوى الجزائرية، وتدارسوا مطالب الأمة، واتفقوا على أن يضم المؤتمر النواب والعلماء، وحتى نجم شمال إفريقيا حضر بعض ممثليه ومشاركة بعض فروعه في التنظيم أو حفظ النظام يوم المؤتمر، الذي أنعقد يوم 1936/06/07 بقاعة الماجستيك بالعاصمة، وحضره حوالي خمسة ألاف شخص، وقد عرض العلماء فيه المطالب الخاصة بالعربية والمطالب الدينية([4]) .

- المطالب الخاصة بالعربية : - ترسيمها كالفرنسية تكتب معها في جميع المناشير الرسمية، وتعامل صحافتها كالصحافة الفرنسية، وتعطى حرية تدريسها في المدارس كالفرنسية .

---

[1] ــ سعد الله: مصدر سابق ج3 ، ص78، 88 .

[2] ــ خير الدين: مصدر سابق ،ص 327 -328 .

[3] ــ سعد الله : الحركة الوطنية ج3-ص 161 .

[4] ــ بو الصفصاف : مصدر سابق، ص 340 .

- المطالب الدينية هي :

أ-المساجد: تسلم للمسلمين مع تعيين قدر من ميزانية الجزائر لها، وتسيرها جمعيات دينية إسلامية (مقتضى فصل الدين عن الحكومة).

ب- التعليم الديني : تأسيس كلية للعلوم الدينية، لتخريج موظفي المساجد من أئمة، وخطباء ومدرسين ومؤذنين وقيّمين .

ج- القضاء : ينظم بوضع مجلة أحكام شرعية، تتولى هذا الأمر هيئة إسلامية، تنتخب بإشراف الجمعيات الدينية المسلمة([1]) .

وقد كان مسلك العلماء في المؤتمر موضع نقد بلغ حد القسوة، خاصة من مالك بن نبي، الذي ذهب إلى " أن الظروف الساخنة وضعت العلماء أمناء على مصلحة الشعب، فسلموا الأمانة لغيرهم؛ لأنهم لم يكونوا في مستواها العقلي، وسلّموها لمن يضعها تحت أقدامه كسلّم يصعد عليه للمناصب السياسية " ([2]).

ونرى أن هذا الرأي صائب إلى حد بعيد، ذلك أن العلماء بمبادرتهم للدعوة للمؤتمر وبروز قيادتهم في تنظيمه وصياغة قراراته، ثم المشاركة في وفد المؤتمر إلى باريس بأربعة من قادتهم في مقدمتهم ابن باديس والإبراهيمي، لم يعد مقبولا معه القول بتجنب الجمعية الظهور بمظهر القيادة المحرّكة للمؤتمر سياسيا، فضلا عن أن كل ذلك وما خفي كان معلوما لدى الإدارة الاستعمارية *الأمر الذي كان سيحبط مسعى المؤتمر لا محالة . يؤكد هذا نظرة الإدارة لدور العلماء الرئيس في المؤتمر، فهي تراهم قد حملوا النواب على المطالبة بالتمسك بالهوية الإسلامية، بوصفها إحدى مطالب المؤتمر، واستفادوا منه في الدعاية ضد التجنيس الذي كان

---

[1] ــ خير الدين : مصدر سابق : ص 334 .

[2] ــ بن نبي، مالك: **مذكرات شاهد القرن (الطالب)** .(د.ط)،د.م(:دار الفكر)،د.ت، ص233 .

***تؤكد هذا الأمر تقارير الإدارة، من خلال متابعتها لأنشطة الجمعية، ففي تقرير -مثلا- المحافظ لشرطة برج بوعريريج يقول : " إن ازدياد نفوذ العلماء هو الخطر الحقيقي على السيادة الفرنسية، لأن هدفهم هو تكوين الإنسان المسلم" ويقول إداري آخر :" على الرغم من أن الجمعية تدعى أنها غير سياسية، فإنها نواة للأحزاب الوطنية، وقاعدة ينمو فوقها الشعور الوطني".**

- مازن مطبقاني : مصدر سابق ص 82، 83 .

أمنية المنتخبين ، كما نرى أن فشله لم يمنع العلماء من المضي في إنشاء المدارس وإحياء الإسلام، والعمل على نشر أفكارهم والنضال ضد الاندماج والفرنسة ([1]) .

أما صفة (الاستقلال) التي أضفناها لهذا الاتجاه في الحركة الوطنية، فقد تظافرت النصوص والشهادات، ثم الوقائع على أنه كان أحد أهم أهدافه: فهذا ابن باديس يخاطب الشعب إثر عودة وفد المؤتمر من فرنسا قائلا: " برهنت على أنك شعب متعشق للحرية هائم بها، تلك الحرية التي ما فارقت حدودنا منذ كنا الحاملين للوائها، وسنعرف في المستقبل كيف نعمل لها، وكيف نحي ونموت لأجلها. إننا مددنا إلى الحكومة الفرنسية أيدينا وفتحنا قلوبنا، فإن مدت إلينا يدها وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد وإن ضيعت فرنسا فرصتها هذه فإننا نقبض أيدينا ونغلق قلوبنا، فلا نفتحها إلى الأبد "([2]).

وذكر الشيخ خير الدين: " أنه ذات يوم من عام 1933 إلتف نفر من الشباب المتحمس حول الإمام ابن باديس بنادي الترقي، وطلبوا منه أن يرفع صوته قويا مدويا عاليا مطالبا باستقلال الجزائر وحريتها، وقال لهم... هل رأيتم أيها الأبناء إنسانا يقيم سقفا دون أن يشيد الجدران ؟ فقالوا: كلا ولا يمكن هذا، فقال لهم : إن من أراد أن يبني داره فعليه أن يبني الأسس ويقيم الجدران ومن أراد أن يبني شعبا، ويقيم أمة فإنه يبدأ من الأساس لا من السقف" ([3])*.

وقد قسم أبو القاسم سعد الله مراحل تجربة ابن باديس على النحو التالي:

الأولى : (1910- 1920) تحضيرية – الثانية: (1921- 1930) اختبارية

---

[1] ــ المصدر نفسه، ص 175 .

[2] ــ جريدة البصائر، السلسلة الأولى . عدد 34 ، 1355/06/24هـ/11-9-1936، ص05 .

[3] ــ خير الدين، محمد : **مذكرات ج1** ، ص348 .

*** قارن بما ذكره الشيخ أحمد حماني :" كنا نسمر مع ابن باديس ذات ليلة... وأعرب عن اعتقاده بأننا لن ننال شيئا من فرنسا إلا إذا إفتككناه بالقوة وأخذناه غصبا. وسألته : لما لا يعلن هذا للناس فقال : دع الأمة حتى يضربها الحائط فتفيق، فإن هذا أبلغ في إقناعها فإذا خابت آمالها يئست، وإذا يأست منهم عملت**

– أحمد حماني : الصراع بين السنة والبدعة،ط1،قسنطينة ــ الجزائر: دار البعث،1405هـ ــ 1984م ،ج1 ، ص 248، 249 .

- الثالثة : (1931- 1939)، مواجهية . وكانت الرابعة هي المرحلة الهجومية لولا الموت، فشتان بين ابن باديس في العشرينيات يوطد أركان النهضة ويزرع التربية بالناشئة، وابن باديس وهو في سنة 1939 يناجي الحرية فيه ويهاجم ما سينيون، * ويهدد(دلادييه) ** ،كل ذلك في وقت كادت تختفي فيه كل أصوات الزعامة في الجزائر(1)، وقد أعلنت(البصائر) في إحدى افتتاحياتها: أن الإسلام يحرم الاستعمار*ونعتقد أن هذا – في ميزان الشرع- مما يُحتج به، بصدد إثبات أن الاستقلال كان هدفا رئيسا للجمعية.

وقد امتدت عناية العلماء إلى الجزائريين المغتربين في فرنسا، فاتصل بهم ابن باديس أثناء زيارته لفرنسا ضمن أعضاء وفد المؤتمر الإسلامي، وتداول معهم الحديث عن أحوال الإصلاح بفرنسا(2) . وأرسل من ينظّم لفائدة أمنهم على ديانتهم وخلقهم ولسانهم وقوميتهم، ويعد برنامجا للعمل(3) . ونقرأ عن نشاط الشيخ الفضيل(ت:1959)*هناك في رسالة نشرتها (الشهاب) بعث بها للشيخ باعزيز بن عمر، يحدثه فيها عمّا أنجزه من فتح مدارس للتربية والتعليم، وإنشاء

---

* المستشرق الفرنسي المعروف، وانظر في ذلك اثار ابن باديس ج6 وزارة الشؤون الدينية، ص 280- 282 .

** رئيس الحكومة الفرنسي ومحاولة تهديده لوفد المؤتمر بقوله : " أطلب منكم أن تمدوا لي يد المساعدة قصد المحافظة على الأمن، لا ترغموني على استعمال القوة التي بيد فرنسا، ولا تنسوا بأن فرنسا.../... دولة قوية الجانب " فأجابه ابن باديس بقوله : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الحق بجانبنا، والحق يعلو ولا يعلى عليه ومهما يكن، من أمر، فإننا مستمرون في كفاحنا أحب من أحب وكره من كره"

عباس فرحات: مصدر سابق، ص 157، 158 .

1ـ سعد الله، أبو القاسم : **في الجدل الثقافي**، (د.ط)؛ سوسة- تونس:دار المعارف للطباعة والنشر،1993، ص 212 .

• - البصائر، السلسلة الثانية، السنة 7، عدد: 299/6-5 -1347هـ- 31- 12- 1954 .

2ـ سعد الله : **الحركة الوطنية** ج 3، ص104

3ـ حماني ، أحمد : مصدر سابق، ص 272

• الفضيل الورتيلاني: خطيب، من رجال السياسة، درس على ابن باديس،و أقام في باريس سنتين يبث روح الوطنية في العمال الجزائريين بها، ثم انتقل إلى القاهرة وأخذ يدعو إلى مقاومة الاستعمار الفرنسي في أقطار المغرب العربي.، من آثاره الجزائر الثائرة .

ـ نويهض، عادل : مصدر سابق، ص340،341 .

ستة نوادي في مختلف أحياء باريس، وإلقاء المحاضرات العامة في قاعات يحصلون عليها بالكراء، أو بالطلب من الحكام المحليين وشمول التعليم للكبار والصغار، وما أصبح عليه المغتربون هنالك من معرفة الحلال والحرام والسنة والبدعة، ومبادئ الإسلام، وانضوائهم تحت راية الإصلاح بالآلاف ([1]) .

وعلى الإجمال فجمعية العلماء الجزائريين تُعد أقوى التنظيمات أثرا في المجتمع الجزائري وأوسعها انتشارا، وإذا كانت المنظمات الأخرى(بما في ذلك الأحزاب السياسية) قد خاطبت فئة معينة فقط أو انحصرت في أبرز المدن فحسب، فإن خطاب جمعية العلماء كان قد وصل أفقيا وعموديا، إلى مختلف الطبقات الاجتماعية أينما كانت ريفية أو مدنية . ومن ثم فقد هزّت المجتمع الجزائري هزّا، عنيفا كما أنها لم تستعمل الخطاب السياسي الذي لا يفهمه كل الناس و لا الخطاب المادي الذي لا يهم كل الفئات، وإنما استعملت الخطاب العقلي والروحي... الذي لا يستغنى عنه أحد في المجتمع " ([2]).

ونميل إلى أن المقصود عدم استعمال الجمعية " للخطاب السياسي، هو الخطاب الحزبي الديماغوجي، الذي تلجأ إلى استعماله-كثيرا- الأحزاب السياسية مضطرة إليه أو مختارة له . أما الخطاب السياسي الواضح المباشر فهو أحد أكثر مستويات خطاب زعماء جمعية العلماء وكتابها بروزا وحضورا . فضلا عن مواقفهم ومشاركاتهم السياسية- كما أشرنا- بل يمكن اعتبار نشاطها بمثابة الأرضية الإيديولوجية التي تقف عليها الحركة الوطنية خاصة في اتجاهها الثوري([3])، هذه الأرضية الإيديولوجية المشكّلة من جهودها في ميادين الإحياء العلمي والتاريخي والتراثي، والإصلاح الاجتماعي العقائدي، الذي أعد النفوس ووحد الشعب، وأيقظ الحس الوطني وما الثورة التحريرية إلا ثمرة لهذا

1- الفتى، الزواوي، " الشباب العامل في باريس " : مجلة الشهاب . ج9 /م 12، 1355/9/1هـ-1936/12/1م. ص 404 ، 407 .

2- سعد الله:(تقديم)مازن مطبقاني : مصدر سابق، ص9 – 10 .

3- قنان ، جمال : قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر، .(د.ط)،الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد،1994.ص12 .

الغرس([1]). و بهذا أثبتت جمعية العلماء أن التحرير الفكري و العقائدي و الثقافي، مقدمة للتحرير السياسي و العسكري.

خلاصة القول إن الحالة السياسية اتسمت بخوض الجزائريين عبر منظماتهم السياسية و الثقافية الدينية، تجربة التدافع الحضاري مع الاستعمار في شتى تجلياته، بما في ذلك سلوك المغالبة عبر الثورات و التظاهرات، و انتهاء بالثورة المسلحة(القول الفصل).فاحتل الإصلاح(قولا و عملا) قلب التجربة، رغم لبسه غير لبوس عدا السياسة بمظهرها الحزبي .

---

[1] سعد الله، أبو القاسم (تقديم) : مطبقاني، مصدر سابق، ص 12 .

الفصل الثاني

أوضاع الجزائر الاقتصادية والاجتماعية في عصر باعزيز بن عمر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أسفر مطلع القرن العشرين بالجزائر عن مجتمعين متباينين، أحدهما مستأثر بالثروة منتج مشارك في الصناعة الحديثة، مرفه متعلم، وهو المجتمع الأوروبي المستعمِر. ومجتمع فقير مُعدم فقد أرضه وثروته، بطّال جاهل أمي، تفتك به المجاعات والأمراض، وهو المجتمع الجزائري .

في ظلال هذا التوصيف سنعرض في هذا الفصل للحالتين الاقتصادية والاجتماعية، من خلال المبحثين الآتيين هما :

- **المبحث الأول : أوضاع الجزائر الاقتصادية في عصر باعزيز بن عمر**
- **المبحث الثاني : أوضاع الجزائر الاجتماعية في عصر باعزيز بن عمر**

المبـــحث الأول

أوضاع الجزائر الاقتصادية في عصر باعزيز بن عمر

اتسم الاستعمار الفرنسي للجزائر بنزعة استيطانية، ولهذا ما إن استولى عليها حتى شرع في تجسيد مشروعه من هذه الناحية، فأخذ يصادر الأراضي من أصحابها ويسلّمها للأوروبيين . فبلغ ما سلّم لهم بين سنوات 1871-1900 إلى نحو 687000 هكتارا، وبلغ ما يملكونه عام1917 مامقداره 2122288هكتارا من الأراضي و 194159 هكتارا من الغابات . وفي عام 1943 بلغ 2462527 هكتارا([1]). وقد بلغت الأراضي المصادرة من سكان الريف الجزائريين ومُنحت للمستوطنيين الأوروبيين خلال الفترة ما بين 1840 و 1950 حوالي 2.703.000 هكتارا ([2]).

ويُعد هذا الإجراء أهم العوامل التي صنعت مأساة الريف الجزائري في الحقبة الإستعمارية، فدمرت كيانه الإقتصادي ([3]) وقوضت نمطه المعيش الذي كان يشكل مشهدا من حضارته .

---

[1] ــ آجيرون، شارل روبير : **تاريخ الجزائر المعاصر**، ترجمة : عيسى عصفور،ط2؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،1982. ص 87-90 .

[2] **تركي، رابح : التعليم القومي والشخصية الجزائرية ،ط2؛الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1982، ص 86 .**

[3] **ــ المصدر نفسه، ص 85، 86 .**

وفضلا عن هذه المساحات الشاسعة من الأراضي التي الت ملكيتها للأوروبيين المعمرين، فقد كانت " أفضل الأراضي في البلاد وتقع معظمها على الساحل الشمالي الذي ينعم بأعلى كمية من الأمطار وهي أخصب الأراضي وأقربها إلى التجمعات السكانية في المدن " ([1]). بسبب هذه الميزات الطبيعية، منحت أصحابهامكاسب اقتصادية عالية، " فالقُرب الجغرافي أعطى لهذه الأراضي أفضلية بلوغ الأسواق والإقتصاد ونفقات النقل، كما أمّن لها سهولة تصدير الإنتاج الزراعي، أضف إلى ذلك أن الزراعة الأوروبية تألفت إلى حد بعيد من زراعة الخضار، والفواكه إلى جانب زراعة الحبوب على نطاق واسع وُممكنن (أي تستعمل فيها الآلات الحديثة) . ومن الخصائص البارزة للزراعة الأوروبية الحديثة زراعة الكروم وإنتاج الخمور التي كانت تذهب بمعظمها إلى الأسواق الفرنسية "([2])، ففي النصف الثاني من خمسينيات القرن العشرين، بلغ متوسط إنتاج النبيذ 16.6 مليون هكتولتر في السنة، بينما بلغت الصادرات 14.3 مليون هكتو لتر([3]).

وحجم ملكية وإنتاج الأوروبيين في هذا المجال لا تعكس حقيقة نسبة القوة العاملة فيه، خاصة عند المقارنة بالجزائريين العاملين في المجال نفسه . فالقوة العاملة غير المسلمة (الأوروبيين)، في المجال الزراعي لاتتجاوز 9.2% من القوة العاملة في هذا المجال، بينما بلغت النسبة لدى المسلمين (الجزائريين) في المجال المذكور 81.5% ([4]) .

والنتاج الوفير والجيد للأراضي التي إستولى عليها المعمرون، مقابل ما تبقى من أراضي للجزائريين لا تصلح للزراعة وسيئة المحصول، عكسه الدخل المتفاوت القيمة بين الفئتين في هذا المجال من الأنشطة الإقتصادية والزراعية، فقد دلت التقديرات على مايلي :- معدل الدخل الفردي للجزائريين 31.60 دولارا.

---

[1] ـ صائغ ، يوسف عبد الله : **إقتصاديات العالم العربي، ط1 ،بيروت لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ج1984،2. ص 338.**

[2] ـ **المصدر نفسه: ص 338 .**

[3] ـ **المصدر نفسه : ص 341.**

[4] ـ **المصدر نفسه: ص 342 .**

– معدل الدخل الفردي للأوروبيين 924 دولارا . وهو دليل –من ناحية أخرى – على الإمتيازات الهائلة والانتاجية المرتفعة لدى الزراعة الأوروبية بالجزائر([1]) .

وجدير بالملاحظة أن الدخل المشار إليه بالنسبة للجزائري هو للفئة المحظوظة التي أبقت لها الحوادث قدرا من الملكية الزراعية . ذلك أننا عندما نقارن دخل الجزائري بالأوروبي المستعمر –عموما– نجد " معدل الدخل السنوي في سنة 1954 –مثلا– لا يتجاوز 16000 فرنكا فرنسيا، ...بينما كان لا يقل بالنسبة للأوروبي عن 450.000 فرنك قديم، وهذا يتجاوز حتى معدل دخل الرجل الفرنسي في بلاده حيث كان في حدود 350.000 فرنك قديم في تلك السنة"([2]) .

ومن مظاهر البؤس الفلاحي لدى الفلاح الجزائري، تناقص الغلة من المحاصيل الزراعية إذ كان " يحصل سنويا على خمسة قناطير من القمح والشعير وذلك إلى سنة 1871، ثم انخفض محصوله السنوي حتى بلغ في عام 1900 إلى قنطارين، وفي الفترة الممتدة من 1945 إلى سنة 1947 لم يعد في إمكان أي فرد أن يحصل حتى على قنطارين سنويا اللهم إلا إذا كانت هناك غلة سنوية لا مثيل لها من ناحية الإنتاج "([3]).

وكذلك تناقص مُريع في ملكية الخروف، فقد كان في الجزائر(بلد الخروف) 8 ملايين رأس من الغنم عام 1865، وأصبح عام 1900 يصل إلى 6.3 ملايين، نظرا لتوسع الإستيطان وإغلاق مراعي الغابات، وبعملية إحصائية أصبح لكل فرد عام1900 خروفا ونصفا، وثورا واحدا لكل خمسة منهم في العام نفسه([4]).

وبالطبع هذه النسب بقيت في انخفاض فليس هناك من عامل كان يشجع على تحسنها وارتفاعها. وسوف نرى أثر هذه الأرقام والإحصاءات الإقتصادية على الحالة الإجتماعية للجزائريين .

---

[1] المصدر نفسه : ص 342 .

[2] بوحوش، عمار : **العمال الجزائريين في فرنسا، ص132.**

[3] **المصدر نفسه : ص 131**

[4] **ــ آجرون، شارل روبير: مصدر سابق ص 99 .**

وقد زاد في بؤس الحالة الزراعية لدى الطرف الجزائري، وازدهارها في الطرف الأوروبي عاملان هما: الأول هو دخول الآلات الميكانيكية الحديثة في مجال الزراعة ومدى إستعمال كل من الطرفين لها وأثر ذلك على الإنتاج؛ فقد اتسع مدى مكننة العمل في الزراعة في سنة 1947 (لدى الطرف الأوروبي)، إذ تبين دورها في توفير مردود أكبر . ففي سنة 1951 إتضح أن كلفة حراثة الهكتار الواحد بالطريقة التقليدية تطلبت قوة عمل كبيرة قدرت بـ17850 فرنكا، بينما انخفضت في حالة إستعمال الجرارات الميكانيكية إلى 47.325 فرنكا، ولم تستهلك سوى نسبة ضئيلة من القوة العاملة . كذلك بينت الحسابات سنة 1957 أن تكلفة عمل الأرض دون مكننة قدرت ب59.240 فرنكا، لكنها لم تتجاوز 19.460 فرنكا حين استعملت الأدوات والوسائل الميكانيكية ([1]).

أما الطرف الجزائري فحافظ أغلب فلاحيه على الطرق القديمة، فـ5% منهم فقط هم الذين استعملوا آلات حرث فرنسية . ولكن كيف يمكنهم التفكير في ذلك ومساحة أرضهم محدودة جدا([2]). والعامل الثاني : هو توفر رؤوس الأموال للفلاحة الأوروبية دون الجزائرية؛ فالأولى تعتمد على أموال تمدها بها الإدارات والبنوك والجمعيات والشركات، أما الفلاح الأهلي فربما كان مقتدرا – وهؤلاء قلة- فبذل الجهد ورقي فلاحته وزاحم المعمر وفاقه أحيانا، والأغلب أن يكون فقيرا لا يجد في السنوات المجدبة إلا المُرابي الذي يمص دمه ولا يكفيه بيع ما تجود به السنة الطيبة لسداد دينه ([3]).

إذا كان هذا حال الجزائريين الذي أصبحوا عليه في الزراعة التي ألفوها منذ آلاف السنين، فكيف ستكون مع الصناعة الأوروبية الحديثة؟

تجب الإشارة إلى إحجام فرنسا عن تصنيع الجزائر بدافع إبقائها تابعا للاقتصاد الفرنسي . ولم تتغير هذه النظرة إلا في الحرب العالمية الثانية؛ إذ

---

[1] ـ بن آشنهو، بن عبد اللطيف : **تكوين التخلف في الجزائر**،(د.ط) ترجمة : نخبة من الأساتذة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1979.،ص ص351 .

[2] ـ نوشي آندري (وآخرون) : **الجزائريين الماضي والحاضر**،(د.ط)، ترجمة إستنبولي رابح، ومنصف عاشور،ص 411. .

[3] ـ المدني، أحمد توفيق : **كتاب الجزائر**، ط2،البليدة:دار الكتاب، 1382هـ1963م ص 357 .

قررت الحكومة الفرنسية عام 1944 السماح بقيام صناعات خفيفة، وذلك رغبة منها في إدخال نظام اللامركزية في الصناعات الفرنسية ([1]) * ورغم هذا فقد تأخر قرار التصنيع إلى عام 1946، ولكنه تباطأ كثيرا.. فلم تُحدث في أواخر سنة 1954 سوى 15000 وظيفة جديدة . دون لمس آثارها عمليا لدى الجزائريين . وحتى عام 1954 لم يُنظر للتأهيل المهني، أساس كل تطور إقتصادي، ورغم هذا لم يكن موضع سياسة عامة، أو خطة شاملة([2]).

أما في المجال التجاري فقد إستولى الأوروبيون بمساعدة البنوك وشركات الإحتلال الكبرى الفرنسية على التجارة الخارجية والداخلية، وكونوا فيما بينهم شبكات متداخلة تسيطر على كل المرافق الإقتصادية في الجزائر مما أصبحت معه تمثل سوقا رائجة للتجارة الفرنسية وموردا هاما للمواد الخام التي تمد الصناعة الفرنسية بثمن زهيد ([3]). ومعلوم أن هذه السياسة إحدى أهم مميزات الاستعمار الغربي الرأسمالي، فمن أبرز اهتماماته السيطرة على المواد الخام، واستغلالها بأزهد الأثمان ثم إعادة تسويق منتجاتها في البلاد المحتلة بأضعاف مضاعفة من سعر كلفتها الحقيقية . وعلى العموم فإن الجزائريين ما كانوا ينتظرون الكثير من الفائدة، سواء من التجارة أو التصنيع للإنحصارهما في دائرة المعمرين .

وقد بقيت الحالة الاقتصادية على ما هي عليه بعد الحرب العالمية الثانية لم تتحسن، فمصادر العيش بقيت ناقصة خاصة بالنسبة للأغلبية العظمى من السكان

---

[1] ـ بوحوش، عمار: **العمال الجزائريون في فرنسا**، ط2خ الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1979،ص 148، 149 .

* من دلائل إحجام فرنسا عن التصنيع بالجزائر ومحاربته، أنه قد بلغ مجموع إستثمارات الإستعمار بالجزائر سنة 1940، قيمة 149 مليار فرنك فرنسي، خصت الصناعة منها بمليار و 14 مليون فرنك ولهذا لم تقم بالجزائر خلال الحقبة الاستعمارية صناعة ذات أهمية، عدا صناعة الخمور وبعض الصناعات الغذائية الصغيرة.

- تركي رابح : مصدر السابق، ص 89 .

[2] ـ آجرون، شارل روبير : مصدر السابق، ص 136 .

[3] ـ تركي رابح : مصدر سابق، ص 88- 89 .

المسلمين الذين يعيشون على الزراعة والفلاحة (78%) منهم كذلك سنة 1948([1]).

المبحث الثاني

أوضاع الجزائر الاجتماعية في عصر باعزيز بن عمر

أدى الوضع السياسي والإقتصادي الاستعماري إلى حالة اجتماعية مأساوية عاشها المجتمع الجزئري، موازاة مع حالة الرفاه التي كان عليه المجتمع الأوروبي المستعمر، وعليه فقد إنقسمت الجزائر إلى جزائرين: "جزائر عصرية بناها العرب بأموالهم وسقوها بعرق جبينهم ولكنهم محرومون منها ومن خيراتها، وجزائر أخرى جزائر الجحافل الدهماء من الأميين والبؤساء الجائعين ... جزائر الملايين من الأطفال المشردين لا مدرسة لهم ولا مأوى، مطرودين منبوذين ...جزائر مدن القصدير والأكواخ يسكنها ملايين من التعساء... جزائر مرض السل الذي إجتاح السواد الأعظم من الشعب " ([2]).

وكانت هذه الأوضاع تشتد سوءا كلّما طرأ ظرف مشدّد كالحروب والمجاعات، فيذكر المعاصرون الجزائريون أثناء الحرب العالمية الثانية أن المواد الغذائية كانت مفقودة وأن الأهالي كانوا يأكلون الأعشاب ويشربون من الأبار العفنة، ويكاد كبارهم يكونون عراة أما صغارهم فكانوا يُتركون على الطبيعة حفاة عراة، وكان الأحياء من الناس يشاهدون أطفالهم وذويهم يموتون بالملاريا في لحظات ([3]).

فكان من الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى فقدان التوازن الفزيولوجي للفرد الجزائري فمعظم العائلات في أشد الحرمان، مما اضطرت معه إلى أكل النباتات الخطيرة على الصحة فضعفت الأجسام، فهم يعانون من نقص الأطعمة الواقية، إذ أن ثلاثة أرباع السكان محرومين من اللبن واللحم والبيض والمواد الدسمة الجيدة

---

1 KADDACHE, mahfoude : **nationalisme,** tome 2, P.740

2 ــ فرحات، عباس: مصدر السابق، ص 121 .

3 ــ سعد الله : الحركة الوطنية ج3 ، ص 190 .

النوعية . وعندما يتمكنون من إشباع حاجتهم الطاقية فذلك يكون بفضل إستهلاك السكريات(أنواع الدقيق) بإفراط ([1]) .

ومما ضاعف المأساة الإجراءات التي لجأت إليها سلطات الإستعمار بسبب الحرب وعلى حساب الجزائريين بالطبع، فالمواد الغذائية مقدرة ومقننة، والسوق السوداء طغت على السوق، ورغم غنى الجزائر الذي يكفي أهلها حتى في مثل تلك الظروف، فإن منتجاتها ترسل لسد حاجات الفرنسيين والأوروبيين أولا، فأفرغت المخازن من محتوياتها وأرسلت إليهم، كما كانت الإدارة تتورط في الفضائح المالية، ولا توزع الحبوب بالتقسيط على الأهالي أكثر من ستة أشهر والناس يموتون جوعا، إضافة إلى كوارث الجفاف والمجاعة ([2]).

كما كان يعاني الجزائريون من قلة العناية الصحية، وهو الأمر الذي تكشفه نسبة الوفيات بين الجزائريين مقارنة بنسبتها لدى المستوطنين؛ فقد بلغت وفيات الأطفال لدى هؤلاء 39 لكل ألف من المواليد الأحياء، بينما بلغت في المقابل بين الجزائريين المقيمين في المدن 170 لكل ألف من المواليد الأحياء، وهذا يعني عمليا صرف الخدمات العلاجية ورعاية الأمومة، والصرف الصحي لصالح المستوطنين([3]) .

وغني عن القول ما كانت تؤدي إليه هذه الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية المتردية، من الانحرافات وسقوط أخلاقي، وقد بدأت مبكرة في القرن العشرين فقد شاع الخمر وانتشر شاربوه، وبدت بوادر استغلال الثقة، ومخالفة تقاليد البلاد العريقة في الظهور بينما أخذت هذه التقاليد بالإختفاء شيئا فشيئا ([4]) .

نتج عن سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، فضلا عن المسألة الأخلاقية، ظواهر إجتماعية بالغة التعقيد، لعل أهمها الآتي ذكرها :

---

[1] ـ صاري، الجلالي وقداش، محفوظ : **المقاومة السياسية 1900-1954** ، .(د.ط)؛ . ترجمة: عبد القادر بن حراث ،الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،1987 ، ص 210، 211 .

[2] ـ سعد الله : مصدر سابق، ص 188، 189 .

[3] رودني، والتر : **أوروبا والتخلف في إفريقيا**، ط1؛ترجمة أحمد القصير ،إبراهيم عثمان.الكويت:المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1988،عالم المعرفة، رقم(132)، ص 303 .

[4] بن نبي، مالك : **مذكرات** ، ص 17 .

أولا : الهجرة إلى فرنسا : وهي إحدى نتائج الحرب العالمية الأولى بالجزائر، فقبلها كان أغلب السكان فلاحين دون أراضي . وقد اكتسبوا بعد تسريحهم من الجندية بعض الحرف، فكانوا مستعدين للعمل بالموانئ، وعمّالا يدويين في صناعات محلية وموظفين في القطارات والبريد([1])، فتوافدت في العشرينيات من القرن العشرين أعداد هائلة من العمال الجزائريين على فرنسا، مما يؤدي بهم إلى البطالة، ويؤلفون الرصيد الإحتياطي لسوق العمل في الحاجات القذرة أو الموسمية([2])، وقد أرجع المؤرخون الهجرة عموما إلى الأسباب الآتية :

1. فرض الخدمة العسكرية على الشبان الجزائريين دون الحصول على الحقوق السياسية-2- إستلاء فرنسا على أراضي الوقف-3- عرقلة الجمعيات الثقافية الهادفة للمحافظة على الثقافة الإسلامية العربية بالجزائر، بعد أن فقدت المدارس الحرة مصدرها المالي-4- إجبار الجزائريين على تسجيل أراضيهم -5- مضايقة الجزائريين الذين يطلبون رخصة التنقل-6- إقامة المحاكم الإستثنائية لفرض عقوبات صارمة -7- تصاعد نسبة الضرائب -8- الأزمات الاقتصادية-9- انخفاض مستوى الصناعات اليدوية بسبب مزاحمة الأوروبيين-10- تعيين اليهود في مناصب حساسة ليقوموا بدور الشرطي السري ([3]).

واضح أن الأسباب المذكورة تفسر لنا الهجرة إلى مختلف البلاد وليست إلى فرنسا تحديدا، وربما تعلّقت بالهجرات إلى الشرق أكثر منها إلى الغرب؛ إذ ليس سببها الرئيس تحصيل عمل كما هو الحال بالنسبة لفرنسا؛ ولأنها ذات دلالة على رفض الجزائريين معايشة المستعمر، وبذرة أولى لكثير من الأحداث السياسية التي جرت في البلاد، وأخصها الشعور بمقاومة المستعمر الذي تفجر في ثورة نوفمبر 1954 ([4])

---

[1]ـ سعد الله : **الحركة الوطنية** ج2 ، ص286، 287 .

[2]ـ بن نبي، مالك : **مذكرات**، ص 144 .

[3]ـ بوحوش : **التاريخ السياسي** ، ص 210، 211 .

[4]ـ بن نبي، مالك : **مذكرات**، ص 16 .

أما الهجرة لفرنسا المتضاعفة كما دلت عليها الإحصاءات بعد الحرب العالمية الثانية :

جدول رقم 1 يحركة الهجرة بين فرنسا والجزائر من 1947إلى 1955 .

السنة	عدد الجزائريين القادمين إلى فرنسا	عدد المغادرين إلى الجزائر	الرصيد الدائم للهجرة
1947	67،200	22،300	44،900
1948	80،700	54،200	26،500
1949	83،500	76،455	7،045
1950	89،405	65،175	24،230
1951	142،671	88،081	54،590
1952	148،682	134،083	14،579
1953	134،100	122،600	4،500
1954	164،900	136،200	28،700
1955	201،828	173،371	28،455

– بن اشنهو عبد اللطيف : **تكوين التخلف في الجزائر**، ص 381.

فمن أسبابها – مثلا– " في سنة 1948 بدأ الضغط السكاني بالجزائر يظهر بشكل واضح حيث فاق عدد المهاجرين عدد العائدين بما لايقل عن 26000 ألف عامل، والسبب الذي جعل عدد الجزائريين المتوجهين إلى فرنسا يتضاعف – هو انعدام المشاريع الصناعية بالجزائر، وإنتشار الأمية، ولهذه الأسباب تحتم على عدد كبير من الجزائريين البحث عن وسائل العيش في مكان آخر" ([1]).

وعلى الرغم من البؤس الذي كثيرا ما كان يرافق العمال الجزائريين في مهجرهم بفرنسا فقد كان للهجرة أثران إيجابيان : الأول هو إشعار كبار المعمرين بخطرها على مصالحهم([2]) . ومجرد قض مضاجعهم فعل إيجابي، وإن لم يكن قصد المهاجرين من الهجرة . أما الأمر الثاني، فيتمثل في الدور الإيجابي للمهاجرين في تمويل ثورة التحرير، فقد أثبتت الأيام أنهم تحملوا العبء الكبير من تمويل الثورة؛ لأنهم كانوا – قياسا بباقي الجزائريين– في وضعية مادية

[1] ــ بوحوش : **العمال الجزائريون في فرنسا**، ص 142 .

[2] ــ بن نبي، مالك : **مذكرات**، ص144 .

حسنة، وكان بإمكانهم دفع التبرعات لتدعيم الكفاح الثوري (1) . فالهجرة التي كانت نتيجة لحاجة مادية اجتماعية صرف، قد أسفرت عن مدد مالي هائل للثورة، لم يكن بإمكانها تعويضه من أي مصدر آخر غيرها .

ثانيا: ظاهرة النمو الديموغرافي: هذا النمو الذي لم يحدث في ظروف سليمة حسنة من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية، ليُعد عاملا إيجابيا باعتبار الإنسان رأس مال أي تطور حضاري. فهذا النمو الديموغرافي-كما سنرى- أتى في سياق إستعماري كل ما فيه مدعاة للتخلف وأزماته.

وسنعرض للظاهرة من ناحية الزيادة السكانية ذاتها، ومن ناحية التمركز في المدن والقرى، وآثاره على الناحية الإجتماعية. بدأت مرحلة الانفجار السكاني سنة 1921، فبالمقارنة بين إحصاءات السنوات 1906 و 1960 نجد عدد السكان قد تضاعف ليصبح 10.637896 نسمة، علما أن عدد الجزائريين منه هو 9.479315 نسمة(2)، وكانت هذه الزيادة في الجانب الجزائري مصحوبة دائما بزيادة في البؤس وعوامل الشقاء، عكس الجانب الأوروبي ذي القلة العددية، والاستئثار بأسباب الرفاه والسعادة المادية .

أما التمركز السكاني في المدن والقرى بالنسبة للجانبين الجزائري والمستوطنين، فنلاحظ من الإحصاءات *-على تباينها - غلبة نسبة العنصر الأوروبي في سكنى المدن، وغلبت العنصر الجزائري في الاستقرار بالأرياف، مع تحول في الفترات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية في نزوح هؤلاء إلى المدن تحت وطأة الحرمان وطمعا في الحصول على عمل بالمدن .

يذهب أحد الدارسين " أننا لو رجعنا إلى التعداد السكاني في1856 لوجدنا أن الأوروبيين كانوا يشكلون7.2 %من المجموع وارتفعت النسبة إلى 12% بحلول 1875 ... وكان معظمهم يعيشون في المراكز المدنية، 81% من الجالية

1ـ بوحوش : العمال الجزائريون ص 142 .

* تقديرا لقيمة هذا المصدر المالي للثورة -أنظر : بوحوش: المصدر نفسه، ص 195.

2ـ السويدي محمد : مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، .(د.ط)؛الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،(د.ت).ص 70 .

* أنظر حول مراحل النمو الحضري منذ سنة 1830- 1959 ، السويدي : المصدر نفسه، ص 81 .

الأوروبية، أو بين 29و36 % من سكان المدن في السنوات بين نهاية الحرب العالمية الثانية والاستقلال . من ناحية ثانية كانت نسبة الأوروبيين بين سكان الريف تحوم حول2.5 % والعكس يصح عن السكان الجزائريين ... وهكذا أن حوالي 20إلى 23% من الجزائريين كانوا يعيشون في المراكز المدنية و77 إلى 80% في المراكز الريفية في فترة بعد الحرب، وقبل الاستقلال وكانت نسبة الأوروبيين في المراكز المدنية من مجموع السكان9 إلى 10% بينما كانت نسبة الجزائريين 17 إلى 21% " ([1]) .

ويؤكد إسراع نزوح الجزائريين من الأرياف نحو المدن في الفترات الأخيرة من الإستعمار، طبيعة تكوين المجتمع الريفي، وأعداد العاملين في النشاطات الريفية المعروفة، وتنامى العاطلين منهم، " فالمجتمع الجزائري الريفي كان يضم عام 1950 حوالي 9 إلى 10 % من الخماسين و12% تقريبا من الرعاة، وعدد ذوي الأجور الزراعيين الدائمين وغير الدائمين كان22 % عام 1954، وعدد الفلاحين المالكين 19.5% . أما عدد العاطلين في القطاع الريفي فيقدر بـ400.000 رجلا، وعدد المستخدمين إستخداما ناقصا كان يقدر بـ 650.000 إلى 850.000، وفي عام 1954 تتحدث الإحصاءات عن مليون عاطل ريفي عن العمل، وعدد العاملين الزراعيين يقدر بـ112000، وأجورهم أضعف الأجور" ([2])، وتزداد المأساة عمقا إذا عرفنا أن المجتمع الجزائري في نموه الديمغرافي كان يعرف آنئذ ارتفاع نسبة الشباب فيه، فهي في سنة 1948 كانت لدى فئة أقل من 20سنة كالآتي :

- المسلمون: 206.4025
- الأوروبيون: 550. 335

وتطور الكثافة السكانية المسلمة نحو ارتفاع نسبة الشباب في المجتمع كالآتي :

عام1936 ←——— 45% أقل من 20 سنة

---

[1] ـ صائغ، يوسف عبد الله : مصدر سابق، ص 336 .

[2] ـ آجرون، شارل روبير : مصدر سابق، ص 131، 132.

عام 1948 ←——— 53 % أقل من 20سنة ([1])

ومع ازدياد نسبهم تزداد معاناتهم وتستفحل البطالة فيهم، وتقل فرص العمل التي جاؤوا يطلبونها في المدن من الأرياف، فاستقبلتهم محتشدات بيوت الصفيح خاصة في المدن الكبرى كالعاصمة كما يظهرها الجدول الآتي:

جدول رقم 2 يبين سكان البيوت الصفائحية (القصديرية سنة 1954)

المدن	سكان المدن (الجزائريين)	سكان البيوت الصفائحية
الجزائر	233،000	86،000
وهران	131،000	38،000
عنابة(بونة)	66،000	20،000
قسنطينة	103،000	7000
مدن أخرى	769،000	57،000
المجموع	1362،000	208،000

P740, kaddache mahfoude, ibid

ففي عام 1954 كانت النسبة لدى هؤلاء 30% أي 500.86 ساكن من أصل470.293 جزائري . وفي عام 1942 كان فيها 16 مدينة صفائحية و 500 ساكنا . وفي عام 1947 كان فيها 58 مدينة صفائحية، وفي عام 1952 كان فيها 90 مدينة صفائحية ([2]).

ثالثا : قلة فرص العمل : التي كانت تصاحب الأوضاع المذكورة ففي سنتي(1950-1951) بلغ عدد العمال الذين عثروا على عمل دائم أكثر من 160.000 عاملا، أما العمال الموسميين الذين عثروا على عمل لمدة 90 يوما في

---

[1] Khaddache,mahfoude ,ibide , P.740

[2] ـبن اشنهو ، عبد اللطيف : مصدر سابق، ص 463-464 .

السنة، فبلغوا 400.000 عاملا، وقدر عدد البطالين في الفترة المذكورة بحوالي 650.000 أي 46% عاملا من الجزائريين الذين هم في سن العمل ([1]).

ولا ينبغي الإطمئنان كلية لهذه الإحصاءات الصادرة، أصلا عن الإدارة الإستعمارية، ووسائلها الدعائية التي تلمع صورتها لدى الرأي العام المحلي والفرنسي والدولي * وحتى لو سلمنا بصحتها فتبقى محل إدانة لها، وهي التي لم تفتأ ترفع شعار رسالتها الحضارية بالجزائر .

والقلّة ممن حظوا بفرص عمل دائم حُرموا من المساواة في الجانب الاجتماعي – مثلا- مع نظرائهم من الأوروبيين، " فمزايا الضمان الإجتماعي لم يُشرع في تطبيقها على العامل الجزائري، إلا في شهر أفريل 1950، وبطبيعة الحال إن الحصول على مزايا الضمان الإجتماعي مشروط بعثور العامل على عمل دائم . وحتى العلاوات التي كانت تُمنح في الجزائر ضعيفة ولا تضاهي ما يمنح عادة في فرنسا للعامل البسيط هناك، فمثلا كان من حق العامل الذي له أربعة أطفال أن يحصل على 7600 فرنك قديم كمنحة عائلية، وذلك في إطار قيامه بعمل دائم بالجزائر، وفي حالة القيام بالعمل نفسه في فرنسا، فإنه من حق ذللك العامل نفسه الذي له أربعة أطفال، أن ينال 27.744 كمنحة عائلية " ([2])*

---

[1] – بوحوش : **العمال الجزائريون**، ص 151، 152.

* سنعرض لإدانات كثيرة لمثل هذا السلوك، لدى تحليلنا لفكر باعزيز بن عمر.

[2] – المصدر نفسه : ص 154 .

* قارن بما يذكره باعزيز عمر في النص الآتي : " فالعامل الجزائري لا يمنح على ولدين في الشهر إلا 4800 في حين أن العامل الفرنسي يمنح شهريا عليها : 11800، وإذا صعدت قليلا وجدت أن العامل الجزائري يتقاضى على 3 أولاد شهريا 7200 ف . ووجدت زميله يتقاضى على العدد نفسه من الأولاد 20،434ف، وهلم جرا... وأغرب من هذا أن العامل الجزائري في فرنسا قد قيس على أخيه في الجزائر فعاملهما نظام الضمان الإجتماعي في الجزائر معاملة واحدة في حالتي المنع والمنح، فكلاهما يمنح في حالة العمل 2400 شهريا على ولد واحد، ويفقد المنحة، إذا تخلى عن العمل لمجرد رجوعه إلى الجزائر أو لطارئ آخر " .

– انظر : باعزيز بن عمر :" الضمان الإجتماعي في الجزائر". البصائر 311، 30 رجب 1374هـ/25-3-1955 . ص3.

فحكم بعض الدارسين على هذا النظام بأنه كان يسير في نطاق ضيق، لا يُقارن بمدى اتساعه في فرنسا، ولا سيما علاوات الأسرة([1]) .

ومهما يكن من أمر فالعدل والمساواة لم يكونا هدفا للنظام الاستعماري، في الميدان الاقتصادي والاجتماعي -كغيرهما- فاتسمت الصورة فيهما بالسواد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 - العقاد، صلاح: الجزائر المعاصرة(د.ط)؛ مصر: معهد الدراسات العربية العالية،1963.ص61،62.

الفصل الثالث

أوضاع الجزائر الثقافية و الدينية في عصر باعزيز بن عمر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قاوم الجزائريون المشروع الاستيطاني ومقتضياته من مسخ و تبديل الشخصية و الهوية . وتجلت هذه المقاومة في المجالات العسكرية التي انتهت بثورة التحرير، ثم الاستقلال في المجال السياسي، و المقاومة الثقافية و الدينية، اللتان تمثلان عمق الصراع الذي راهن عليه الاستعمار باعتباره أكبر الضمانات لدوام سيطرته الشاملة على المجتمع المستعمر .

وسنعرض في هذا الفصل للأوضاع الثقافية و الدينية من خلال المبحثين و المطالب الآتية :

المبحث الأول : أوضاع الجزائر الثقافية في عصر باعزيز بن عمر

المطلب الأول : التعليم

المطلب الثاني : الصحافة

المبحث الثاني : أوضاع الجزائر الدينية عصر باعزيز بن عمر

المطلب الأول : هدم و تدجين

المطلب الثاني : الدجل الطرقي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبـــحث الأول

أوضـــاع الجزائر الثـــقافيـــة في عصر باعزيز بن عمر

المطلب الأول : التعليـــــــم

أجمع الباحثون على الحالة الثقافية و التعليمية الجيـــدة، التـــي كـــان عليهـــا المجتمع الجزائري غداة الاحتلال، فنسبة الأمية في الجيش الغازي كانت أكثر مما هي في أوساط الشعب الجزائري، والفضل في ذلك يعود للأداء التعليمي أنـــذاك، وقد أكدت " الوثائق الرسمية أن التعليم العربي الإسلامي كان على العموم مزدهرا سنة 1830، وهو يتألف من مستويات التعليم الثلاثة المعروفة اليوم : الابتـــدائي و الثانوي و العالي . وكان التعليم الثانوي والعالي مجانا، أما الابتدائي فقد كان بأجر اختياري ضعيف، وفي أغلب الأحيان يدفع الأجر عينا. وجميع أنـــواع التعلـــيم لا تقدم إليها الدولة أية مساعدة، فكان تعليما حرا بمعنى الكلمة، وكانـــت المـــدارس متصلة بالمساجد في أغلب الأحيان، و يشرف عليها وكلاء الشؤون الدينية، و هي تتغذى من أملاك الأوقاف الخيرية . و لكن منذ الاحتلال دخلت أملاك الأوقاف في أملاك الدولة الفرنسية، فأهملت المدارس الإسلامية، و توقف التعليم الابتـــدائي و الثانوي، ولم تبق إلا بعض الزوايا البعيدة و المعزولة حيث الدروس العليا "[1] .

واستقر الحال بعدئذ على عقيدة استعمارية مفادها، أن جهل الجزائريين حالة ينبغي الحرص على دوامها، وكل ما تظاهر به المســـتعمر مـــن أعمـــال ثقافيـــة، ومنجزات تعليمية هي استثناء من القاعدة تثبتها الوقائع و الحقائق .

و أحد أهم أسباب ذلك – فيما يبدو – النظرة الدونية المســـتحكمة بالمركزيـــة الغربية التي تعاملت مع الأجناس غير الأوروبية بالتعالي عنهم و احتقارهم . وقـــد كانت وقاحة المعمرين أفصح تعبيرا من الإدارة الاستعمارية عن هذه الرؤيـــة؛ إذ أصدر مجلسهم الأعلى قرارا اعتبر العربي جنسا منحطا لا يقبل الثقافة والـــتعلم، كما اعتبر فتح مدارس يتعلم فيها الأهالي فيه تعريض البلاد للخطر المالي، وعلى

---

[1] ـــ سعد الله ، أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ، ط1،بيروت ـــ لبنان:دار الغرب الإسلامي، 1998 ج 3 ، ص 194.

توطين الفرنسيين بالجزائر. ولكن الحكومة الفرنسية التي لم تستجب رسميا لهذا القرار فقد طبقته عمليا؛ إذ ضيقت على التعليم حتى بالفرنسية، وقضت على التعليم العربي، أما التعليم العالي فكان معدوما بالنسبة للجزائريين ، والثانوي شبه معدوم، وفي الابتدائي وصل بعد قرن إلى تعليم 20% حسب إحصاءات اليونسكو([1]) .

وأصبح كل عمل يبديه الاستعمار في هذا المجال يتناغم مع هذا المبدأ الذي لم يبد أي يوم أثارة من نية الإقلاع و التراجع عنه . فإهمال تعليم الجزائريين من أبرز ملامحه، ورغم هذا فهناك من يردد، بأن فرنسا جاءت للقيام بمهمة حضارية. فقد صرح سنة 1913 أحد الكتاب قائلا: " إننا قد حضّرنا الجزائر جزئيا من الوجهة المادية، ولكننا لم نفعل شيئا تقريبا بخصوص الناحية العقلية التي هي أكثر أهمية "([2]) وكل عمل قام به المستعمر في هذا المجال كان أولا و أخيرا لخدمته . فقد حدد أسس السياسة التعليمية على النحو الآتي :

1- الفرنسية باعتبارها وسيلة و هدفا .

2-التنصير باعتباره وسيلة و هدفا .

3-الإدماج باعتباره هدفا([3]).

فأسسوا ما يعرف بالتعليم المزدوج (العربي – الفرنسي) الموجه أساسا للجزائريين بمراحله الثلاث وهي : الابتدائي ومنه : المدرسة الحضرية الفرنسية – المدرسة العربية الفرنسية – المدرسة الأهليةومنه التعليم المتوسط والثانوي : المدارس الرسمية الثلاث * التي كانت بدايتها عربية ، ثم أصبحت مزدوجة، وهي لتخريج القضاة والمترجمين والمدرسين- ومنه المدرسة السلطانية أوالكوليج الإمبريالي (الأمبراطوري) أسس للدراسة المزدوجة العالية بالجزائر.

---

[1] -شريط، عبد الله و الميلي، محمد : **الجزائر في مرآة التاريخ**، ط1؛ قسنطينة – الجزائر: مطبعة البعث،1965. ص 219 .

[2] – سعد الله : **الحركة الوطنية** ، ج 2 ، ص 141 .

[3] – تركي رابح : مصدر سابق ، ص 106 .

***أسس الفرنسيون مدارس في العاصمة و تلمسان و قسنطينة سنة 1850 ، لتخريج موظفين في القضاء ، و الإفتاء، و العدول و التراجمة ومعلمين تحتاجهم الإدارة الفرنسية،**

– سعد الله : أفكار جامحة ، ص 70، 71.

وهدفها المشترك جميعا، هو خدمة المدرسة الاستعمارية بإبعاد الجزائريين عن أصولهم و تراثهم، وصهرهم في بوتقة الفرنسة([1]).

وقد عبرت وثائقهم عن هدفهم من التعليم الابتدائي –مثلا– الموجه(للأهلي) الجزائري" إن الهدف من تعليمها[الفرنسية] لهم، هوجعلهم قادرين على التعبير بها فقط عن بعض المعارف العامة وبعض الأفكار ذات المعنى العلمي أو التربوي، وتكوين الطفل الجزائري بهذه الطريقة ليس للوظيف العام، ولكن للعمل في الحقول و الورشات"([2])، بمعنى يجب تكوين عالم من مساعدي الاستعمار حاملين لشهادات بعنوان(أهلي) ويرطنون بالفرنسية([3]).

وكثيرا ما كان يتخذ التعليم الموجه لأبناء الجزائريين أبعادا لطمس خصوصياتهم الثقافية، وربطهم بمفاهيم مشبوهة؛ ففكرة الأخلاق –مثلا– مبنية على فكرة الإله، وعليه يمكن للمعلمين أن يبينوا للتلاميذ أن الحقائق الأخلاقية موجودة في الإنجيل، وكذلك لدى الأخلاقيين القدماء والمحدثين، وهم جميعا يوصون بالشيء نفسه في أغلب الأحيان، ويدعون إلى تجنب الأخطاء نفسها، وهذا التحليل يتماشى في الواقع مع الأفكار الماسونية التي كانت وراء الثورة الفرنسية .

وكان الحكام العامون في الجزائر وعدد من المسؤولين أعضاء في المحافل الماسونية([4])*

---

1 ــ سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج3، ص322،321 .

[2] المصدر نفسه، ص 427 .

[3] -KHALDI ,A : LE PROBLEME ALGERIEN DEVENT LA CONCIENCE DEMOCRATIQUE , P , 24

[4] سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ج 3 ، ص 428 .

*–قارن هذا الاتجاه في التربية الذي ظهر عام 1898 ، بما نادات به لجنة (إصلاح المنظومة التربوية) بالجزائر في الألفية الثالثة ، من استبدال ما سمته (تدريس باقي الديانات) لأطفال الثانوي و المتوسط ، بمادة التربية الإسلامية،

ــ أنظر مقالنا : " شاذة اللائكية و بدعة تدريس باقي الأديان " **جريدة الشروق اليومي**،ع:103 2001/3/7.

وقد أكدت الإحصاءات ما سبق قوله حول الإهمال المتعمد لتعليم الأهالي من طرف الإدارة الاستعمارية، إذ كانت نسبة الفتيان والفتيات الجزائريين في المدارس الإبتدائية8 % من الأولاد في عمر الدراسة في عام1944، مقابل 90% للأوربيين، ولكن النسبة ارتفعت إلى حوالي 22%عام 1954، وإلى37%عشية الاستقلال.وتحقق هذا الارتفاع تحت ضغط طلب الأهالي، وليس بفضل المبادرة العفوية من قبل السلطات الفرنسية(1).

وكلما تدرجنا في مراحل التعليم، ازدادت الفجوة بين الجزائريين والأوروبيين فيه: فالتلاميذ الثانويون الجزائريون سنة 1950 كانوا مقابل الأوروبيين على النحو الآتي:-4000 تلميذا جزائريا مقابل 22000تلميذا أوروبيا- وفي سنة 1954 ، بلغوا : 7000 مقابل 29000 أوروبيا -وعام 1959 وصلوا إلى 11000 مقابل 34000 تلميذا أوروبيا . وبلغ التمييز أقصاه في التعليم الجامعي؛ إذ بلغ في السنوات القليلة قبل الاستقلال حوالي 5000 طالبا منهم 14 جزائريا(2) وبصورة أدق تفصيلا نورد الجدول الآتي :

جدول رقم3 يبين بعدد الجزائريين بالجامعة موزعين عبر التخصصات المعروفة (سنة 1929- 1930)، مقابل عدد الأوربيين:

الكلية	الجزائريون	الفرنسيون والأوربيين
الحقوق	17	831
الطب	07	324
الصيدلة	06	211
العلوم	14	198
الآداب	33	249
الجملة	77	1813

- سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ج3، ص 310

علما أن جامعة الجزائر أنشئت عام 1905 لخدمة الإدارة الاستعمارية، وإحكام السيطرة الفكرية على الجزائر، فهذا هو الدور الحقيقي الذي قامت به على أيدي

---

1 ــ صائغ ، يوسف عبد الله : مصدر سابق ، ص 337 .

2 المصدر نفسه، ص 337،338 .

مجموعة من الأساتذة المشهورين في اختصاصهم (1) .

ولم يكن تعليم البنات أحسن حالا من تعليم الذكور كما تبينه الإحصاءات*، وكان التعليم الفرنسي يركز على تاريخ وجغرافية فرنسا، أكثر من الاهتمام بالجزائر، ومع ذلك اعتبره بعض الأوربيين من أفضل ما قدمت فرنسا لمستعمراتها(2).

ولكن بالمقابل كانت الإدارة الاستعمارية وفية لمبدأها (فرق تسد) حتى في هذا الميدان، فنظروا للبربر الجزائريين من جانب واحد أي القبائل الكبرى والصغرى، إذا اعتبروهم أكثر قابلية للاندماج أكثر من العرب نظرا لسطحية إسلامهم، وعدائهم الفطري للعرب - كما قدروا- ولنزعتهم الإقليمية المضخمة، ثم نشوء أسطورة انحدارهم من الغول *Goulois* (3)ففرضت الإدارة إجبارية التعليم الفرنسي في كل قرى منطقة الزواوة و ومداشرها حيث أن الأميين من صبيانها لا يتجاوزون 10 % مقابل 95 %من الصبيان الأميين في باقي البلاد، كما أن عدد الطلبة في بلاد القبائل بلغ في الثلاثينيات من القرن 20 نحو 30 ألفا، وفي باقي البلاد لا يوجد من التلاميذ المسلمين في المدارس إلا 30 ألفا(4).

ولا تعدم الإدارة الاستعمارية الحجج والأعذار عن عدم تعميم التعليم على كل الجزائريين، فالمسألة عندها مسألة ميزانية ومال ابتداء، إذ يحتاج الأمر إلى ثمانين مليار فرنك، وهو ما يعادل كل الميزانية الجزائرية(5)لكن السؤال من المسؤول عن تأخر توفير وسائل تعليم الجزائريين إلى هذا الوقت، حتى احتاج إلى كل هذه الميزانية ؟

---

1 ــ المصدر نفسه، ص309 .

* انظر حول هذه الإحصاءات: سعد الله، المصدر نفسه، ص 451، 452، خاصة السنوات (1930-1936) ولم يزد عن 8330 بنتا في أحسن الأحوال.

2 ــ مطبقاني، مازن: مصدر سابق،ص46 .

3 ــ شارل، روبير آجيرون: مصدر السابق، ص108.

4 ــ المدني ، احمد توفيق: مصدر سابق،ص101 .

5 ــ البصائر، السنة 7،ع:291ــ 1374/3/2هـ÷ 1954/10/29م.

وكانت جهود تعليم الجزائريين الفرنسية بلغت حتى سنة 1948 نسبة 15% من الرجال و 06 % من النساء يستطيعون التكلم قليلا بالفرنسية، و 06% من الرجال و 2 %من النساء يستطيعون الكتابة بها([1]).

ولكن الشعب الجزائري لم ينتظر ترك أولاده في الشارع ليصبحوا (بـا أولاد) ماسحي أحذية، وخدم لدى المعمرين، فقرر حل الأزمة التعليمية بنفسه، رغم جهوده المتواضعة([2]). فكانت الحركة التعليمية الرائعة التي أنجزتها حركة الإصلاح الإسلامي (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين).

* التعليم المقاوم : وصف التعليم الذي مارسته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمقاوم، تُصدّقه جهودهم التي بذلوها، والقناعة التي انطلقوا منها، يقول الشيخ الإبراهيمي : "ورأيت بعيني النتائج التي حصل عليها أبناء الشعب الجزائري في بضع سنوات من تعليم ابن باديس، واعتقدت من ذلك اليوم أن هذه الخطوة المسددة التي خطاها ابن باديس هي حجر الأساس في نهضة عربية في الجزائر"([3]).

من المعلوم أن ابن باديس شرع في حركته التعليمية منفردا بقسنطينة منذ عام 1913، وبعد تأسيس الجمعية مرت جهودها في هذا الميدان بالمراحل الآتية :

- الأولى (1931-1939) : اتسمت بتأسيس عدد من المدارس، يرفد نشاط الجمعية في بناء المساجد، وإنشاء النوادي، لبث دعوتها الإصلاحية.

- الثانية (1939-1944) : وقد تقلص فيها نشاط الجمعية عموما إلى أضيق الحدود بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية، وخضوع البلاد للأحكام العرفية، فضلا عن وفاة ابن باديس، ونفي الإبراهيمي إلى الصحراء.

- الثالثة (1944-1956) : وهي أوسع المراحل نطاقا، في امتداد التعليم العربي الحر، وتكوين المدارس([4]).

1ـ سعد الله : الحركة الوطنية ج2، ص 63.

Khaldi A: Idid, P26

2

3ـ الابراهيمي : "أنا" مجلة الثقافة (مصدر سابق)، ص 23.

4ـ تركي رابح: مصدر سابق، ص 202-207. الإبراهيمي : الثقافة، ص 28.

يذكر الإبراهيمي أنه في سنة 1943 بلغ عدد المدارس التي أنشأها ثلاثا وسبعين مدرسة في مدن وقرى القطر كله([1])، وبلغ عددها في عام 1948 نحو 140 مدرسة، وقبل الثورة 150 مدرسة ما بين ابتدائية خالصة، وابتدائية إعدادية (تكميلية)، يتعلم فيها أكثر من خمسين ألف متعلم([2])، ومنه يتبين أن الجمعية استطاعت بالجهود الشعبية تحقيق ما لم تحققه دولة (مليارات الفرنكات) في ميدان التعليم.

وقد لاقى العلماء في سبيل رسالتهم التعليمية صنوف الأذى والتضييق؛ ورد في تقرير مجلس إدارتها: "فلما هب شعور الأمة، وقوي باحتياجها إلى فهم لغتها لتفهم دينها، وتطور التعليم ... وأصبح على شيء من النظام والحياة ... قلقت الإدارة الجزائرية (الاستعمارية) لذلك، ولما لم تجد بيدها من القوانين العامة ما تتخذ سلاحا، التجأت إلى القرارات الإدارية، فأنشأت عُدّة منها ترمي إلى غرض واحد، وهو قتل اللغة العربية بالتضييق على تعليمها، ومطاردة رجالها، وإلجام صحافتها. ومن أسوأ ما في تلك القرارات أثرا وأشده إيلاما، وجرحا لعواطف المسلمين ... ما جاء في بعض بنود تلك القرارات من اعتبار اللغة العربية*، لغة أجنبية في بلاد عربية وهي الجزائر، وجاء دور تنفيذها على يد صغار الإداريين فبالغوا وأسرفوا في التنكيل والمحاكمة، وسيق مُعلمو العربية إلى مجالس القضاء كما يُساق المجرمون، وفُرضت عليهم العقوبات المالية والبدنية"([3]).

ومع هذا شق التعليم طريقه في الأوساط الشعبية، فأنقذ -كما رأينا- الآلاف من وهدة الجهل والأمية، ودفع بهم إلى طريق الإصلاح أولا، ثم إلى أتون الثورة ثانيا.

---

[1] ـ الإبراهيمي : الثقافة، ص 28.

[2] تركي رابح : مصدر سابق، ص 204، 210.

* إشارة إلى قرار (شوطان)، 1938

3ـ لتقرير الذي قدمه المجلس الإداري باسم الجمعية إلى رجال الحكومة الجزائرية، سنة 1363، (مصدر سابق)، ص 18-19

المطلب الثاني : الصحافة العربية.

أدرك نُخب الجزائريين من سياسيين ومثقفين، ومصلحين أهمية مدافعة ومغالبة الاستعمارين الخارجي (الفرنسي) والداخلي (التخلف الحضاري) من خلال الصحافة، فدخلوا ميدانها مبكرين، وأنشأوا منابرهم الإعلامية، وبرز منهم أئمة في الصحافة برهنوا – باقتدار – على مصارعة الاستعمارين، وكان النصيب الأوفر من هذا الجهاد للصحافة العربية.

وأهم عوامل نشأة هذه الصحافة ما يلي :

1-أثارت طريقة المعمرين- من خلال صحفهم - مطالبة السلطة ومدافعتها، الجزائريين فاستفادوا من التجربة، ودفعتهم لاستعمال الوسيلة نفسها في المطالبة بحقوقهم.

2-تدفق الصحافة العربية من المشرق العربي للجزائر، عن طريق تونس والمغرب والحجاز.

3-الأوضاع الداخلية والخارجية للعالم العربي والإسلامي، خاصة قبل الحرب العالمية الأولى، فقد فتحت أعين الجزائريين، وعلمتهم كيف يطالبون بحقوقهم، ويبثون أفكارهم الإصلاحية، من خلال الاتصال بالجماهير([1]).

ويبقى إجمالا عاملا الاستعمار والتخلف الحضاري، أقوى عوامل النشأة فقادة الأمة الروحيون، والفكريون من علماء الإصلاح حسموا خطتهم في المواجهة الثقافية والحضارية، منذ البدء باستعمال سلاح الإعلام (الصحافة المكتوبة)، فابن باديس بادر بتأسيس صحفه الخاصة الفردية فأصدر في : 1925/07/02 جريدة المنتقد التي اتسمت بنزعتها المتحررة الداعية للنهضة والوطنية بوضوح وحماس، فلاقت تجاوبا حسنا من الشباب، وذوي الفكر العربي النير([2]).

---

[1] ـ ناصر محمد : الصحف العربية الجزائرية، 1847ـ 1939.(د.ط)؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1980.، ص 7-8 .

[2] ـ سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 253.

وكانت هذه الصحافة العربية ــ الإصلاحية خاصة ــ كلما احتد المشروع الاستعماري في تقويض هوية الأمة، كلما اتسعت دائرة حضورها عددا، وتصلب عود مقاومتها، فصنعت رأيا عاما تناغم مع جهادها.

لهذا كي نفهم ظاهرة التوالد العجيب للصحافة العربية الوطنية (حوالي 30 جريدة عربية بين سنوات 31-1939) رغم البطش والظلم، ينبغي الانتباه إلى أن الرأي العام الجزائري بعد سنة 1930، وفي غمرة الإلحاح على الغزو الفكري للجزائريين، ونشوة الانتصار بهيمنة النموذج الفرنسي على الواقع الجزائري وعنفوان تشبه المتفرنجين بالغرب وقيمه واندماجهم فيها، يتفاعل هذا الرأي العام مع المصلحين والوطنيين، مبدين روح المقاومة للانحراف، فلم تتخلف الصحافة العربية عن المعركة باتصالها بالجماهير([1])، الذين احتضنوها قراءة ووعيا، وارتفاعا إلى مستوى التحدي الحضاري الذي كانت تخوضه فعبر بالفعل صدورها المتتابع على النشاط الفكري، وحال القلق، التي هي علامة اليقظة والوعي بالمسؤولية، كما تعد خطوة نحو تغيير المظاهر الاجتماعية، والعودة بالمجتمع ليقوم بوظيفته التاريخية، وإدراكه نفسه التي نسيت التاريخ أو نسيها التاريخ ([2]) .

وقد برهن المجتمع على ارتقاء وعيه وإدراك نفسه، وأداء وظيفته بأدلة شتى منها: احتضانه الحركة الإصلاحية، واستجابته الرائعة لدعوتها ودعاتها، وتصاعد وتيرة رفض الاحتلال، وتعديل سيره في الحياة وفق مقومات هويته الحضارية ثم تلبية نداء الثورة المسلحة، واحتضانها وصنع النصر المؤزر انتهاء.

ونظرا لدور الصحافة الخطير والمرصود من الاستعمار فقد لاقت المعاكسة منه والتضييق الشديد، "فالأمة الجزائرية متعطشة لصحافة عربية حرة،...تسمح لها أن تجاهر بصوتها وأن تعبر عن آلام وآمال شعبها، وهذه مسلوبة مفقودة، لا تتمتع الصحافة العربية في الجزائر منها بأي نصيب ... يستطيع الوالي العام معتمدا على سلطة وزير الداخلية إغلاقها متى أراد"([3]).

---

[1] ــ ناصر، محمد : مصدر سابق، ص 16.

[2] ــ الطالبي، عمار : مصدر سابق، ص 60.

[3] ــ المدني، أحمد توفيق : مصدر سابق، ص 347.

ونقف عند صحيفتي "الشهاب" و "البصائر" لاعتبارين هما :- الأول : أنهما أطول صحف ابن باديس وجمعية العلماء عمرا- الثاني : أنهما احتوتا أغلب إنتاج باعزيزبن عمر الفكري.

- **الشهاب** : يصفها مؤرخون – تقديرا لدورها – بأنها أيقضت الرقود، ونبهت الغافلين، ودعت إلى جمع الشمل والوحدة، ودافعت عن الإسلام واللغة العربية، والعدالة والحرية، وشاركت برأيها في قضايا المغرب العربي والمشرق([1]). وتعد من أهم المراجع التي تؤرخ للنهضة الفكرية الحديثة بالجزائر، بعثت الثقافة العربية الأصيلة بها وجمعت مقوماتها الذاتية([2]) .
- **البصائر** : من أكبر الصحف العربية الجزائرية شهرة وانتشارا، ومن أعظمها أهمية، لما تركته من أثر عميق في مجرى الحياة الوطنية من جميع نواحيها، والملفت للنظر من خلال محتوياتها نضالها في جميع الجبهات، والدخول في معارك فكرية مع جهات مختلفة، خاصة الأعداء منهم، كالسُعاة لدى الاستعمار، ورجال الطرق، والموظفين الرسميين، ونظرا للأحداث السياسية والتطورات الاجتماعية المتلاحقة ... كان على البصائر معايشة كل ذلك والإدلاء فيه بالرأي وإبداء الموقف، خاصة ما كان منها متصلا بمسألة الهوية والشخصية([3]).

لهذا جاءت"سجلا حافلا للقضايا الجزائرية والعربية والإسلامية، فقد كانت جريدة مبادئ ومواقف، وليست جريدة للعيش والتعيش"([4]) وقد اُعتبر مستواها الفني الإعلامي والفكري نقلة نوعية في عالم الصحافة العربية بالجزائر، بلغ فن الصحافة فيها "درجة رفيعة فتطور إخراجها، وانتظم صدورها، وتنوعت مادتها، مع تعفف في القلم، وسمو في التعبير ... تجمع بين صحافة الخبر، وصحافة

---

[1] ــ سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ص 253.

[2] ــ ناصر محمد : مصدر سابق، ص 62.

[3] ــ المصدر نفسه : ص190، 194.

[4] ــ سعد الله : **في الجدل الثقافي**، ص210 .

الرأي، وهي مدرسة لتربية الذوق وإشاعة الأخلاق الفاضلة، وبث الروح الوطنية، والبذل من أجل الدين الإسلامي الصحيح"(1).

فليس لدارس تجاوز هذين المنبرين الإعلاميين في رصد تطور الأحداث داخل الجزائر، وحتى خارجها، كذلك مسار حركة جمعية العلماء، ومبلغ ما شهده المستوى الفكري والثقافي آنئذ لدى رجالها *.

وعلى الإجمال فليس من المبالغة قول القائل :"إذا كان الناس يطلقون على الصحافة اسم السلطة الرابعة في الدولة، لما لها من تأثير في تكوين الشعوب، فإننا نستطيع القول بأن الصحافة الإصلاحية في الجزائر- وهي تحت سمع الاستعمار وبصره- يصح أن يطلق عليها اسم السلطة الأولى، لما كان لها من آثار مباشرة في توجيه الشعب الجزائري وتثقيفه، وإعداده للمعركة الفاصلة" (2). فكثيرا ما كانت مواقفه رجع صدى لآثارها البليغة فيه.

---

1 ــ المصدر نفسه، ص 211.

* تصنف الصحف العربية بالنسبة للإصلاح على النحو الآتي :

1-صحف جمعية العلماء- 2-صحف ابن باديس، -2-صحف مساندة للإصلاح-4-صحف مناوئة لحركة الإصلاح .

أنظر في ذلك :

- ✓ خير الدين، محمد : **مذكرات** ج1، ص296، 299.
- ✓ سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ج5، ص 253، 256، 258، 259، 260،263، 264.262.
- ✓ ناصر محمد : **الصحف العربية الجزائرية** : ص43، 52، 54، 80، 85، 190.

2 ــ ناصر، محمد : المقالة الصحفية الجزائرية(د.ط)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1398هـ1978م، ج1، ص 6،7.

المبـــحث الثـــاني

أوضـــاع الجزائر الديـــنيـــة في عصر باعزيز بن عمر

تكتسي الأوضاع الدينية أهمية خاصة للاعتبارات الآتية :

1. أنها من الناحية الواقعية تمثل قطاعا عريضا في شبكة البناء الاجتماعي
2. تعد المؤثرات الدينية أقوى المؤثرات في المجتمع الجزائري .
3. هي الناحية التي أولاها الاستعمار أوفر جهوده التدميرية .
4. استغرقت جل اهتمامات وأعمال جمعية العلماء، هدما وبناء، فكانت مدار الإصلاح وأسه .

وسنتناول هذه الأوضاع في المطلبين الآتيين :

المطلب الأول:هدم وتدجين

رغم إعلان جيش الاحتلال غداة دخوله الجزائر عـــن احترامـــه للإســـلام ومؤسساته وحرية الممارسة الدينية، فقد جسدت أفعاله نقيض وعوده، فاتسم موقفه بهدم تلك المؤسسات، والإهانة والتدجين.

فمساجد العاصمة عند الاحتلال كان عددها 122 مسجدا، لم يبق منها ســـنة 1904 سوى ستة مساجد تؤدي وظيفتها؛ إذ تعرضت للهدم، وحُوّل بعضـــها إلـــى كنائس، ومنازل ومقرات للجيش يعزفون فيها الموسيقى ويُعربدون، وحُوّل بعضها إلى مخازن علف الحيوانات والحبوب وآلات الشنق، وورشـــات لصـــنع الأســـرّة العسكرية و مشافي . وخلال 30 سنة (1848-1878) جـــرت مجـــزرة كبـــرى للمعالم الإسلامية في قسنطينة، وصودرت أوقافها ([1]).

وحملت بعض الوثائق ما تعللت به الإدارة لتبرير فعلها الإجرامي، بأن دُور العبادة وقت الاحتلال كثيرة، والاحتفاظ بها جميعا مستحيل، لمصاريفها التي على الدولة توفيرها، وهي عاجزة عن ذلك لمواردها المحدودة([2]) . ومعلوم أن المساجد

---

[1] ــ سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ج5، ص 11، 89 .

[2] ــ زوزو، عبد الحميد :**نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (د.ط)؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،1984،، ص 243** .

لم تكن في حاجة لشيء من هذا، فأوقافها التي سيطر عليها الاحتلال كانت تفي باحتياجاتها وزيادة .

وإثر هجرة كثير من العلماء، وإبعاد آخرين كان يرى فيهم الاستعمار خطورة على وضعه الآني والمستقبلي، سلط على المساجد أئمة تابعين للإدارة، كانوا مثار السخط والتذمر، حتى من بعض الذين أشرفوا على رسم سياسة وإدارة هذه المؤسسات من مسؤولي الإدارة الاستعمارية؛ فكتب أحدهم سنة 1949 يقول : إن الخطأ الثقيل الذي ارتكبناه في سياستنا الدينية ... هو تساهلنا مع رجال رسميين جهلة وشرهين دون ثقافة، وكل مؤهلاتهم هي ضحالتهم... لقد رأينا أحد المفتيين يطلب معلومة عند شيخ إصلاحي... ولكن هذا المفتي كان مخبرا للشرطة . ورأينا أكثر من موظف رسمي من هذا الصنف وهو يلقي خطبة في أحد المؤتمرات، فأثار الضحك والسخرية بين علماء المغرب وتونس . إن هذا العالم الرسمي كان حلس مكاتب الشرطة أيضا... إننا عجلنا بتدهور أصحاب الديانة الإسلامية التابعين لنا . إنها غلطة لا يمكن أن تغتفر([1]). ولا نعتقد أنها كانت غفلة من المخطط الاستعماري، بل لم يكن يسعه من الأمر غير ما فعل .

وقد أبدع هؤلاء الأئمة في ضرب المثل على تدجينهم، فكانوا لا يرفضون للإدارة طلبا، كان منهم المتفرنسون جدا، وكان بعضهم يتطوعون بدعوة الشخصيات الفرنسية وعائلاتهم لحضور الحفلات الاجتماعية، والمواسم الإسلامية في المساجد، وكانوا يحضرون الصلوات الدينية الكنيسية والإنشاد الديني، وقداس الجنائز أو الزواج، وكانوا يضيفون لصيغة الدعاء التي أسقط منها الدعاء للسلطان العثماني بعد الاحتلال في صلاة الجمعة، قراءة الفاتحة بمناسبة المواسم الفرنسية، وكان الإمام يدعو أيضا بالدعاء التالي : اللهم أيد حكومة فرنسا المباركة ([2]) . فكان شعارهم (وافق أو نافق أو فارق)، يريدون وافق الحكام على أعمالهم

---

[1] ـ سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ج 4 ، ص348 .

[2] ـ المصدر نفسه : ص 352- 354 .

ظاهرا وباطنا، أو ظاهرا فقط، أو أخرج من مملكتهم، ([1]) فاستحقوا بذلك انصراف الناس عنهم، ففقدوا النفوذ عليهم، واقتصر دورهم على إمامة الصلاة([2]).

بل لا سلطة لهم حتى على خطبهم، فهي صادرة عن إدارة الشؤون الأهلية، يكتبها مستشرقون فرنسيون، هدفها ومضمونها يؤديان للتنويم والتخدير، لا تخرج عن موضوعات الآخرة والموت، وطاعة أولى الأمر وما إلى ذلك، أما مسائل كالتضامن الاجتماعي والتقدم والعلم النافع، وأعمال الدنيا الصالحة، فلا مكان لها في خطبهم ([3]).

ولا غرابة -حقيقية- في ذلك، إذ كان من يتولى منصب الإمام يكون قد مر بمراحل في جميعها يكون تحت مجهر الشرطة، والمصالح الأمنية السرية، فكانت توضع للواحد منهم ملفات وبطاقات تسجل فيها حركاته، وآراؤه ومستواه، وطموحاته وعلاقاته([4]) . وإن كان طموح هؤلاء قد تحدد بخدمة أسياده، وبيع دينه بدراهم معدودات .

وتعد مسألة (فصل الدين عن الحكومة) من أبرز ما تتباهى به علمانية الدولة الفرنسية فنص قانون عام 1905 عليه، وقررت مده إلى الجزائر سنة 1907 ([5]) . وهو ما كان يقتضي تولي المسلمين من خلال هيئاتهم الدينية أمور دينهم ومؤسسات على غرار الديانتين المسيحية واليهودية .

لكن الأمر بقي حبرا على ورق، وكان محل مطالبة - بالإجماع تقريبا- من أحزاب وهيئات وطنية . ولم يحقق دستور 1947 شيئا من المسألة، رغم نصه على تسليم إدارة الأوقاف للمسلمين، كما كانت تطالب جمعية العلماء وغيرها ([6]).

---

[1] ـ الميلي، مبارك بن محمد : **رسالة الشرك ومظاهره**، ط3،قسنطينة ـ الجزائر: دار البعث،1403هـ ـ 1982م.،ص 294 .

[2] ـ سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ج4، ص 358 .

[3] ـ **المصدر نفسه** : ص 374 .

[4] ـ **المصدر نفسه** : 382، 383 .

[5] ـ سعد الله : **الحركة الوطنية ج2** ، ص 105 .

[6] ـ سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي ج 5، ص 208** .

ويبدو أن الاستعمار كان منطقيا مع نفسه في هذا الأمر، فلو أقدم على ذلك، فاستجاب لمقتضى القاعدة الدستورية لعجل برحيله من الجزائر، وهو ما لم يكن يدور بفكره مطلقا .

المطلب الثاني: الدجل الطرقي

وصف الشيخ أحمد توفيق المدني الطرق الصوفية وأثرها على العباد والبلاد، وصفا جامعا فقال: " أخذت كثير من الزوايا تستثمر غفلة العامة وبلههم، فتنال منهم مال السحت، الذي يدفعونه بصفة (وعدة) أو نذر، وينفقه رجال الزاوية على ملاذهم، وملاهيهم ومنكراتهم، وآل أمر الكثير من هذه الزوايا، والطرق إلى إحداث وثنية في الإسلام ... وأصبح شيخ الطريقة أو المرابط في الكثير من النواحي يتصف بأوصاف الربوبية، فهو الذي يعطي وهو الذي يمنع، وهو الذي يقبض وهو الذي يبسط، هو منبع كل خير ومصدر كل شر، وترى بعض السفهاء يقسم لك بالله جهد أيمانه ليقنعك بأمر ما . فإن أنت استحلفته بشيخ طريقته كان الموت أهون عليه من أن يقسم به فاجرا. فأصبح شيخ الطريقة أو صاحب الضريح أكبر مكانة في نفس السواد المغفل من الله جل جلاله . وتفشت إثر ذلك بدع وأباطيل... يزعمون أنهم يقومون بها زلفى لله وتقربا إليه، كضرب الدفوف والرقص واختلاط الرجال بالنساء في أيام الزيارات... والتشبه بالحيوان الأعجم في مشيته وأصواته ... لذلك غشيت الدين غاشية منكرة من الأباطيل، وأصبح دين عامة الجزائريين- وإن كان متينا- مغلوثا بهذه البدع والأضاليل التي يحرص الكثير من رجال الطرق والزوايا على إبقائها، وغرسها في القلوب، واستثمارها والانتفاع بها " ([1]).

فكيف آل أمر الطُرق إلى هذا الدرك من الابتذال والانحطاط؟ وقد كانت مارست منذ الاحتلال دورا مزدوجا ضده، في المحافظة على الوحدة الوطنية، بالمحافظة على القيم والتعاليم الإسلامية، والدعوة إلى الجهاد والشهادة دفاعا عن الدين والوطن .

---

[1] ــ المدني، أحمد توفيق: مصدر سابق، ص 351، 352 .

فتوجهت أنظار الخبراء الاستعماريين، إلى تحييد هذه الطرق بالوعد والوعيد أحيانا، وشراء الذمم وتولية الوظائف الدنيوية والتجزئة، فما جاءت الحرب العالمية الأولى حتى أصبحت هذه الطرق ضالعة إراديا أحيانا، وغير إرادي أحيانا أخرى في ركاب الاستعمار، فتخلت عن دورها الجهادي، وأصبحت أداة استعمارية لتخدير الشعب وتأييد السياسة الاستعمارية ([1]). فأبدوا الأعاجيب في تأييد فرنسا والخضوع لها، من ذلك مقولة شيخ زاوية: "صرنا مع الدولة الفرنسة كالإصبع الملتصقة بالراحة، فنحن وإياها ذات واحدة، وما يصيب أحد الطرفين يؤلم الآخر... وإني أدعو لدولتنا الجمهورية العزيزة بالنصر آناء الليل وأطراف النهار"([2]) . وزواج كثير منهم بفرنسيات وفق خطة غير معلنة، ليكنّ عيونا عليهم لدى الإدارة الاستعمارية * ولطالما عقدوا المؤتمرات، وأسسوا الجمعيات بتشجيع من الإدارة، خاصة في بدايات وعنفوان نشاط جمعية العلماء** التي تخصصوا في مهاجمتها والكيد لها. فهذا أحد شيوخ زاوية يرفع التقارير والرسائل للسلطات الاستعمارية ضدهم فكتب في أحدها بتاريخ 1936/09/07 أن العلماء المصلحين يشتغلون بالسياسة، وأنهم لا أصل لهم عائليا ولا يتبعهم إلا الأوباش، خلافا لأصحاب الزوايا"([3]) . والغريب أن تقارير الإدارة نفسها تفضحهم وتدينهم، جاء في أحدها أن الطرقيين زرعوا فتنة بإدخال بدع غير مقبولة كعبادة الأماكن والأشخاص، وكلمة الطرقية تعني الجهل والتأخر وموالاة الاحتلال والإدارة . وقد تشبهوا بأصحاب الديانات بتقديسهم الشيخ الذي حل عندهم محل عبادة الله([4]).

---

[1] ــ سعد الله، أبو القاسم: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط2؛ بيروت ــ لبنان:دار الغرب الإسلامي،1990، ج3، ص 18 .

[2] ــ سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ج4 ، ص 185 .

*أنظر: أمثلة عن ذلك في المصدر نفسه: ص 213، 218، 311 ، 312 .

** انظر أمثلة عن ذلك المصدر نفسه: 332- 337 .

[3] ــ **المصدر نفسه، ص 165**

[4] ــ **مطبقاني، مازن صلاح : مصدر سابق، ص 140 .**

وكانوا أهلا لتُصوب لهم سهام المصلحين لاعتبارين هما:

أولا: لابتداعهم في الدين وعرضه في أحط وأبشع صورة يمكن أن يعرض بها دين * خاصة أنهم تحولوا إلى ظاهرة ذات تأثير اجتماعي سلبي، ومعرقل لمسيرة الإصلاح .

ثانيا : لعلاقتهم بالإستعمار(1) * ؛يقول الشيخ الإبراهيمي : " الطرقية في صميم حقيقتها احتكار واستغلال المواهب والقوى، واستعمار بمعناه العصري الواسع،

---

*للإطلاع على نماذج مما كانوا يفعلون من منكرات انظر : -الميلي، مبارك : **رسالة الشرك** مثلا : ص ص 126، 135، 136، 152، 153، 160، 178، 182، 238، 277.

- الإبراهيمي : **سجل مؤتمر الجمعية** : ص، 33، 34، 39، 40، 73 .

- سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ج 4، ص 86، 87، 135، 137 .

1 ــ سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ج4، ص 339

* ذهب أبو القاسم سعد الله إلى القول : بأن انتقاد المصلحين مسلط على الطرقية عموما، بوصفها أداة في يد الإدارة الاستعمارية وليس ضد التصوف في حد ذاته، فقد كانوا ينقدون كذلك العلماء الذين يفتون للإدارة نفسها بما تطلب منهم، لا بما يريده الدين .

- سعد الله : المصدر نفسه، ص 338.

ونرى قوله هذا يحتاج لتعقيب؛ فصحيح أن المصلحين شنوا الحرب على كل مبتدع (طرقي) وموظف ديني رسمي (لدى الإدارة)، لكننا نقف على نصوص بمثابة وثائق رسمية للجمعية، لا تتفق مع القول المذكور، وأعني تحديدا قول الشيخ الإبراهيمي في تصديره لسجل مؤتمر الجمعية : " ثم ما هذا التصوف الذي لا عهد للإسلام الفطري النقي به . إننا لا نقره مظهرا من مظاهر الدين، أو مرتبة عليا من مراتبه . ولا نعترف من أسماء هذه المراتب إلا بما في القاموس الديني : النبوة و الصديقية والصحبة والإتباع، ثم التقوى التي يتفاضل بها المؤمنون، ثم الولاية التي هي أثر التقوى ... وهل ضاقت بنا الألفاظ الدينية ذات المفهوم الواضح والدقة العجيبة في تحديد المعني حتى نستعير من اليونان أو الفرس هذه اللفظة المبهمة الغامضة التي يتسع معناها لكل خير وشر ...فقد أصبحت هذه الكلمة التي غفلوا [المسلمون] عنها أُما ولودا، تلد البر والفاجر، ثم تمادى بها الزمان فأصبحت قلعة محصنة تؤوي كل فاسق وكل زنديق، وكل ممخرق، وكل داعر، وكل ساحر، وكل لص، وكل أفاك أثيم"

- انظر : سجل المؤتمر (مصدر سابق)، ص 37، 38 .

فهل هذا الموقف شخصي انفرد به فلا يلزمه إلا هو من بين شيوخ وزعماء الجمعية ؟ علما أن المؤتمر المذكور -كما يفيد السجل المشار إليه -ضم رؤوس الإصلاح وأئمته كابن باديس، مبارك الميلي، والشيخ العربي التبسي، وغيرهم ولم نعثر على من ناقشه القول فيما ذهب إليه، مما نُرجح معه ميلهم لذلك، خاصة أن منزعهم السلفي لا يطمئن للمسلك الصوفي عموما، فما بالك بالطرقي المشعوذ، ويرون الأجدر الوقوف بالأمور عند المصطلحات الشرعية، وهي هذا الموضوع : السلوك، والجانب الروحي، والتقوى .

واستعباد، بأفضع صوره، ومظاهره "(1) وهذا ما يفسر لنا الشدة التي أخذ بها العلماء الطرقية والطرقيين، وبقاءهم على ذلك فلم يفتروا عن حربهم، وفضحهم، ففقدوا – تقريبا- كل سيطرة كانت لهم على النفوس، وانحصرت أعدادهم في قلة بعد كثرة **.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

1 ــ الإبراهيمي : المصدر نفسه، ص 33، 34 .

** بلغ عدد أتباعهم سنة 1937 حوالي 190ألفا، بينما كانوا سنة 1910 حوالي 295000 تابع .

- سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ج4، ص 301.

وعليه فإننا نرى موضوع التصوف والتربية الروحية – عموما – في تراث جمعية العلماء الفكري والعملي في حاجة للدراسة العلمية .

الفصل الرابع

حياة باعزيز بن عمر

(1906 ـــ 1977)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كما أشرنا في المقدمة فإن النقص الشديد في المصادر أثر تأثيرا بالغا على ترجمتنا للشيخ باعزيز بن عمر، فلم نستطع الإلمام بجوانب حياتـــه و شخصـــيته، والتعرف على أهم قسمات و معالم كل مرحلة من مراحلها بالدقة اللازمة.

ففاتنا – مثلا– اكتشاف طفولته، و هل بدا منها ما يـــدل علـــى مخايـــل التميـــز، والتفوق، و اهتمامات مختلفة عمّن هم في سنه؟ وما هي طبيعة ونوعية قراءاتـــه؟ من هم أساتذته و معلموه خاصة في الزاوية ؟ وما هي العلوم التي تلقاها بها؟* بـــل حتى مواقفه لم نجد لدى مصادرنا ما يذكرونه لنا عـــدا اليســـير غيـــر ذي النفـــع الحقيقي للدراسة.

لهذا عولنا على مقاربتنا التي كثيرا ما تستند إلى الاحتمالات والترجيحـــات أو معلومات لها صلة واضحة بالشخصية أوما يحيط بها من ظروف وملابســـات، لسدّ كثير من الفجوات، مع إقرارنا ببقاء معظم الجوانب مظلمة، لا نـــرجم فيهـــا بالغيب، ولا تسعفنا قرينة لترجيح ما قد يبدو لنا من رأي .

و سنتناول حياة با عزيز عمر ضمن المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: النشأة العائلية و العلمية .

المبحث الثاني: أخلاقه و صفاته و ثقافته و آثاره .

---

* رغم أنه ذكر عناياته بتسجيل ملاحظاته في مذكراته، فكانت له عادة،أنظر: با عزيز بن عمـــر :" الشـــيخ محمدالبشير الإبراهيمي، العربي عدد 120 ، 1388-1968 ص 130.

و با عزيز بن عمر "ابن باديس المربي الكبير". لمحات مجلة اللجنة الوطنية الجزائريـــة لليونســـكو عـــدد 3 س،1969 ص 13.

المـــبحث الأول

النشـــأة: العـــائـــليـــة و العـــلمـــية

رغم شساعة مساحة الجزائر فإن منطقة القبائل الكبرى، كانت بهـــا كثافـــة سكانية نسبية مقارنة بغيرها، يتوزع فيها السكان على العموم في قـــرى و ضـــيع صغيرة متفاوتة الأهمية، تتخذها القبائل و فروعها مستقرات لها([1]) ممثلة أنمـــاط تجمعات سكانية تبعا لتضاريس الأرض، ومواقع مجاري المياه وينابيعها. فهنـــاك القرى الكثيفة الواقعة في وســـط المرتفعـــات، والقـــرى الممتـــدة علـــى القمـــم والمنحدرات، و الضيع الصغيرة المشتة (ايخليجن)([2]) في اللهجة المحلية.

*<u>ميلاده:</u> في هذا المحيط الطبيعي وُلد باعزيز بن عمر في 1906/02/10، بقرية آيت حماد الجبلية المشرفة على البحر شمالا ببلدية آيت شافع شرقي دائرة آزفون التي لا تبعد عنها إلا بنحو عشرين كيلومترا، وهي تابعة لولاية تيزي وزو (القبائل الكبرى)([3]).

و إذا كنا نعرفه حتى هذه المرحلة من البحث باسم (بـــاعزيز بـــن عمـــر) فمصادرنا أكدت لنا، بأن اسمه الحقيقي في الحالة المدنية هو : <u>عبد العزيز بـــازي</u>، أما عمر فاسم أبيه.([4])

عُرف والده كسائر الأسرة بالتقوى وحب العلم، و كان عالم مصلحا قضـــى عمره في تعليم القرآن وتربية النشء، والإصلاح بـــين النـــاس، والتوجيـــه إلـــى الخير([5])، ختم على يديه كثير من الطلبة شرح مختصرخليل و كان معروفا بأنـــه

---

[1] ـــالهواري، عدي: **الأستعمار الفرنسي في الجزائر**،ط1؛ بيروت لبنان،1983ص112.

[2] ـــ المصدر نفسه، ص 113،114 .

[3] ـ بن قينة، عمر "<u>ابن عمر ضحية مؤامرة الصمت</u>" .مجلة <u>المنهل</u>،دارة المنهل للصحافة و النشر 540 المجلد 59 العام 63: المحرم 1418ه – مايو 1997، ص 127 .

– إسماعيل بن محمد زكري :نبذة من حياة باعزيز في :**الجزائر الثائرة: ط1** ، الجزائـــر: وزارة الثقافـــة والاتصال ،2003 ص 287 .

[4] ـــ **بن قينة : مصدرسابق ص 127 – اسماعيل زكري (صهره) مهاتفة يوم 2004/01/25 .**

[5] ـــ **الصديق محمد الصالح : أعلام من المغرب العربي.(د.ط)،الجزائر:موفم للنشر،2000،ج2. ، ص 800 .**

من أفرض الناس، فسرعان ما يحل المسألة التي تعرض عليه، دون تفكير طويل([1]) .

* **تعليمه:** كان من الطبيعي أن يتلقى الولد (عبد العزيز) دروسه الأولى الأساسة على يدي والده ببيته المفتوح لطلبة العلم، فحفظ القرآن الكريم، و ختم مختصر خليل في الفقه، و زاد عليه فقرات من الأجروحية في النحو([2]) و هو – كما يلاحظ – قدر يسير أتيح له من العلم.و قد كان لوالده عليه أثر بالغ منذ الصغر، خاصة في التنشئة الدينية التي كان يحرص على تربية أولاده عليها . فجوّ الأسرة الديني – إذن – هو المهد الأول الذي تكونت فيه شخصيته الدينية .

و إن كان للأسرة جاه معنوي لمنزلتها، العلمية الدينية في المنطقة، فالراجح أن وضعها المادي كان بسيطا كباقي أغلب أسر المصلحين الجزائريين([3]) . و لكن أثر هذا الجانب لم يطفُ على سطح حياته، ربما لخاصية التكافل الإجتماعي في تلك الربوع؛ إذ يعتبر أهلها الفقير و الغني سواء في اللباس و غيره، فهم لا يحتقرون الفقير والعيب عندهم ألا يعمل القادر عل العمل، ويساعدون بعضهم، فلا يوجد بينهم فقير بدون أكل([4]).

---

[1] -زكري اسماعيل : مهاتفة في 2004/07/16

[2] -باعزيز بن عمر : " ابن باديس المربي الكبير " مجلة **لمحات** (المصدر السابق) ص 12.

* أنظر في هذا الصدد قوله " و إني لا أزال أذكر كيف كان والدي رحمه الله يحرص على تلقيني أنا و إخوتي هذه السور من القرآن ، و لفظ الشهادتين ، و نحن أطفال صغار، فأتصور مبلغ عناية الآباء في أوائل هذا القرن بتنشئة أبنائهم على حب الدين و تعاليمه "

– أنظر باعزيز بن عمر " التربية الدينية وحظ شبابنا منها " **البصائر** عدد 72. ع: 12، 1368/5/72هـ1949/3/21، ص2.

[3] – سعد الله: **الحركة الوطنية** ج3 ، ص42 .

[4] -سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ج5، ص 204 .

و ليس لدينا ما يؤكد أو يشير إلى ما يكون قد اشتغل فيه و أسرته من أنشطة معروفة بالمنطقة كالفلاحة، فلا نعرف نشاطا بدنيا معينا، انشغل بـــه فـــي مقتبـــل شبابه، و لا نستشف شيئا من هذا القبيل فيما كتب.

* **انتسابه للزاوية:** كانت منطقة زواوة (القبائل الكبرى) زاخرة بالزوايا التي نحا جلّها منحى مغايرا لما كانت عليه غيرها من الزوايا بالجزائر، فعرفـــت بزوايـــا القران * و كانت المعبر الضروري لكل طالب علم قليل أو كثير بالمنطقة.

لهذا انتسب الفتى (بازي عبد العزيز) إلى إحداها و هي زاويـــة اليلـــولي، وإن لم تكن لنا وثيقة تحدد لنا سنّ الانتساب إليها، فالراجح هي نحو سنّ الرابعـــة عشرة التي توافق تقريبا سنة 1920* : لما ذكرته بعض المصادر التـــي درســـت هذه الزاوية، من أن سن الدخول إليها حوالي العمر المذكور، و تتراوح مدة الدراسة بها بين خمس و عشرة سنوات([1]).

---

* أنواع الزوايا: - زوايا المشايخ، وهي ملكية خاصة تشبه النظام الملكي الوراثي، شيخها يكون عادة صاحب طريقة، له أتباع (الأخوان) تقوم عليهم الزاوية، خاصة من جهة خدمتها وتمويلها و جمع المال لهـــا، الـــذي يوضع بن يدي الشيخ فيصرفه كما يشاء . و هو يشارك في التعليم، فإن مات استخلف أحد أفراد عائلته، و هو صاحب.../... .../...الطريقة التي تعطي الأوراد و تعينها، و نظام التعليم فيها خاص، إذ ينتسب إليها الطلبة في نظام داخلي مجاني يتعلمون ، و يطعمون مما يتبرع به المحسنون.

زوايا المرابطين: هي ملكية جماعية مواردها محبسة على طلبة العلم، و المرابطون هم أحفاد مؤسس الزاوية الأول، لا يأخذون شيئا من أموالها، و ليس لهم طريقة صوفية، و لا مريدين ، فهي أشبه بنظام لجان المساجد الدينية يتطوعون لخدمتها و جمع النفقات لها.

3- زاوية الطلبة (زاوية اليلولي) الفريدة من نوعها بالجزائر.

انظر :نسيب، محمد : **زوايا العلم و القرآن بالجزائر** (د.ط)، دمشق -- الجزائر: دار الفكر(د.ق) : ص 103-118 .

* ذهب اسماعيل زكري إلى القول :" لم أحصل على التواريخ المذكورة لتلـــك الفتـــرة (التحاقـــه بالزاويـــة المذكورة) بيد أنها لا تخرج عما بين 1915-1928 : بدليل ما يأتي من كلامه في مقال مطـــول لـــه..... إشارة إلى مقال : ابن باديس، بنشرة لمحات المشار إليه آنفا.

-أنظر: إسماعيل زكري في: باعزيز بن عمر: **الجزائر الثائرة (مسرحية)** ص 287. و نحـــن نـــستبعد تاريخ الانتساب المذكور لمصادفته سن التاسعة من عمره، و هو ما لا يتفق مع السن التي درج الفتيـــة فيهـــا الانتساب للزاوية، كما ذكرنا.

[1] سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ج3 ، ص 205 .

و قد أجمع الباحثون على منزلة (زاوية اليلولي) المتميزة عن باقي زوايا القران، فهي من أشهرها وأكبرها ماديا و أدبيا، تخرج فيها أغلب علماء زواوة[1] فما هي – إذن – هذه الزاوية؟ و أين موقعها ؟ و من مؤسسها ؟ و ما الذي ميزها عن غيرها ؟ و ما أثرها في تنشئة صاحبنا ؟

هي زاوية عبد الرحمان اليلولي، زاوية الطلبة الوحيدة في نوعها بالجزائر، تأسست عام 1635 م تختلف عن زوايا المشايخ و المرابطين [2] .

و تقع في عرش (ايلولة) دائرة عزازقة ولاية تيزي وزو. و هي تحتل مكانا ممتازا على ربوة صخرية تُطل على سهل وادي سباو، و ترتفع على القرى المتناثرة على سفوح جبال جرجرة حيث تبدو كالمنارة للزائرين و القادمين إليها عن طريق عزازقة و عين الحمام و أقبو.

و للزاوية منظر طبيعي ساحر تحيطها أشجار الصفصاف و الجوز والكرز وحقول التين، وفي منحدرها وادي (بوبهير) المتكون من الشلالات المنحدرة من قمم جبل جرجرة....و في مدخل الزاوية ينبوع فوار، و صهريج كبير يسقي بساتين الخضر. و في الشتاء يشتد البرد و تتهاطل الثلوج، و لا تكاد تفارقها طوال هذا الفصل ... أما فصل الربيع فهو أجمل فصول السنة في الزاوية، حيث تصفو السماء، و الشمس دافئة و الجو لطيف معتدل، والطبيعة ترتدي أجمل حللها، و تبدو فاتنة ساحرة. [3])

أما مؤسسها فهو عبد الرحمن بن يسعد المصباحي (1030 هـ/1601 م – 1105 هـ/1676 م)، لم تكن له ذرية و كان مشهورا في وقته بالقراءات السبع والعشر، وقد رسخ هذا النوع من الدراسات حتى كان من لم يقرأ القرآن في زاويته،وبطريقته، لا يعد عالما بالقراءات، و الرسم القرآني . و قد بقيت هذه

1ـ باعزيز بن عمر: " الزوايا بالزواوة " و مجلة الشهاب،م1، ج9، 1351/9/1 هـ 1933/1/1م ، ص15.

2ـ نسيب،محمد: مصدر سابق: ص118.

3ـ المصدر نفسه، ص119-120

– أنظر أيضا في وصف روعة الموقع: الصديق ، محمد الصالح: الشيخ الرزقي الشرفاوي ط1: الجزائر: دار الأمة: 1998: ص 42-43 ، و زاد في الحكمة اختيار المكان بعيدا عن العمران: أن صاحبه أراد لمن ينتسب إلى الزاوية، خلو الفكر من كل الشواغل التي تصد عن العلم و العبادة، ص 42 .

الزاوية إلى سنة 1263 هـ/1847 م متخصصة في علم القراءات. ثم أدخل المسؤولون عنها علوما أخرى[1].

أما أهم ما تميزت به:

1- فالاستقلال في تسييرها، فبما أن صاحبها لم يخلف من يعقبه من الولد و لا وارث فقد بقت ملكا لطلبتها، فهم الذين يسيرونها جيلا بعد جيل، فهي (جمهورية الطلبة) – كما وُصفت – إذ هم الذين يختارون رؤساءها و أساتذتها، و هم من يديروا أملاكها و يحكمونها دون وصاية عليهم. و قد أسهم هذا التسيير في ازدهارها و رغَب الناس في التبرع لها و كانت مثلا أعلى في الإدارة و الانضباط و الغيرة على أداء الواجب[2] • و يتولى تسييرها مجلس مكون من اثني عشرة عضوا من طلبتها[3] .

2- كما تتميز بتخصصها في القرآن الكريم و القراءات، ولا تولى أهمية كبيرة للعلوم الأخرى[4] . و لا يعني هذا انعدامها منها على الإطلاق، و إنما تخصصت في القرآن و القراءات. و مما يدعونا للاعتقاد بأنها كانت تعطى إلى جانب ذلك دروسا في اللغة و الشريعة الأدلة الآتية:

أ- النص الآتي لباعزيز بن عمر يصف فيه زوايا زواوة فقال: " إن زوايا الزواوة ليست كسائر الأمكنة و الأبنية التي يطلق عليها الآن الزوايا... بل هي مدارس ابتدائية و ثانوية، ومعاهد علمية أُسست لقراءة القرآن، وما إليه من العلوم الموصلة إلى استخراج كنوز أسراره، ومعانيه[5]. فنميل إلى شمول هذا الوصف لزاوية اليلولي، إذ لم يرد ما يخصصها في كلامه، كما أن الاقتصار على حفظ

1- سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ج3، ص 189 .

2 – المصدر نفسه، ص 189 .

• يقول باعزيز بن عمر: " إن أرقى هذه الزوايا قديما و حديثا ماديا و أدبيا: هي زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي المشهورة في تلك النواحي باستقلال طلبتها، في شئونها داخلا و خارجا، بحيث لا يد لغيرهم من ذوي الأطماع على أدنى شيء منها "

– أنظر باعزيز بن عمر" الزوايا بالزواوة " **الشهاب** ج 11 م 7. 1350/8/1هـ-1931/11/1م،ص679.

3 – نسيب محمد : مصدر سابق ص 124 .

4 – المصدر نفسه، ص171 .

5 – با عزيز بن عمر: " الزوايا بالزواوة "، **الشهاب** ج1 م9 .

القران وحده لا يؤهل صاحبه لاستخراج كنوزه كما ورد به قول با عزيز، ويحسم قوله أيضا: " لا يُرى في ساحتها إلا من تسمعه يقرأ القران، و لا أفراد مجتمعين إلا لقراءة القرآن أو ما إليه من الدروس العلمية "([1]) .

ب- لم يكن يُدرّس بها إلا المشاهير من العلماء الزيتونيين أو القرويين أو الأزهريين([2]) *، ولا نخال وظيفتهم اقتصرت على تعليم القرآن، فمن هم دونهم منزلة علمية، قيمين بالقيام بهذه المهمة .

3- عُرفت بالتحرر و الانفتاح على الوطنية، فلا يمنعون من إدخال الجرائد السياسية والإصلاحية والمناشير إليها، بل يشجعون على ذلك، خلافا لغيرها ممن كان يعد هذه الأعمال تشويشا على زوايا العلم هي في غنى عنه بل كانت ملجأ للسياسيين الرافضين للخدمة العسكرية الإجبارية([3]). و لنزعتها الإصلاحية خصها ابن باديس بزيارة رفقة با عزيز بن عمر*.

4- تربية طلبتها تربية أخلاقية عالية فتنمي فيهم شخصية اجتماعية متعاونة، والاعتماد على النفس والكرم و البذل و الإيثار و حتى الرفق بالحيوان**. مما كان له أثر بالغ في صقل سلوك مترجمنا، و انطباعه بخلال كريمة صاحبته طوال حياته. " فالدارس لنظام هذه الزاوية يلاحظ هدوء الأعصاب، واعتدال السلوك، واستقرار النفس في الطلبة الصغار المراهقين... وهم يعيشون مرحلة المراهقة بلا جنون و لا هيجان، ولا تمرد و لا عصيان، بل ترى الاستقامة و الاتزان، والصبر والثبات، والتغلب على الشهوات الجامحة، وقهر النفس، ومخالفة الأهوء([4]) . ولهذه

---

[1] ــ المصدر نفسه : ص18 .

* أشار باعزيز إلى بعضهم أنظر **الشهاب** ، ج 11.م7.ص677-680 .

[2] ــ الصديق محمد الصالح : حوار ببيته بالعاصمة /2002/12/28 .

[3] ــ نسيب محمد: مصدر سابق، ص 42-43 .

* أنظر عن قصة هذه الزيارة : الصديق محمد الصالح،**الشيخ الرزقي** (مصدر سابق) ص 44.

** من الأخلاق التي يُربّى عليها الطلبة بالزاوية.

4 ــ نسيب، محمد : مصدر سابق، ص136 .

التربية – فيما يبدو – يعود فضل التأثير على الناحية العقلية لمترجمنا، من تفكير متزن ، منطقي و معتدل .

و لسنا نعرف واحدا ممن تلقى العلم على أيديهم في هذه الزاوية، رغم ذكر بعض المراجع لنخبة من العلماء * الذين درّسوا بها، ألا لأنهم لم يلتحقوا بها إلا بعد خروجه منها؟ أم أن أثرهم فيه كان ضعيفا، فلم يُنوه بهم؟ و نرجح الاحتمال الأول، لأنه نوه ببعضهم و بقيمة ما يقدمونه للطلبة**.

نخلص مما سبق إلى أن صاحبنا قد تخرج في الزاوية شابا يتقد حيوية ونشاطا، متطلعا لمزيد من المعرفة والعلم وربما تسري فيه روح نزّاعة للإصلاح والتجديد.

– التحاقه بابن باديس لتتلمذ عليه: فكان اللقاء بابن باديس كفيلا بتلبية كل أولئك ففي سنة 1928، و بالعاصمة قدمه إليه الشيخ أبو يعلى الزواوي(1295-1373هـ/1878-1952م)***، و ذكر له رغبة هذا الشاب للالتحاق بقسنطينة كي يتلقى العلم على يديه، إلى جانب الطلاب الذين يقصدونه للغرض نفسه([1]) فتحقق له ما أراد إثر اتفاق بين والده و ابن باديس خلال لقائهما بالعاصمة أثناء الزيارة المذكورة.

و في سنة 1929 ([2])* حزم أمتعته و ما استطاع حمله من الكتب و اتجه إلى قسنطينة للانخراط في صفوف تلاميذ و طلبة ابن باديس الأوائل فكان من

---

* المصدر نفسه: ص 149.

** انظر با عزيز بن عمر: " **الزوايا بالزواوة** " .الشهاب، المصدر السابق، ص 680 .

*** محمد السعيد، أبو يعلى الزواوي: كاتب صحفي، خطيب، له اشتغال بالفقه والتاريخ، من أبرز أعضاء جمعية العلماء، نزحت عائلته إلى الشام فنشأ وتعلم بدمشق، لجأ إلى القاهرة ، وعاد للجزائر بعد الحرب العالمية الأولى وولي الإمامة بجامع سيدي رمضان بالعاصمة، وهو ممن حاربوا البدع ، وله تآليف مطبوعة ومخطوطة. – نويهض، عادل : مصدر سابق، ص164 .

[1]- با عزيز بن عمر :" ابن باديس المربي"_ مصدر سابق، ص 11 .

2ـ باعزيز بن عمر: " **الابراهيمي**"، **مجلة العربي، مصدر سابق، ص11.**

- **ذكر صاحب موسوعة العلماء الجزائريين أن ذلك كان سنة 1925، وهو خطأ بيّن .**

– خدوسي، رابح: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين ط1؛ الجزائر،دار الحضارة،2002.ص82

أعظمهم[1] . و قد وجد في دروس و طريقة ابن باديس ما سره وفتح أمامه افاقا باسمة للمستقبل فلم يكن يقف عند حدود الكتب المقررة، كما هي الطريقة المتبعة حينئذ في معاهد الدراسة كالزيتونة بل كان يضيف إليها ما هو أهمّ في نظره بعد غرس ملكة التفكير والفهم الصحيحين في نفوس الطلبة وهو توجيههم لحمل مشعل النهضة، وخوض غمار الدعوة المنتظرة [2]، فتحددت – بهذا- الوجهة الإصلاحية التي كان يعد لها ابن باديس طلبته وتلاميذه متوسلا إليها بأسلوب تربوي حي أهمّ سماته : التعبير الجيد العالي و تهذيب الروح الربط بالعصر دون انقطاع عن الماضيو بث روح النشاط و العمل فيهم[3] .

فاجتهد الطالب بازي عبد العزيز في استيعاب هذه الصفات التربوية وتقمصها كي تنمو فيه مع مرور الزمن و تنطبع بها شخصيته . و بما جُبل عليه الفتى من حب التطلع و معرفة الواقع أحب أن يعرف ما لدى غير أستاذه من علماء قسنطينة من علوم، فاستأذنه في حضور دروسهم فوجدهم جامدين على طرائقهم التقليدية يستعملون الألفاظ العامية و الجمل السخيفة التي لا صلة لها بالفنون التي كانوا يقدمون كالنحو و العروض[4].

فازدادت قناعته بنفاسة ما يقدمه لهم أستاذه ابن باديس، مضمونا وأسلوبا وهدفا فكان – بهذا- مثله الأعلى والشخصية الأبرز تأثيرا في حياته كلها * وقد تعمقت هذه الآثار في نفسه أكثر- أيضا - لطول صحبته له و ملازمته في تنقلاته للاصلاح و مستقبله، والمحاور البارع مع أقرانه من العلماء فضلا عن خطورته في نظر الاستعمار الذي كان يرسل الجواسيس يرقبون حركاته، و تنقلاته

---

1 ــ حماني، أحمد: المصدر السابق، ص263 .

2 ــ باعزيز: " ابن باديس المربي"، **لمحات**، ص12 .

3 ــ المصدر نفسه، ص14، 15 .

4 ــ المصدر نفسه، ص15 .

- **كان كثير الاعتزاز به و لا يحلو له سوى الحديث عن إنجازاته و مقولاته و دروسه .../...**

و اتصالاته بالعلماء و المصلحين[1] فكشفت له عن ابن باديس المخطط المحنك يتلقون أقواله بما أمكنهم من وسائل وكان فطنا لهذا، و يقول: إننا نعمل و هم يعملون[2]، و لا شك أن ذلك كان يزيد في تفتح وعيه على أهمية ما يقوم به أستاذه و ينبهه إلى ما سيُلقى عليهم من مسؤولية النهضة و الإصلاح.

و كان للشيخ محمد البشير الإبراهيمي – أيضا – أثر مهمّ عليه فحين مروره سنة 1929 بسطيف إلى قسنطينة استمع لدرس الشيخ فهمّ بالبقاء هناك و التتلمذ عليه لولا قلة الطلبة حوله ووجوب الالتزام باتفاق أبيه مع ابن باديس [3] . ولكن اكتشافه الحقيقي لعظمة الإبراهيمي تجلّت له يوم دعاه لتحرير جريدة البصائر إثر تسلّمه رئاسة الجمعية فتهيأ له أن يعرفه عالما و كاتبا و مفكرا، رئيسا وإماما و خطيبا، فلازمه ملازمة التلميذ لأستاذه[4]*مما يسمح لنا بالقول باعتباره الشخصية الثانية المؤثرة في حياته بعد أستاذه الأول و لا نعرف تحديدا الجوانب التي ترك فيها آثاره، و لكنها لا تخرج – فيما يبدو – عن ثقافته الواسعة

.../... – أنظر :الصديق محمد الصالح: لقاء المصدر السابق، و كثيرا ما كان يتأنق في التعبير عن هذا التأثر فيما كتب عنه.أنظر قوله :

" .....و لكن آثار عظمته ستبقى فينا بقاء الدهر، يجد فيها الشاعر الأديب عطر الزهرة، و هدوء النسمة، وصمت الجدول، و عباب البحر، و رجل الدين، سمو الروح، و أخلاق السماء و إرث الأنبياء كما يجد فيها من طُبع على الظلم ما يردعه عن ظلمه من شدة في الحق ليس معها لين، و من صدق في المبدأ ليس فيه هوادة و من عظمة كالعاصفة إذا هبت لا تبالي بالصياصي و الأسوار"

– انظر با عزيز بن عمر، **البصائر** عدد 34-س2، 1367 ه-1948 .ص2 .

[1] با عزيز" الإبراهيمي"_ المصدر السابق ص 126.

[2] المصدر نفسه ص 128

[3] المصدر نفسه ص127

[4] المصدر نفسه ص127

* توطدت صحبته للإبراهيمي – أيضا- بعد الاستقلال، فكان دائم الصحبة له.

– حدثنا بهذا صهره إسماعيل زكري في اتصال بتاريخ 2004/08/06 .

و طريقة تفكيره في معالجة المشكلات و تعمقها، و أسلوب كتابتـــه، و معروفـــة عناية الإبراهيمي بالتوجيه في هذه الميادين *.

- توجهه للدراسة بالزيتونة: من المعلوم أن جامع الزيتونة بتونس كان قبلة طلبـــة العلم من الجزائريين، سواء باختيار ذاتي أو بتوجيه من العلماء و الشيوخ الـــذين تخرجوا فيه ومنهم ابن باديس، الذي كان يوجه تلاميذه إلى هنـــاك ([1]) و خاصـــة من يلمس فيهم النجابة والجدية والطموح العلمي([2])، ومنهم تلميذه بازي عبد العزيز لكنه لم يلبث بها طويلا ([3]) لنفوره من الطريقة التقليدية التي وجد عليها شيوخها([4]) خاصة أن ذلك جاء بعد اعتياده على منهجية ابن باديس الحيوية الناهضة.

و معلوم عُقم طرائق التعليم بالزيتونة لذلك العهد (الثلاثينيـــات) إذا كانـــت تتسم بقلة الحوار و الدخول في تفاصيل مُملة فيأتي محصـــول الطلبـــة المعرفـــي هزيلا ([5]).

و كما لا نعلم تاريخ التحاقه بها لا نعلم أيضا إلى أي مرحلة من مراحـــل الدراسة بها انتسب* فقد يكون اختار دروسها العامة التي ما كانت تتطلب شروطا لحضورها ولا إجـــراءات إدارية باستـــثناء الذين يشاركون في امتحان(التطويع)،

---

* - انظر - مثلا - : الغزالي محمد:"مع البشير الإبراهيمي في القاهرة" مجلة الثقافة وزارة الثقافة- الجزائر عدد 87 س 15 .1405 ه- 1985 م .ص95-99

[1] ـ سعد الله: الحركة الوطنية ج3، ص106 و قد ذكر أن عدد التلاميذ بالزيتونة سنة 1936 حـــوالي 200 طالبا (جزائريا بالطبع) بينما كان لا يتجاوز 50 قبل ذلك .

[2] الجـــابري، محمـــد الصـــالح: النشـــاط العلمـــي و الفكـــري للمهـــاجرين الجزائـــريين بتونس1900-1962.(د.ط)؛ ليبيا،تونس ـ الجزائر: الدار العربية للكتاب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1983. ، ص36 .

[3] ـ الصديق، محمد الصالح: أعلام المغرب، ص 801 و انظر أيضا : زكري اسـماعيل: فـي: الجزائـر الثائرة:ص 289-2900، كما ذكر انه كان يريد اتخاذ تونس معبرا لمصر للالتحاق بالأزهر لكن عراقيـل حالت دون ذلك و لم يبين ما هي هذه العراقيل .

[4] ـ باعزيز:" ابن باديس" لمحات : ص 15 .

5 -Hellal amar, le mouvement reformiste algerien les homme etl'histoire(1831-1957);Alger:office des publications universtaires,2002. , P304

فإنهم ملزمون بالتسجيل لدى كاتب الجامعة[1] . ويبدو أنه لم يكن مضطرا لشيء من هذا فقد زهد - كما رأينا- في الدراسة و قفل راجعا إلى الجزائر لكن هل عاد لمتابعة دروسه على يدي ابن باديس ؟ أم أنه اكتفى بما بلغه من تحصيل علمي يؤهله لمزاولة أنشطته العلمية والدعوية ؟ كم لبث في حلقات ابن باديس العلمية قبل إن يولى وجهه شطر جامع الزيتونة؟

لا نملك أجوبة قاطعة عن ذلك لكننا نميل إلى أنه إثر عودته قد جمع بين الأمرين فأبقى على مسار تلمذته على ابن باديس مفتوحا و إن لم يكن يقتضيه هذا الانتظام في دروسه بوصفه طالبا مداوما على الحضور، فقد استوفى – فيما يبدو– الضروري من علوم اللغة والشريعة، مما يمكنه من القيام بمهامه في التعليم والإصلاح.

- **مهامه ووظائفه:** تُجمع مصادرنا على اقتصار مهام باعزيز بن عمر على ميدانين هما: التعليم و الصحافة، و لكننا عثرنا على نص* يشير إلى إمكان اشتغاله بميدان ثالث و هو الإصلاح الاجتماعي (و لا نعني بالطبع شغلا أي الوظيف بالمعنى التقليدي المألوف) فهل المقصود به السعي مثلا لإصلاح ذات البين ؟ أم المحاربة الميدانية العلمية بالنصح والإرشاد ، في المجتمع ؟ أم اتخاذ الصحافة منبر توجيه و إصلاح ؟ فالإشارة الواردة في النص المشار إليه، و هي ... مراعيا في كل عضو اختصاصه القريب بأعمال اللجنة التي نسب إليها و كفاءته المشهودة المبنية على التجارب في العمل الخاص باللجنة و القوة النفسية التي يعهدها في كل عضو"[2] تُرجح هذه الإشارة خوض الإصلاح من خلال المنابر الإعلامية المتاحة و قد أثبت باعزيز قدرته الإعلامية المميزة في كتابة المقالة الاجتماعية خصوصا .

---

1 ibid;p302.1

* عضو " لجنة الإصلاح الاجتماعي"، البصائر، عدد38.

2 ــ المصدر نفسه .

أما التدريس فقد مارسه بمدرستين هما : مدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة التي كان يديرها الشاعر محمد العيد آل خليفة(1904 – 1979) ([1])، والثانية هي التي أنشأها هو مع ثلة من المصلحين و هي مدرسة الإقبال بالأبيار بالعاصمة و تولى إدارتها ([2]) دون تحديد للتواريخ بالطبع .

وقد كان للمدرسة الأولى (الشبيبة) أثرها الفعال في نشاطه الفكري و الثقافي، إذا كان يزامله فيها ثلة من الأساتذة الأجلاء كمحمد العيد آل خليفة، وعبد الرحمن الجيلالي، وكانوا يجتمعون بعد العمل للمناقشة، والمساجلة([3]).

عرفت صحيفة (الشهاب) و صحف العلماء باعزيز بن عمر أو (الفتى الزواوي)*، كاتبا من أبرز كتابها، لكن جريدة البصائر استأثرت به إلى جانب قلمه كاتبا، أيضا محررا بها، دعاه الشيخ الإبراهيمي لهذه المهمة، تحت إشرافه، لما آلت قيادة الجمعية إليه ([4])، وصفة (المحرر) تقتضي منه الإشراف على الجريدة شكلا ومضمونا، وكذلك الإشراف على وسائلها، و استمر في منصبه هذا إلى أن توقفت عن الصدور.

وقد انضم سنة 1954 إلى لجنة الطباعة والنشر بالجمعية، بقرار من مجلس جمعية العلماء المسلمين الإداري، إثر اجتماع هام في تاريخها أعيد فيه النظر في نصوص الجمعية الرئيسية وهيكلتها الإدارية([5])، و فيه أيضا تقرر إلحاقه بمُدرّسي الدرجة الأولى من المعهد الباديسي([6])* و سمحت له هذه المنزلة، بالحصول

---

1 ــ المصدر نفسه، ص290، وقد تكون هي المدرسة التي أشارت إليها البصائر عدد 10،السنة 1، /1366هـ 1947م، ص8 .

2ــ الصديق، محمد الصالح، **أعلام المغرب** ج2، ص803 .

• كتب بهذه الكنية عديد المقالات في الشهاب والبصائر خصوصا سلسلتها الأولى .

3 ــ باعزيز : " الإبراهيمي"، مصدر سابق، ص127.

4 ــ سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر** ج2، ص77ــ80 .

5 ــ المصدر نفسه، ص74،75.

6ــ المصدر نفسه ، ص 75-80 .

• و قرار التسوية هذا شمل من توفرت فيه شروط المعلم بالمعهد من الشيوخ في الإدارة و المركز و محرر البصائر و إدارة المطبعة وأهم شرط أن يكون قد مضى على انخراط المعني في الجمعية وثبت على مبدئها و العمل بها مدة لا تقل عن عشر سنوات، و رشحه المجلس الإداري ووافق عليه.

على مرتب قدره 40.000 ف .ف شهريا مع منحة السكنى مقدارها 3000 ف.ف[1] .

و عن عطائه التعليمي يقول إسماعيل الزكري:" و عن تعليم الدروس الخاصة ليلا و نهارا في المنازل العائلية فقد فاقت كل التصورات و لست مبالغا إذا قلت: كان الشيخ مدرسة عصرية متنقلة فلا تكاد تسأل أحدا في عهده من الشباب و الكهول رجالا و نساء و في مختلف الطبقات عمن تعلمت؟ إلا وأجابك بأنه من تلاميذ الشيخ باعزيز بن عمر فهو معلم الجميع حتى في المحلات التجارية في الأبيار حيث يسكن و في غيرها من أحياء العاصمة " [2]* .

أما بعد الاستقلال فلم يتول وظيفا محدّدا حسب مصادرنا، فبعضهم ذكر أنه ممن سُجّلوا في وزارة التربية باعتبارهم مدرسين بالتعليم الثانوي لكنه لم يدرس به[3] * وذهب صهره إلى أنه كان مستشارا لوزير التربية الوطنية الدكتور أحمد طالب الابراهيمي [4]، و ربما لم يكن هذا الأمر بصفة رسمية إذ المنصب سامي بالدولة لو تولاه ربما كان معلوما عند من حاورتهم وهم من خلاّصه و عارفيه، ولعل المقصود عضويته للجنة الوطنية التي كانت تصدر مجلة (لمحات)*التي تدل صفحاتها الأولى على ذلك .

نخلص مما سبق إلى أن باعزيز عمر تمسك في ميدان الإصلاح و التزم بما يحسنه أي : التعليم** و الكتابة الصحفية فبرهن على جودة أدائه فيهما وطول

1ـ المصدر نفسه : ص 75-80 .

2 ـ زكري، اسماعيل: مصدر سابق، ص290 ،291 .

* يبدو أن التعليم المذكور هنا هو دروس علمية في مبادئ الدين واللغة في البيوت، وتوجيهات وإرشادات وفتاوى، وإصلاح لعموم الناس .

3 ـ العربي، الهاشمي(أحد عارفيه)، مفتش عام سابق بوزارة المالية: لقاء بدار الإمام / وزارة الشؤون الدينية)، الجزائر العاصمة، في 2004/5/19.

4ـ اسماعيل زكري اتصال هاتفي

* : صدر منها خمسة إعداد كتب باعزيز في أربعة منها – رسالة خطية من: رمضان محمد الصالح ، في صيف 2004 صدر عددها الخامس و الأخير سنة 1973

** كان معلما ممتازا ، شهادة: رمضان محمد الصالح : لقاء :2002/12/26 .

باعه في ميدان المقالة الصحفية الإصلاحية تحديدا، كونها المجال الأرحب الـذي وسع إنتاجه الثقافي و الفكري في معظمه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبـــحث الثـــاني

أخـــلاقـــه و ثـــقافـــتـه وآثاره

المطلب الاول :أخلاقه أوقفتنا مصادرنا على جملة من خصال باعزيز بن عمـر الحميدة تصوره شخصية رائعة ايجابية منذ مرحلة الطلب، فقد كان محبوبـا مـن طرف زملائه في زاوية اليلولي؛ لدماثة خلقه و اتزان عقله و صفاء قلبه و ذكائـه و رهافة حسه و ميله الفطري للمسالمة والمآلفة و قد بقي على هـذه الأوصـاف طوال حياته.و من خصائصه العقلية في هذه المرحلة حبه الجدل و المناقشة يهرع إلى الأدلة إذا دخل في حوار مع أحد، مستعينا بالتحليل و الموازنة و الترجيح ([1]).

و قد نمت معه هذه الخلال لتصبح من ميزات شخصيته التي أجمع واصفوه على أنه طيب جدي في عمله صادق في القول و العمل مرح لا يـؤذي أحـدا([2]). اشتهر بالشجاعة يقول كلمته و لو على رقبته سيف متفتح لطيف ظريـف حسـن الاستقبال محسن مرهف الحس إنسان اجتماعي ([3])، فهو رجل لا يُكره لحرصـه على ربح العلاقات، كان كالطفل الصغير في طهارته و نظافته صـاحب سـلوك حضاري محافظ على وقته حلو العبارة لذيذ المعاشرة يدافع عن المظلومين وينصر الحق ([4]).

وهي صفات ترقى بصـاحبها إلـى مصـاف الشخصـيات الاجتماعيـة النموذجية، فإذا أضيفت لها خصائصه الفكرية صرنا أمام شخصية فكرية تسـتحق حياته وفكره الدراسة والتأمل و الاعتبار.

فلقد تميز من هذه الناحية بقوة حاسة النقد عنده كان لـه حاسـة سادسـة، والتمييز بين الجيد والرديء وحضور البديهة، يستثمر مشاهداته في الحياة اليومية

---

1 ــ الصديق، محمد الصالح : أعلام المغرب العربي ج2 ص 800، 801 .

2 ــ شيبان عبد الرحمان الرئيس الحالي لجمعية المسلمين الجزائريين، ووزير الشؤون الدينية سابقا . لقاء (مقر الجمعية) في 2002/12/28 .

3 ــ الجيلالي، عبد الرحمان : لقاء بدار الإمام /وزارة الشؤون الدينية – العاصمة: /2004/05 .

4 ــ الصديق، محمد صالح : لقاء .

للمجتمع فيما يكتب، حديثه - إذا جالسته - في قضايا الأدب والإصلاح و الدين و تطورات الأحداث في العالم([1]).

نلاحظ مما ذكر أنه ممن تُوافق أفعالهم أقوالهم، وهي صفة خلقية إسلامية رفيعة، وشرط من أهم شروط من يتصدى للإصلاح، كما تفسر بعض هذه الأوصاف تركيزه على نقد الأوضاع العامة و الخاصة الاجتماعية التي كان للاستعمار دور كبير في صناعتها، و ظل هذا الحس متيقضا فيه إلى ما بعد الثورة و في عهد الاستقلال، فكان يبدى آراءه مع المثقفين و ينقد الواقع الاجتماعي و السياسي[2]. لكن دون إعلانه مكتوبا كما كان سابقا؛ و السبب في ذالك صدمته في الواقع الجزائري إثر الاستقلال؛ كان يقول عجبا كيف أن الاستعمار قد وحدنا و الاستقلال فرقنا!! ([3])، فالرجل كان يعلق آمالا كبيرة على ما بعد الاستقلال، يأمل حياة هانئة للجزائريين فأصيب بنكسة، كان حساسا و كان يدافع عن الثورة يعتقد أن الجزائر سيعتدل كل شيء فيها، لكن لهفة الناس على المادة والمنصب وإهمال القيم صدمته فانزوى، مع نقده للواقع وتكراره عبارة خيبة أمل([4]).

لهذا - فيما يبدو- تحول الرجل الكتوب الناقد المشارك بفكره في مشكلات المجتمع و قضاياه الثقافية والفكرية إلى مُمسك عن ذلك كله علنا إلا قليلا، و ربما يسمح لنا هذا الذي انتهى إليه بالقول: أنه كان منغمسا - وقت الاستعمار - في حركية الإصلاح، ومجابهة الاستعمار في شتى مظاهره، فكانت هناك قضية محددة يناضل من أجلها وهي تعرية العدو المخادع وتوعية شعبه ودفعه لتحقيق الاستقلال، فلما انحط مستوى الصراع إثره إلى الأعراض الزائلة والمكاسب المادية الهزيلة فُقدت في حسه قضية تستأهل النضال فلاذ بالعزلة مع خيبة الأمل

---

[1] ـ شيبان، مصدر سابق ،الصديق : مصدر سابق .

[2] ـ رمضان، محمد الصالح : حوار

[3] ـ شيبان، عبد الرحمان: مصدر سابق.

[4] ـ الصديق، محمد الصالح: حوار.

ومرارة الشعور بالنتيجة، ولولا هذه الهزيمة النفسية لكان في وسعه أن يوسع مشكلات الساعة – انذاك المحلية والخارجية– معالجة ونقدا واقتراح حلول .

وقد انطبعت شخصيته الفكرية وأسلوبه في الكتابة بكثير من صفاته الجبليّة والخلقية، فكان عميق التفكير مرهف الحس، يحسن الحديث عن مشاعره وخواطره يجيد فنّ الوصف، فإذا الصورة التي يريد نقلها إليك تنطق بين يديك وتحيا وتلهم، سخّر قلمه السيّال المتدفق لتصوير آمال المجتمع و آلامه و ماضيه وحاضره"([1]).

و يبدو أنه كان يكيّف توجيهات أستاذه الأكبر ابن باديس لتصير عنده سلوكا يتفرد به فقد ذكر توجيه الأستاذ لهم أيام الطّلب باستعمال الفصحى في حلقات دروسه، وعلى المناقشة و التخاطب بالفصحى تدريبا للألسنة و الأقلام([2])، فيأخذ هذا النصح لديه صفة الالتزام مدى الحياة فكان لا يتكلم إلا بالفصحى، فإذا أخذوا عليه ذلك يقول أنا لا أعرف عاميتكم فلا أخلط بها([3])، و إن قيل له : خاطب الناس بما يفهمون قال : يجب رفع مستواهم لمستوانا لا ننزل لمستواهم([4])، و ليس هذا منه استعلاء على العامة إنما هو سلوك تربوي يهدف إلى صقل الأذواق والألسنة، فضلا عن كونه احدى الأدوات العملية الفعالة في مقاومة المسخ اللساني للمجتمع الجزائري .

المطلب الثاني :ثقافته لا شك أن الثقافة القاعدية الأساسة لباعزيز بن عمر هي نتاج العلوم الشرعية واللغوية التي تلقاها في مواطن الدرس التي مرّ بها– كما عرفنا – فكانت بالتالي بمثابة المصفاة التي تمر بها أي ثقافة أخرى اكتسبها، فتنال عنده القبول أو الرد بقدر ما تؤشر عليها ثقافته الأصيلة بالاستحسان و الجواز، أوالاستهجان و الرفض .

---

[1] ــ الصديق، محمد الصالح : **أعلام المغرب العربي** ج2 ص 800

[2] ــ باعزيز بن عمر : "**سهولة العربية و صعوبتها**" **مجلة لمحات، اللجنة الوطنية الجزائرية لليونيسكو عدد 2 السنة الأولى 196،ص17**

[3] ــ **رمضان ، محمد الصالح: مصدر سابق .**

[4] ــ **الصديق ،محمد الصالح : حوار**

و قد تأكد لنا من مصادر نقلية متطابقة و استخلاصا مما كتب ابنه وغير لرسالته الإصلاحية ما أمكنه مما تحتاجه من مدد ثقافي، فضلا عما يرجع منها لتكوينه الأصلي فكانت قراءاته و مطالعاته متنوعة، و على وجه الخصوص كان يحب قراءة الكتب الاجتماعية و الأدبية و السياسية و التاريخية فتنوعت معارفه التي كانت تسعفه بالحديث في المجالات المختلفة حديث عليم بصير(1) .

كما يُستخلص أيضا – كما ذكرنا – مما كتب، إطلاعه على مذاهب المفكرين و الفلاسفة في مسائل علم الاجتماع * فيتوسل في تأييد ما يذهب إليه من رأي أو نقض آخر أو رد شبهة بما يقرره الخبراء العالميون، كالتقرير الصادر عن المنظمة العالمية للعمال حول حل المعظلة الاجتماعية التي أحاطت بالهجرة العمالية لفرنسا(2) . والإطلاع على الجديد في عالم الاقتصاد لتوظيفه في معالجة المشكلات التي يتصدى لها، كنقضه شبهة نمو النسل وتأثيرها على الاقتصاد، استنادا إلى معلومات تضمنها كتاب رئيس القسم الاقتصادي في منظمة الأمم المتحدة (3). كما بان لنا إلمامه بالمنهج العلمي في البحث و إحكامه الموازين الشرعية للمعرفة كقوله: "درسوا [أي العلماء المسلمون] الفلسفة و الطبيعة و الرياضة على ضوء الدين و نظروا في الآداب و الفنون، على ضوء الخير

---

1 – شبيان عبد الرحمن : حوار

* –انظر– مثلا– قوله "وقد لاذ به أي التشاؤم كثير من المفكرين و اتخذوه مذهبا للفت الناس إلى الجانب المظلم من الحياة وربما فضلوه على التفاؤل"

– عزيز بن عمر :" منافشة كتاب الأستاذ بن نبي"، البصائر 74 ،1368/6/6هـ1949/4/4م .

وقوله" نود أن تعنى الأمم المتحدة بالطرفين معا الرجل و المرأة معا لا بأحدهما فحسب، وما يمنعها – و هي الهيئة الأممية الكبرى – أن تعمل في هذا الصدد بالنظرية البيولوجية في علم الاجتماع التي تنظر إلى المجتمع ككائن حي في تكوينه وعلاقته بالوحدات والأجزاء التي يتكون منها و تعتبر الفرد في الجسم الاجتماعي رجلا كان أو امرأة بمثابة الخلية في الكائن الحي و الجمعيات والهيآت بمثابة الأجهزة العامة فيه"

–انظر ياعزيز : " تقدم المراة " البصائر ع: 299 ، 6جمادي الأولى ه1374– 1954/12/21م.

2 –يا عزيز بن عمر: " عمالنا بفرنسا " البصائر 258 س 6 -8-4-1373– 1954/2/12.

3 – يا عزيز بن عمر: "دفع شبهة في تعليل نمو النسل في الجزائر" البصائر 251 ، 1373/4/12– 1953/12/17م .

و الجمال، و كانوا في كل هذا متصفين بقوة الملاحظة و الاستقراء و تعميم النظر و التجويد و القياس الصحيح إلى غير هذا مما تفيده دراسة هذه العلوم الكونية"([1])، فكأنه بقوله هذا يضع الموازين الشرعية للمعرفة و نعني بها مصدريه الوحي في دراسة الكون و الطبيعة، و انضباط الفنون و الادب بضوابط الخير و الجمال على خلاف الآداب التي لا تعترف بغير الجمال مقياسا للجودة . كما تؤكد لنا إلمام باعزيز بأصول منهج البحث العلمي (الملاحظة الاستقراء القياس) و هي إشارة إلى سعة نسبية في ثقافته، و انطباع تفكيره بطابع الترسل المنهجي في المعالجة المبنية على المقدمات و النتائج المنطقية .

و تجلت عصاميته- فضلاعما ذكرنا- في اكتساب اللغة الفرنسية و المهارة فيها و هو الذي لم يتلق يوما تعليما في مؤسسة تعليمية أهلية أو حكومية (فرنسية) مما يُعلّم هذه اللغة، و مع هذا كان يُتقنها إلى الحد الذي يُناقش بها المثقفين الفرنسيين([2])، و يترجم منها للعربية بسهولة، فقد ترجم – مثلا – مقدمة كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي و التي كتبها محمد عبد الله دراز([3]) .

و بلَغته عصاميته إلى ما يريد لأسلوبه من صقل و فكره من عمق؛ إذ سلك في ذلك – كما نصح هو سائلا – دراسة كتب الأئمة القدامى كالجاحظ، و إمعان النظر في حسن اللفظ و المعنى مع الرجوع إلى النفس و الذوق ليبلغ الأثر الذي ينبغي أن يكون عليه الأديب في الانسجام بين الألفاظ و المعاني . و كان القرآن إمامه الأكبر في تقويم ملكته و تجويد أسلوبه ([4]).

---

[1] – يا عزيز بن عمر :" الإسلام في ديمقراطيته ونظمه الاجتماعية". البصائر ع:24، 84/8/1368هـ 20/6/1949م.

[2] – زكري اسماعيل : مهاتفة

و أكد لنا هذه الحقيقة كل من : – رمضان محمد الصالح : حوار – شبيان : حوار الجيلالي : عبد الرحمن : حوار – العربي الهاشمي : حوارت الصديق ، محمد الصالح : حوار، فقال لي : ذات يوم كنت بباب عزون بالعاصمة فالتقيت به فعرض علي الدخول لتناول قهوة، ثم أخبرني أنه أتم قراءة كتاب بالفرنسية تقريبا في السياسة كان ذلك سنة 1953 .

[3] – البصائر : عدد 7س 1، 4-11-1366 هـ / 19-9-1947 .

[4] – باعزيز بن عمر : "مقامات الحريري وتنشئة الأدباء والناشئين". الشهاب ج11/م11، 1/11/1354هـ 1/2/1936م.

و كانت هذه العصامية موضع تنويه من "الشهاب" ورد فيه مانصه: "الأستاذ باعزيز بن عمر من تلامذة الأستاذ (ابن باديس) النابغين عصامي، كتب جيد الأسلوب، وصاف بارع، رافق قلمه النهضة في عنفوانها، فحامى عنها، وناضل، وكان له في ميدانها جولات" (1).

ونضيف إلى العوامل السابقة التي كونت ثقافته عاملين اثنين: أولهما: أثر الثقافة المشرقية عليه، فهو كسائر المصلحين والكتاب والصحافيين الجزائريين، قد تعرض لأثر هذه الثقافة تأثيرا بالغا، فلطالما اعترف هؤلاء بفضل الصحافة العربية الشرقية عليهم، سواء في ذلك ما أمدتهم به من غذاء فكري، أو ما أفادتهم به من أخبار الوطنين العربي والإسلامي، وما طبعت به أساليبهم من بيان رفيع ولغة راقية" (2). وهذه سمة تتسم بها "الحياة الفكرية في المغرب الإسلامي، إذ تتأثر بأفكار المشرق الإسلامي عبر التاريخ، مما يدل على الوحدة الفكرية، والثقافية، واللغوية التي تأصلت جذورها، وبقيت حية مدى الدهر" (3).

ولم يكن هذا التأثير على باعزيز بن عمر، ليأتي على استقلاله في الأخذ مما يرد عليه من هذه الثقافة بين غث وسمين، ما يبني نهضة، وما يطمس أصالة أمة، ولا الاكتفاء باستهلاكها، بل دعا إلى أن نكون منتجين للثقافة النافعة كما ينتجون (المشارقة)، كي يكون لنا كياننا الفكري والثقافي الذي نعرف به، ونسهم معهم في بناء نهضة الثقافة العربية الإسلامية (4).

أما العامل الثاني: فتأثره بالجوانب المدنية في الحضارة الغربية، فلكونه كان يتردد على فرنسا، كثيرا ما عبر – فيما كتب – عن إعجابه بمظاهرها المدنية الإيجابية، كقوله: "وأنا من الموقنين أن باريس ذات المدنية اللامعة والمناظر

---

1 ــ الشهاب ج4، م14، 1357هـ- 1938، ص 221.

2 ــ ناصر، محمد: المقالة الصحفية ج1، ص60.

3 ــ الطالبي، عمار: مصدر سابق، ص15.

4 ــ باعزيز: "اشتغالنا بالشرق أنسانا أنفسنا"، الشهاب، ج5م11.

الجميلة، ستبدو للمسلم في أجمل مما كانت عليه قبل، بفضل ما تم للإسلام فيها على يد هذا الأخ العامل (يقصد الفضيل الورتيلاني) من مظاهره، وتجلى من آثاره، بجنب عظمة باريس التاريخية، وحركاتها الدائمة التي يكسوها نشاط القوم وجمال النظام، وجلال القوة المحركة، وآيات العمل المتجددة، وما يغذي هذا كله من رقة في الآداب العامة الساحرة "[1] . ورغم هذه القوة التعبيرية عن مبلغ إعجابه بعاصمة فرنسا التي ترمز للمدنية الغربية فلم يكن ذلك منه عن استلاب لها؛ إذ كان يميز بين إيجابياتها وسلبياتها، وبين الغرب المتمدن حين يحكم شعوبه، والغرب المتوحش في حكم الشعوب التي استعمرها .

وما يمكن ملاحظته حول ثقافته- إجمالا- أنّها لم ترق به إلى مستوى التخصص والتعمق اللذان يخرجان به إلى فئة الكتاب والمفكرين ذوي المذاهب المكتملة الأركان، المفصلة المقولات، أو الباحثين الذين يصدرون فيما يكتبون عن مناهج علمية دقيقة صارمة .

والحقّ أن باعزيز بن عمر لم يكن يفكّر أو يتطلع لشيء من ذلك، وإنّما حسبه أن دأب على استجماع ثقافة ثرية متنوعة، تفاعلت مع تكوينه الشرعي، كي يتصدى لما يعالج من مشكلات وقضايا في مقالات صحفية يؤدي بها واجبا شرعيا في الدعوة للإصلاح الديني والاجتماعي، ومناجزة الاستعمار في الميدان الثقافي، ونعتقد أنه قد أشرف على الغاية من هذه الناحية .

***ضغوط الاستعمار عليه والتربص به :** أجمعت مصادرنا على وطنية باعزيز بن عمر، وخدمته للثورة بالوسائل المناسبة لوضعه * ولهذا كانت ضغوط المستعمر عليه مستمرة .

---

1 ــ باعزيز: " الشباب العامل بباريس "، **الشهاب**، ج9،م12 . /9/1355هـ-1936/12/1م.

* قال لي الصديق محمد الصالح (حوار) : " اتصلت به فسألني : مارأيك فيما يجري ؟ فحاولت مغالطته، فقال لي : فهمتك أنت من الثورة ؟ كلنا في الهم الشرق . كان ذلك في عام 1955، في صدد قيامي بمهمة استطلاع مواقف أشخاص معينين إزاء الثورة ..فلما علم حقيقة مهمتي ، ابتهج ابتهاجا كبيرا، ثم حدثني عن ابنته التي التحقت بالثورة والمقصود بابنته هنا، ما كان للمنظمة النسائية دور كبير في السجون والمعتقلات، .../...

وأوذي كثيرا من طرف السلطات الاستعمارية البغيضة الغاشمة، وخصوصا على أيدي جيرانه المتطرفين الحاقدين عليه في منظمة الجيش السري (O.A.S) الذين كانوا يتربصون به، ويراقبون تحركاته قبيل الاستقلال مما اضطره إلى هجر سكناه بينهم فرارا من أذاهم . وبالرغم من ذلك فلم يكد ينجو من محاولة اغتياله مرة عندما جاء يتفقد داره التي قنبلوها عن بعد إثر تفقده لها، وخروجه منها بعد دقائق معدودات، وهم يظنون أنه من جملة ما تحطم من أسوارها وأثاثها، وأنه تحت الردم بين الأطلال، ولولا عناية الله به لتحقق مكرهم([1]) .

*وفاته : لم يدم مرضه أكثر من عشرين يوما، فكانت وفاته مفاجئة، يوم 1977/05/06، بعد أن صلي عليه وأبنه بكلمة قصيرة، ومؤثرة أشد التأثير زميله الشيخ أحمد سحنون رحم الله الجميع([2]) .

*آثاره: يمكننا تقسيم إنتاجه الفكري إلى مرحلتين : المرحلة الاستعمارية ومرحلة ما بعد الاستعمار (الاستقلال) ؛ فالمرحلة الأولى جاء نتاجه فيها كله-فيما يبدو- مقالات في جرائد ومجلات جمعية العلماء والمصلحين الذين أنشأوا جرائد ومجلات تؤازر الإصلاح . لكن الذي استأثر بجل نتاجه في هذه المرحلة منبران هما : - الشهاب والبصائر بسلسلتيها الأولى والثانية - وقد لاحظنا خط تطوره الفكري في تصاعد ونضج، إذا قارنا بين كتاباته في الشهاب والبصائر، فرغم ما كانت تأتي عليه أحيانا كثيرة أفكاره ورؤاه في الشهاب من جودة ووضوح، فإنّ بعضها كان يتلفع بغلالة من الألفاظ والعبارات الجميلة المنمقة، لكن على غير معنى واضح أو ذي شأن، وتبلغ عنده أحيانا حدا تفقد معه أي معنى تقريبا، كمحاولته-مثلا- تعريف الرأي العام بقوله :" هو كما يعرفه علماء الاجتماع كناية

.../... فإلقاء القبض في شهر أوت 1956 على ثلاثة ممرضات من جيش التحرير وهن : صفية بازي (ابنته)، ومريم ميهوب، وفضيلة مسلي، أثناء اشتباك استشهد فيه عمار رشيد . فهذه الحادثة تبين للرأي العام العالمي مشاركة المرأة الجزائرية في الكفاح المسلح .

- كفاح المرأة الجزائرية، دراسات وبحوث ملتقى كفاح المرأة، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر، ص 254 .

[1] زكري اسماعيل : في : باعزيز : الجزائر الثائرة، مصدر سابق، ص 291- 292 .

[2] المصدر نفسه، ص 293.

عن عقل مشترك مستمد من قوى هائلة، تعمل في هذا الوجود مجتمعة في لحظة ما لا تعمله آلاف من الأحقاب والسنين، وقد عرفه بعضهم بأنه ضغط شديد ينشأ عن تأثير العقل الاجتماعي الشامل في الفرد بحيث يذهب بشخصيته المنفردة المتنوعة " (1). فلم نظفر بمعنى محدد للرأي العام من هذا التعريف، حتى لنراه لا يكاد يقول شيئا .

أما مقاربته للقضايا الاجتماعية والسياسية في هذه المرحلة فكانت أقرب للتوجيهات الأخلاقية العامة، مما لا تنضبط معها مشكلات ملموسة، كما هو الشأن- بعدئذ- في مقالات البصائر التي برزت فيها قدراته على تشخيص المعضلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية، تفصيلا وتمحيصا، وتحديدا للأسباب وتقديم حلول أحيانا، وعليه فتفكيره الواقعي في مرحلة البصائر - في معظمها - صار أكثر نضجا ووضوحا، وتمثيلا لمستواه الذي رفعته إليه ثقافته العصامية، والتجهّز بالعدة اللازمة لرجل ومفكر الإصلاح . وقد صادف هذا الرقي لديه، ما اعتبرته البصائر في سلسلتها الثانية، مرحلة و وقت البناء * .

وإجمالا فقد أنتج في هذه المرحلة كمّا هائلا من المقالات الصحفية التي اتخذناها مادة لتحليل ودراسة فكره.

أما المرحلة الثانية (بعد الاستقلال) فكانت حصيلته فيها من المقالات المنشورة قليلة جدا إلى الحد الذي يمكننا حصرها - تقريبا- في سبعة مقالات . لكنه - فيما يبدو- اتجه إلى تأليف الكتب وهي :

1 دروس في الأخلاق والتربية الوطنية : 4 أجزاء لتلاميذ المدارس الابتدائية والمتوسطة والأولى والثانية من التعليم الثانوي . وهو مطبوع .

2 دروس في الفقه للمدارس الابتدائية (مخطوط) .

---

1 - باعزيز : " الرأي العام وأثره في المجتمع " .الشهاب ج 1 م11 ،1 /1/1354هـ-1935/4/5م.

* وجهت البصائر في سلسلتها الثانية كتابها بقولها : " لا تعودوا إلى حرب الضلالات فقد انقضى أمرها، وابنوا، فهذا وقت البناء "

- البصائر : س1، سلسلة2 : عدد2/ 14 رمضان 1366هـ -1- 8-1947، ص 8 .

3 ذكرياتي عن الشيخين : ابن باديس و الابراهيمي (مخطوط) .

4 رحلتي إلى البقاع المقدسة (مخطوط)

5 الجزائر الثائرة (مسرحية تاريخية) -نشرت عام 2003 .

وقد تكون له مخطوطات أخرى • لم نتمكن من الإطلاع على شيء منها - كما أشرنا للأسف- لوجودها بين يدي أهله .

نخلص إلى القول إن حياة باعزيز بن عمر كانت حافلة بأمرين بذل فيهما وقته وجهده هما : طلب العلم والتثقيف الذاتي والإصلاح بالتعليم والتربية، فإن فات الدارس الحصول على معلومات تمكنه من دراسة تجربته الإصلاحية العملية، فإن نتاجه الفكري - خاصة مقالاته- حفظت لنا فكره للدراسة والتحليل .

نستنتج مما سبق- في هذا الباب - أن شخصية باعزيز بن عمر وفكره كانا نتاج تفاعل الأحداث والأفكار السياسية والاجتماعية والثقافية التي ميزت عصره، مع اعتبار عاملين اثنين أقوى العوامل في توجيه حياته وفكره هما : الأول هو الظاهرة الاستعمارية التي بسطت نفوذها على كل جانب في حياة الجزائريين - آنذاك- فانفعلت بها شخصيته انفعالا سلبيا؛ إذ استنفرت طاقاته ومعارفه لمواجهتها ومناجزتها القول والنكير عليها، والتنبيه الواعي المستمر لخطرها على الكيان الحضاري للمجتمع الجزائري، فكان - بذلك- للمُعامل الاستعماري الفضل في تخريج جانب من شخصيته المقاومة له ثقافيا.

أما العامل الثاني فيتمثل في الحركة الإصلاحية (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي انفعل بها انفعالا ايجابيا، إذ أسلم لها قياد شخصيته تصوغها مقولاتها وتوجيهاتها ومبادئها، فتخَرج في دائرتها مثالا للجيل الثاني من زعماء الجمعية وقادتها الفكريين جنديا من جنود الإصلاح، في ميدان الفكر والقلم، يترجم فكرتها فيما عالج من مشكلات وقضايا، أو أبدع من نتائج ثقافي وفكري .

• زكري، اسماعيل :في باعزيز : **الجزائر الثائرة** . ص 294 .

الباب الثاني

فكر بالعزيز

الإصلاحي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شغلت فكر باعزيز بن عمر قضايا مجتمعه وعصره، فأسهم فيها برأيه، مرتادا المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية برؤية إصلاحية.

وسوف نعرض في هذا الباب لفكره الإصلاحي، من خلال الفصول الآتية:

تمهيد: مفهوم الإصلاح عند باعزيز بن عمر.

الفصل الأول: فكر باعزيز السياسي.

الفصل الثاني: فكر باعزيز الاقتصادي والاجتماعي.

الفصل الثالث: فكر باعزيز التربوي والثقافي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مفهوم الإصلاح وأسسه وشروطه عند باعزيز بن عمر

الإصلاح من أوسع المصطلحات انتشارا في أوساط المفكرين و المصلحين منذ نهايات القرن التاسع عشر الميلادي إلى الآن، فتداولت الأقلام على ضبط مفهومه، وتباينت تباينا شديدا في كيفياته بحسب مرجعياتهم العقائدية و الفكرية والسياسية أيضا. وكل ما تجده من صراع بين نخب الأمة مرده إلى ذلك في غالب الأمر. وسوف نعنى في هذا التمهيد ببيان مفهوم الإصلاح في فكر باعزيز بن عمر، على اعتباره مدخلا، يتعذر فهم فكره الإصلاحي دونه.

*مفهوم الإصلاح في فكر باعزيزكما سبق القول، فإن الإصلاح شعار رفعته اتجاهات التغيير، والنهضة في العالم العربي والإسلامي على اختلاف مرجعياتها، ويمكن فهمه في هذا الإطار الواسع على أنه "فكرة أو حركة تعنى بالدعوة أو العمل على مواجهة خلل ما في النسق الفكري، أو الاجتماعي قياسا إلى إطار مرجعي يُحال إليه كنموذج"(1)، وعليه فإن تخصيص مفهومه لا يستقيم إلا بضبط مرجعيته، ولهذا اعتبر المصلحون ذووا المرجعية الإسلامية ما هو إصلاح حقيقي، ما ارتبط بالكتاب والسنة، ولا يقرّون مواجهة الخلل في البناء الفكري أو النسيج الاجتماعي خارج إطارهما.

و يضيف باعزيز بن عمر إلى هذا القدر المشترك مع غيره من المصلحين، فهم الكتاب والسنة فهما ممزوجا بالروح والعقل معا، فيسوق : الأجسام إلى تطبيق العلم على العمل في الدين والدنيا(2) فكأنه يشير إلى التفاعل

1ـــ صالح، أماني : المرأة العربية والمجتمع في قرن، في :أبو الفضل منى(محررة).المرأةالعربية والمجتمع في قرن: تحليل وبيبلوغرافيا للخطاب العربي حول المرأة في القرن العشرين.ط1 ؛ بيروت ــ لبنان،دمشق ــ سورية : دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 1423هـ 2002م ص، 56 .

2- باعزيز بن عمر:"شعور طلبة الزوايا بالزواوة نحو جمعية العلماء" الشهاب:ج8 ، م7 ، 1350/4/1هـ1931/8/1م. ص505 .

الوجداني الروحي معهما، ونفاذ العقل إلى مكنوناتهما، وأسرارهما، حتى تتم إحداث الإصلاح والتغيير، كي تنشأ بالجوارح دواعي العمل المنطلق لما حصله العقل من علم بالكتاب والسنة، ويستغرق ذلك الإصلاح شؤون الدين والدنيا.

والوقوف بالإصلاح عند هذا المدلول النظري، لا ينشأ عنه أثره ـ فيما يبدو من كلامه ـ إذ لابد له من مؤسسات مادية، دالة على إرادة مستنهيها الإصلاحية، والمقصود بالمؤسسات أو المبتكرات :الكليات والجامعة المؤسسة للعلوم والمعارف والصناعات على النمط العصري، بفضل رجال أدركوا معنى الحياة الجديدة(1)فهذه المؤسسات التعليمية هي العلامة الدالة على إرادة الذين أسسوها في الإصلاح، وأنها الممر الطبيعي الذي ينبغي أن يسلكه حتى تتجدد الحياة بإشرافها وتنسجم مع العصر. وبالرغم من تفهمنا للظروف التي كتب فيها هذا الكلام وهي التي اتسمت بحرمان أمته و بلده من هذه المؤسسات، فكأنه يتطلع إليها مشيدة فيه . فمن البديهي ألا تستأثر وحدها بأمر الإصلاح، فالمؤسسات التي تزاوله معها كثيرة، كالمسجد و وسائل الإعلام، والجمعيات المدنية والسياسية والدينية والاجتماعية.

وليس أدلّ على ذلك من الوسائل والمؤسسات التي مارست الإصلاح جمعية العلماء المسلمين التي هو أحد أفرادها. قد نقره على ما ذهب إليه في حالة واحدة، هي أن المؤسسات التعليمية المشار إليها، هي المحضن الذي تنمو فيه فكرة الإصلاح المعاصرة، ويتخرج فيها المصلحون بعد أن يتلقوا من العلوم والمعارف، ما يؤهلهم لأداء دورهم الإصلاحي التغييري، فكأنه إصلاح قائم على أسس ومناهج علمية. وحينئذ ينصرف كلامه إلى وسائل الإصلاح، لا إلى مفهومه وآثاره؛ لأن الإصلاح مفهوم واسع، يشمل الأسس والخطة والأهداف والوسائل والنتائج، إنه "عملية تغييرية تهدف الجهة المصلحة

---

1 ـ باعزيز "الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بمناسبة ذكراه"، الشهاب 1354/6/1هـ-1935/9/1م، ص353.

بها إحداث تغيير وقلب في واقع المصلحين (بفتح اللام) العقلي التصوري، والروحي العاطفي، و السلوكي الاجتماعي، والمادي العمراني. وذلك وفق الخطة والأهداف المرجوة، عبر مرحلية زمنية، وسننية كونية، بأساليب ومناهج، ووسائل حضارية تتفاعل اجتماعيا وحضاريا فيه الجهة المصلحة والمصلحة بحيث تتغير الجهة المصلحة نحو الواقع الجديد (1) وبالطبع فلا تمام لذلك إلا وفق المرجعية الشرعية الإسلامية المستخلصة من الكتاب والسنة .

إلا أننا نعثر على مفهوم أوضح للإصلاح لديه وهو :"أن الإصلاح الإسلامي دعوة إسلامية عامة ترمي إلى جمع كلمة المسلمين، وتطهير عقائدهم ودينهم مما شوه وجهه السمح من بدع المضلين، وأهوائهم، وإصلاح مجتمعاتهم أدبيا، وماديا بما يُنشر فيها من هداية الدين، ويقام من دور العلم والعرفان، التي تهدي الأمم إلى سواء السبيل"(2) .

• الأسس والشروط : يقوم الإصلاح – كما ورد في فكر باعزيز– على الأسس الآتية:

1ـ قوة الإقناع الذاتية التي يتوفر عليها الإصلاح يقول : " فإذا كانت الدعاية أو الدعوة هي الطريقة الإقناعية التي يخاطب بها الناس على قدر عقولهم، وباللغة التي يفهمون، فإن الإصلاح بنفسه قوة إقناعية"(3)، فالإصلاح نابع من مصادر حُججها قوية، وتأثيراتها بالغة، قد كانت هي سند الدعاة والمصلحين المسلمين على الدوام، تمدهم بالمدد العقلي، والوجداني في دعوتهم إلى الله، وإصلاح الأحوال بعد فسادها .

1ـ عيساوي، أحمد:"**الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي مصلحا**"، ص418 .ونعتقد أن إغفال التعريف المذكور لمسألة مرجعية الإصلاح، يدخل في(ماصدقه) كل اتجاهات الإصلاح دون تفرقة بين توجهاته العقائدية، والأيديولوجية .

2ـ باعزيز: " الإصلاح الإسلامي ونزعة التجديد"، **البصائر**،ع: 76 س2، 1368/6/20هـ ـ 1949/4/18م ،ص6 .

3 ـ باعزيز: " الرأي العام وأثره في المجتمع": **الشهاب** ،ص24،23 .

2-قوة الحق والبيان اللتان يملكهما رجال الإصلاح" فإن رجاله القائمين به اليوم ليملكون من قوة الحق والبيان، ما لا يسع الناس، إلا الإقتناع بمبادئهم السامية، ولا يتم الرأي العام الناضج إلا على أيدي هؤلاء، وهم الطبقة لممتازة ي كل عصر، وطُهاة كل رأي عاما كان أو خاصا، وبُناة كل عقيدة شاملة، تستولي على عقول الأفراد فتسوقهم جميعا إلى العمل المشترك "([1])الحكم النابع عن مشاهدة ينم عن إدراك واضح، لما ينبغي أن يتصف به المصلحون من تشرب وإيمان عميق قوي لما يدعون إليه، وقدرة الإبانة عنه .

3-بث الشعور الحي في أفراد الأمة([2])الذي لا ثمرة ترجى للإصلاح دونه،وهو الشعور الذي يبدأ حين تحس الأمة بما آل إليه أمرها من انحطاط، و أنها في حاجة إلى تغيير ما بها إلى ما هو أفضل، فالشعور بالفساد هو أول مراحل الإصلاح([3]) 4- التوحيد وغرس العقيدة الصحيحة في قلوب أبنائها([4])، وهو أمتن أساس يقام عليه الإصلاح الإسلامي، خاصة حين تغشى الناس حينا من الدهر غواشي الخرافة والدجل، والتعلق بالمخلوقين لقضاء حوائج لا يقضيها إلا الخالق، واتخاذهم وسائط إلى الحق تبارك وتعالى، مثلما كان عليه المجتمع الجزائري، لما بزغ فجر الدعوة إلى الإصلاح الإسلامي عليه، والتوحيد هو أسلم مظاهر الفكرة الدينية الصافية الصحيحة، التي هي سبب الترقي فإن اختلطت وداخلتها دواخل الباطل تعطلت عن أداء مهمتها في الترقية فكان الانحـــدار([5]) و قد رأينا من قبـــل كيف تحولت أغـــلب الزوايا، والطرق الصوفية في الجزائر إلى أداة تخدير للمجتمع، لمّا تبدل رؤساؤها نحو ضلالات الشرك والبدع .

1ــ المصدر نفسه ،ص24،23 .

2ــباعزيز:"في الحياة الاجتماعية"، **الشهاب** 1355/1/1هـــ1936/4/1م،ص8.

3 ــ الإبراهيمي، محمد البشير: **سجل مؤتمر جمعية العلماء**، (مصدر سابق)، ص57.

4 ــ باعزيز: " **في الحياة الاجتماعية**"، مصدر سابق، ص8.

5ــ النجار، عبد المجيد : **مشاريع الاشهاد الحضاري**ط1 ؛بيروت لبنان:دار الغرب الإسلامي،1999،ج3. ص97

والتوحيد - أيضا - هو الذي أعطى للدين قوة التغيير والإصلاح الإسلامي، في تجارب و جهود المصلحين باستمرار، اتساقا مع سنة الله في حركات التغيير الكبرى للإنسانية التي كان الدين أساسها(1)، ولكن قوة التوحيد هي ضمان سلامة كل تغيير، وصلاحيته.

5- العلم الديني و الدنيوي معا(2).

6- الإمساك بالقديم بعد وضعه في قالب جديد(3)، و هو ما عرف على صعيد الساحة الفكرية و الثقافية بمسألة الأصالة، أو التراث و المعاصرة ، إحدى أكثر الإشكالات المثيرة للجدل. فهذه الأسس التي تكتسي أهمية بالغة في الإصلاح (تخطيطا و تطبيقا)، تفتقر في فكر- باعزيز- إلى توسيعها بالشرح و الاستدلال و التمثيل. كما لا يقوم عليها وحدها إصلاح إن افتقدت المنهج أحد أهم أسس الإصلاح، و أركانه و هي (المصلح-الذي يراد إصلاحه- و المنهج).

وقد ورد كلامه عن المنهج في نقطتين هما :

ما يتناوله الإصلاح : فيرى أنه يتناول مجهودات الفكر البشري، وما وصل ويصل إليه الإنسان مما هو في دائرة الإمكان، فلا يتناول أمر الدين، لاكتماله بنص القرآن(4) فالمقصود بأمر الدين -كما يبدو- المبادئ الكلية وأصوله وأسسه التي نص عليها القرآن والسنة، وهي التي أجمع على ثباتها العلماء، في مختلف الأحكام الشرعية : الأحكام العقائدية، والأحكام الأخلاقية، والأحكام العملية التي تنقسم بدورها إلى أحكام العبادات وأحكام المعاملات. فالثبات خاصية النوعين الأولين، وأحكام العبادات، أما ما يناله الإصلاح والاجتهاد بالتغيير بمقتضى المصلحة التي يقرها الشرع فميدانه أحكام المعاملات. كما يمكن فهم الأمر من زاوية أخرى، و هي: ما هو مقدس وغير مقدس في

---

1 ــ بن نبي، مالك: **وجهة العالم الإسلامي** ط1 ،بيروت ــ لبنان،دمشق ــ سورية:دار الفكر المعاصر،دار الفكر، 1420هـ-2000م،ص154 .

2 ــ الفتى، الزواوي:" حول التوحيد والعلم في نهضتنا"، **البصائر** ع:5،س1، ص4،5

3- باعزيز:"شعور طلبة الزوايا بالزواوة" **الشهاب**، ج8، م7، ص506 .

4ــ المصدر نفسه ، ص506.

التعامل معه بالإصلاح والاجتهاد ؟ فنجد الوحي ممثلا في القران و السنة هو المقدس الذي لا ينبغي القول بالإصلاح (التغيير) فيهما بداهة، أما الاجتهادات و التأويلات التي نشأت حولهما فليست لهما تلك القداسة، و يُتعرض لهما بالإصلاح قبولا وردا وتطويرا، كلما اقتضت الحاجة ذلك، ما لم تمنع منه أحكام شرعية تستند إلى نصوص من القرآن والسنة قطعية الثبوت والدلالة . ومعلوم في هذا المضمارما وفره المنهج الإسلامي للمجتهد والمصلح من ضمانات هي أدلة استنباط أخصها: القياس والإجماع، والاستحسان والمصلحة المرسلة، والعرف، ومبدأ الذرائع، فضلا عن مقاصد الشريعة(الضروريات والحاجيات والتحسينيات) فهي كفيلة باستيعاب الإصلاح والتجديد الإسلامي.

ب ــ دراسة العوامل الذاتية للأمة شرط نجاح دعاة الإصلاح: فعلى دعاة الإصلاح تحديد أساليبهم، وبناء إصلاحهم على دراسة العوامل الذاتية المودعة في طبيعة كل أمة، مما ينبني عليها كل توجيه وتربية، فلابد للمُصلح من دراسة نفسية الأمة، وتاريخها وحياتها، رقيا وانحطاطا، والوقوف على الأدوار التي مرت بها، ليقارن بين دور وآخر فيبصر المواطن التي تسرّب منها الضعف للأمة التي يحاول إصلاحها (1)، فيقيس – هنا- الأمم على الأفراد، فمثلما لكل فرد نفسيته وشخصيته، والمفتاح الذي يُهتدى إليها به، كذلك الأمم لكل منها خصائصها الذاتية، ونفسياتها وتاريخها؛ وبمقدار ما يطلع منها المصلح على حقيقة هذه الجوانب، بقدر ما يوفق في ضبط المنهج الملائم لإصلاحها وتغييرهافليست الأمة التي أدركها الفساد وهي في مرحلة فاعلة من مدنيتها، كالتي لم تدخل مرحلة الحضارة والمدنية بعد، وهاتان تختلف عنهما من خرجت من الحضارة إلى الخمول والانحطاط، ذلك أن أحوال الأمم إزاء الحضارة كالآتي : إما من لم تلجها بعد، أو هي في طور من أطوار الحضارة، أوخارجة منها .

---

1 ــ باعزيز: "في الحياة الاجتماعية"، **الشهاب** ،ص10.

كذلك الاختلاف بينها يأتي في أن منها من يحل بها الفساد لكونها ليست على منهج ما، ومنها القائمة على منهج فاسد في أصوله أو بعضها، ومنها من فسدت لتنكبها المنهج السليم السديد في بناء حضارة، والمصلح يخطط لإصلاحه تبعا لإدراكه هذه الأحوال، والأدوار التي تمر بها الأمم.

أما المصلح الذي ورد الحديث عنه ضمنا فيما أوردنا من كلام باعزيز، فهو من الصفوة التي هي فئة قليلة واعية تتقدم الجماعة، في حركتها التاريخية الحضارية، أي تقوم بواجب التمهيد، والإعداد الحضاري، والتوعية الحضارية،فيقع عليها العبء في عصور النهوض والتقدم الحقيقي؛ إذ تقود وتوجه، وتبتكر وتبني، وتنظر إلى الأمام، وتحسب حساب الحاضر، والمستقبل . وقد أثبتت تجارب التاريخ ألا نهوض ولا تقدم دونها(1).

ويُشترط في هذه الفئة -حسب باعزيز- من الصفات ما يأتي:1- الشفقة على الأمة-2- العمل في سبيل رقيها وسعادتها-3- الرأفة بميول أبنائها العاملين في سبيل إصلاحها ونهضتها-4-الوقوف مع العاملين في الإصلاح موقف المشجع والمنشط قولا وفعلا-5- العمل الجماعي بتفاؤل وثبات لرفع مستوى الأمة-6- الحذر من تثبيط العزائم(2).

وهي شروط لم تقرّب الخصائص الفكرية والعلمية، وحتى النفسية للمصلح، كما يمكنها الانطباق على العاملين في حقل الإصلاح الإسلامي دون تفرقة بين القادة والأتباع، وإن كان لكل أدواره فيه، إلا أنّ للقادة شروطهم التي أهلتهم لرتبة القيادة، فاختلفوا بحكمها عن سائر من يسهم في الإصلاح، كسعة العلم، وبُعد النظر، والحكمة، وصفاء المنهج، واستقامة الفكر والرأي(3)، فضلا عن خصائص نفسية وخلقية جبلية كالسماحة، والحزم، والعزم.

1- مؤنس حسين: **الحضارة**، ط2؛الكويت:المجلس والآداب،1409هـ1998م،عالم المعرفة رقم(1). الوطني للثقافة والفنون، ص115-119

2- باعزيز:"المثبطون للعزائم" **الشهاب** ج11ن م6، رجب 1349ه؛ ص674

3- حسين محمد الخضر: **الدعوة إلى الإصلاح** ط2؛ (د-ش)؛ /1973م .ص193

إلا أن باعزيز يشير إلى عامل خاص مؤثر في الإصلاح، يقول: أقام الأجداد من حُماة الإسلام بجبال زواوة (جرجرة) أبنية في سفوح الجبال، يغشونها في أوقات معلومة، فتتعانى أرواحهم وأجسادهم حولها، ويتذاكرون العلم والخير والفضيلة، فإذا أجمعوا الرأي عزموا على استئناف العمل في نشر العلم والإصلاح، وتفرقوا على مواطن كثيرة تفرق الفيالق المنظمة على الجهات المختلفة، عزائمهم قوية متحدة متصلة، قد غذاها الجبل بقوة الثبات، وصقلتها عبادة الله، فلم يعرف إليها الفشل والكلل سبيلا، فاستنشاق هواء تلك الجبال والارتواء بمائها، يقوي فيهم دواعي العمل لإحياء السنة وإماتة البدعة(1) .

فالعامل المراد هنا هو أثر الطبيعة في الإصلاح؛ إذ لا نعتقد أن حديثه عنه من باب البلاغة والبيان الأدبي والإعجاب بالطبيعة الخلابة، بل لابد لجلالها وجمالها من آثار تتعاضد مع العوامل الأخرى الواردة بالنص نفسه وهي(العلم، والعبادة، والتواصي بالحق، والخير، والفضيلة) في صقل نفوس المصلحين، ومداومتهم على رسالتهم، وربما استأنسنا في صحة هذا المذهب بما دأب عليه النبي صلى الله عليه وسلم من اختلاء بغار حراء ذي الخصائص الطبيعية المميزة، فإنه إذ لم يكن يطلب النبوة – وهو حق لا مراء فيه– فقد كان يأنس بذلك الفضاء الطبيعي كي تزداد نفسه صفاء على صفاء من مناخ مكة الموبوء بالشرك والفساد .

كذلك اعتبر ما سماه(سلاح الرأي العام) من شروط الإصلاح وإحياء الأمة: فإذا كان الغرب بما هو عليه من رقي مادي وأدبي، ونفوذ قوي في حاجة لتكوين الدعايات المختلفة في الأوساط، فالأمة الإسلامية التي انحطت وضعفت أحوج من غيرها لسلاح الرأي العام، سيما وأنه تربى في مهدها، فالخلافة الإسلامية ترتكز على الشورى، فلابد لها من الدعاية الرائجة، فكانت

1ـ باعزيز :"عظمة جبال الزواوة وجمالها الطبيعي"، **الشهاب**، ج12،م11، 1354/1/1هـ-1935/4/5م. ص659.

وكان معها الرأي العام، والعلوم فيها ترتكز على البحث الحر، فقام الجمهور ودخل الاجتهاد والرأي في أخذ الأحكام من الأدلة، فكان القياس والإجماع، وأنه لا يُخشى على أمة وضعت هذه القوانين لحماية الدين والعلم(1).

يكتنف حديثه عن الرأي العام غموض شديد، لكن يبدو أنه يريد به تكوين رأي عام مؤيد للإصلاح تصنعه جهود المصلحين ليكون بمثابة السلاح الذي يحمي الإصلاح،بالاستجابة له كلما دعا المصلحون والمدافعة عنه إذا استهدف و في هذه الحال يصبح (الرأي العام) نتيجة من نتائج الإصلاح، لا شرطا ولا أساسا له . إن شروط الإصلاح كما وردت في فكر باعزيز مبهمة وقليلة، كما تعلقت بالمصلحين أساسا، دون الفعل(الإصلاح)، فلم نعثر لديه عما يشترطه له، كي ينتج نتائجه، فكأن الذي يعنيه المصلحون وميادين الإصلاح فحسب.

رأينا سلفا كيف أقام باعزيز الإصلاح على دعامتي التوحيد والعلم، وقدر له أن يحقق عن طريقهما أهدافا في العقيدة والفكر، والسياسة، والتربية، والتعليم، والمنعة الحضارية، فقال:"التوحيد الذي ندعو للتحلي به هو توحيد الله الذي لا يكون قيامنا وقعودنا إلا به وفيما يرضيه، وهذا هو أسّ العقيدة الذي ما انبنى عليه شيء إلا قوي وثبت، ثم يليه توحيد الصفوف صفا واحدا، والقوى العاملة على اختلافها في قوة واحدة، وتوحيد العقول بتكوين عقل اجتماعي منها كبير يهز الدنيا هزا قويا فيسقط كل ما ليس بصالح منها للغذاء ويرجع إلى أمه الأرض حيث يعجن عجنا آخر، وتوحيد الغايات بصوت واحد رخيم يصل إلى القلوب الواعية والنفوس المستيقظة، وتوحيد الأحزاب في جبهة قوية تعمل لخير الأمة والدين والفضيلة، وتوحيد الأمة بمزجها ببعضها البعض لعمل ما يرضي الله ورسوله، وتوحيد التربية والتعليم بوصلهما وإعداد الناشئة بهما على اتجاه خاص في التفكير والعقيدة . أما العلم فيشمل الديني والدنيوي معا، والذي يبسط الحماية على العقيدة والكرامة بالقوة العقلية أو المادية، والذي يرينا الطريق إلى الله ويفتح لنا أبوابا في الأرض حتى نعلوا وتحفظ كرامتنا وكرامة

1- باعزيز: "الرأي العام وأثره في المجتمع" الشهاب، ص23 .

الدين من الامتهان(1)، رغم النزعة التفاؤلية المفرطة في بعض الأهداف المذكورة، إلا أن لفتات و تلميحات بدت منه حول ما يمكن أن يأتي على أيدي العاملين بالأصلين (التوحيد والعلم) من خير للمجتمع المسلم، اللذان تميزانه ويختص بهما دون غيره . وقد صدقت التجـربة الـتاريخية كثيرا مما ورد به النص، كما لخص-كذلك- بعض أهداف البرنامج الإصلاحي التغييري الذي كانت تتطلع إليه حركة جمعية العلماء، وهي:

ـ التوحيد أساس العقيدة السليمة، ومطلق الطاقات المعطلة، بسبب الدجل الطرقي من عقالها، نحو الإبداع والحرية؛ فالنظام الطرقي الصوفي يصادر حرية الفرد، إذ يذيبه في شخصية الشيخ فيصبح أعمى منقادا له، فتمحي إرادته الحرة، مما يعطل فيه المبادرة، ويصبح مستكينا خانعا(2) . لهذا كان الإصلاح يهدف لإيجاد الحافز لدى الجماهير المتعطشة إلى انتفاضة القلب، كما تنتصر على ما أصابها من خمود (3) .

ـ توحيد الصفوف في قوة واحدة، لمجابهة التحدي الاستعماري المتحد،والمجتمع على الجزائريين.

ـ توحيد التربية والتعليم، وإعداد الناشئة على هذا الأساس، وهو أسلوب تربوي ناجح، أثبتت التجربة الحاجة الضرورية إليها. لتخريج أجيال متوازنة علميا وخلقيا.

ـ تعاضد العلم الديني والدنيوي، على بناء مجد الأمة، ومنعتها الحضارية بالإبداع العلمي والعقلي، والابتكارات المادية، فالدين الإسلامي-كما يقول باعزيز- لا يحرم على أصحابه الطيران في الفضاء بمجاراة الغرب، أومنع اكتشاف الكهرباء الذي حول الليل نهارا، بل الدين يحرم الجمود، والتعصب

---

1 ـ الفتى الزواوي، "حول التوحيد والعلم في نهضتنا"،**البصائر**، ع،5، ص5،4 .

2 ـ النجار، عبد المجيد: مصدر سابق، ص108،107.

3 ـ بن نبي، مالك: **وجهة العالم الإسلامي**، .ط1؛بيروت ـلبنان،دمشق ـ سورية:دار الفكر المعاصر،دار الفكر، 1420هـ2000م. ص54.

الذين بهما تعود الأمة القوية ضعيفة، وطعمة لغيرها[1]، وبهذا القول نعتبر باعزيز واضح الجواب العام عن السؤال الأساس للهمّ الإصلاحي، والذي شكّل السمة العامة لمشاريع الإصلاح وهو: هل يمكن للمسلمين الأخذ بأسباب نهوض الغربيين، ولهذا فهل يمكنهم الأخذ عنهم فيماهو سبب في ترقي المسلمين؟[2]، فكان سؤال النهضة هذا يتردد على فكره فيجيب عنه، ما وسعته طاقته الفكرية، وأملت عليه وطأة التجربة التي ألقى الاستعمار بأوفر حمله عليه، ومن شاكله من مصلحين، مما يفسر لنا ما ذهب إليه مالك بن نبي من أن: " السلفي (المصلح) وحده هو الذي يمثل فكرة النهضة، وهو وإن كان لم يحقق شروطها العملية بصورة منهجية، فإنه على الأقل لم يضيع هدفها الجوهري، لقد كان يعي تماما أوضاع بيئته، حتى أنه ألح في المطالبة بأن يؤدي كلّ واجبه"[3]، فاستوعب المصلحون – ومنهم باعزيز – عمق مأساة تخلف مجتمعهم، وتمخضت عن روح وجوهر الحل، وخاضوا في بعض من تفاصيله الموزعة على ميادين شتى.

1ـ باعزيز: " شعور طلبة الزوايا بالزواوة"، **الشهاب**،ص507.

2 ـ النجار، عبد المجيد: مصدر سابق، ص78.

3 ـ بن نبي، مالك: **وجهة العالم الإسلامي**،ص71

الفصل الأول

فكر باعزيز السياسي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبـــحث الأول

إدانة الاستعمار من خلال سماته

على غرار باقي المفكرين والكتاب والعلماء الإصلاحيين اتخذ باعزيز بن عمر الاستعمار هدفا لهجومه الفكري المركز، كاشفا ادعاءاته الزائفة، ومكره الدنيء، واستبداده الشنيع، وعنصريته وأنانيته البغيضة، مستغلا الأحداث الداخلية والخارجية، بل حتى الطبيعية ليقارن فعلها وآثارها بفعل وآثار الاستعمار على الشعوب والعالم.

وهكذا أدان ورفع باعزيز بن عمر النقاب في أغلب مقالاته، وفكره السياسي، عن مفهوم الاستعمار، وسماته التي صنفناها مستخلصة من فكره إلى السمات الأتية:

-1- الحرب الدائمة -2-الميز العنصري-3- الأنانية-4- المكر السياسي والمراوغة-5-منطق القوة-6- الجمع بين المتناقضات-7-تسخير رجال الدين لمساندة سياسته -8- الاستعمار كارثة مهدمة -9- الحقد على الديمقراطية-10 - الجبن والخوف من يقظة الشعوب المستعمرة.

وقبل تحليل هذه السمات كما وردت في فكره، نتعرف على مفهوم الاستعمار عنده إذ يقول: "الاستعمار بمعنى غزو أمة لأخرى، واعتداء شعب على آخر، قوة عمياء تغذيها الفوارق القائمة بين الأمتين والشعبين، في الجنس واللغة والدين والمصلحة، وتوجهها العنصرية المسلحة، فتسير في الأرض لا تعرف قانونا، ولا تدين بشريعة إلا ما تضعه وتسنه، وذلك كله يتلخص في شيء واحد: القضاء على الأمة المغزوة المغلوبة بوسائل مسطورة يرثها الخلف عن السلف، وفي مقدماتها تجريدها من مادياتها، ومعنوياتها ... ثم الزجر والقمع والردع ... كلما أحس بانقباض النفوس، وانطواء القلوب على كرهه" (1) .

---

1 ــ باعزيز: "ذكرى ثامن ماي"، البصائر، ع:79، 1368/7/11هـ 1949/5/9م، ص1 .

فالاستعمار -إذن- يستمد طاقته، وغذاءه من الفوارق الحضارية بينه وبين الأمة المغزوة، تتجلى عنده، في صور وأشكال عقدة التفوق العنصري، والقوة المادية المسلحة، التي تصبح شريعته التي يحتكم إليها في ممارساته مع الطرف الثاني(المستعمر)، ويصبح هدفه الذي تتوارثه أجياله، القضاء على شخصية المغزو الحضارية، ومقدراته المادية منبعا قوته، ويمنع عنه بالقوة والعنف كل امتعاض أو شكوى أو بُغض لما يفعل به.

وليس هذا بالمستغرب منه، لأن المخيال الغربي يقوم على اعتقاد مفاده أن الإنسانية تنتهي حدودها عند الغرب، وكان مفكروه يرون الاستعمار، وما يُلحقه بالناس من سرقة أوطانهم، وخيراتهم أمرا طبيعيا لا يستدعي تعليقا[1]،وقد تكون هذه الخاصية أَم الخصائص والسمات النابعة عنه.

* **سمات الاستعمار**:كما يكشف عنها فكر باعزيز بن عمر هي:

1- **الاستعمار حالة حرب دائمة**: يقول: "لا نعدوا الحقيقة إذا قلنا إن جميع الشعوب المستعمرة لا تزال في حالة حرب، وأن السلم في خطر ما دمنا لم نجتث أصول الاستعمار، ونستأصل أصوله في العالم"[2]، فالحرب لازمة استعمارية حتى في الأوقات والأحوال التي لا تشهد الحرب الحقيقية المسلحة، لأن صورها لديه متعددة، فهو لا يفتأ يتربص بالشعوب التي ترزح تحت نيره، ليفتك بأي بادرة صحوة ويقظة للتخلص من براثينه، ويكيد لها في لغتها ودينها وثقافتها، وينهك ثرواتها بالاستغلال والإفناء، لهذا فالسلام والاستعمار لا يجمعهما مكان واحد أبدا، فلا أمل في الأول إلا باجتثاث الثاني من أصوله.

2-**الميز العنصري**:الذي يمثل أبرز سماته، وأقوى دوافعه التي ساقته لارتكاب أفضع جريمة عرفتها الإنسانية(جريمة الاستعمار)، ولهذا وصفه باعزيز بأنه

---

1 ــ مؤنس،حسين:**الحضارة**، ص355.

2 ــ باعزيز:" مؤتمر أنصار السلم والاستعمار". **البصائر** ع : 78، 1368/7/11هـ 1949/5/9م،ص1.

أبو العنصرية، والاضطراب في الأرض([1])، فعليها ارتكزت سياسته كما يوضح بقوله: "طابع السياسة الاستعمارية ... معاملة الشعوب على أساس الميز العنصري، فترفع قوما بخفض آخرين، وتعطي جماعة بحرمان أخرى، وتقسم المجتمع الواحد إلى قسمين يختلفان أشد الاختلاف في الاتجاه ومظاهر الحياة كلها"([2])، وهذا الطابع السياسي للاستعمار مستمد من ثقافته القائمة على إنكار المساواة بين الأعراق باسم العلم، وتميز الجنس الأبيض، فالمصلح الاشتراكي(سان سيمون) SAIN SIMON ينكر تطبيق مبادئ المساواة على السود، ويرى أن علماء وظائف الجسم يؤكدون أن الأسود بسبب حالة عضوية غير قابل لشرط مساو في التربية، فالأفارقة دمويون، والأسيويون بلداء. (والكونت جوبينو) Le comte Gobineau يرى العرق الأبيض مستأثرا، بالجمال والذكاء والقوة، ويولد ممتلكا لعنصري الحضارة: الدين والتاريخ، فضلا عن المزايا: الاجتماعية المحضرة والتفاوت والتوسع عن طريق الغزو. (وأرنست رينان) ERNEST RENAN يرى الطريق منفسحا للجنس الآري أن يسير على رأس مصائر الإنسانية، خاصة بعد أن أصبح مسار الحضارة معترفا به في قوانينه العامة، واللامساواة مؤكدة بين الأعراق، وأن الإسلام قيد ثقيل لم تعرفه الإنسانية من قبل، وأن البربر والأتراك أعراق غليظة وحشية مجردة من العقل ([3]) .

وباستمرار هذه النزعة الهدامة للعلاقات والتعاون الإنساني السليم، يرى باعزيز أن العالم يعيش تحت تداعياتها في خطر محدق، "في العالم اليوم عنصرية مهلكة واستعمار مبيد، وسيطرة مغرضة، وكل أولئك من النذر الأولى المهددة له بشر مستطير يحيق به شرقه وغربه، فيهلك الحرث والنسل، ويدمر معالم الحضارة تدميرا"([4])؛ ثم يخاطب المنظمة الأممية سائلا: "فماذا أعدت المنظمة

---

1 ــ باعزيز:" متى تحتفل الشعوب بدل الحكومات وحدها بيوم الأمم المتحدة". البصائر ع: 206. 1372/2/15هـ ــ 1952/11/3م،ص1 .

2 ــ المصدر نفسه.

3 ــ غريغوار،منصور مرشو: مقدمات الاستتباع:الشرق موجود بغيره لا بذاته.ط1؛الولايات المتحدةالأمريكية:المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1416هـ ــ 1996م،ص98،94

4 ــ باعزيز:"متى تحتفل الشعوب بدل الحكومات ... " البصائر،206.

.المحترمة لإنقاذ البشرية والحضارة من هذه الأخطار المحدقة بهما؟"[1]، ويبدوا أن حيلة المنظمة في استئصال هذا الداء ضعيفة، فهي إن أتت على بعض مظاهره هنا أو هناك، لن تقوى على إزالته جملة.

3-الأنـــــــــانية: وهي مرتبطة بالسمة السابقة، فقد بلغتا عند ساسة الغرب مبلغا أطفأتا معه آمال الإنسانية في مبادئ الديمقراطية، والنزوع الإنساني إليها حتى في الظروف الاستثنائية كالكوارث الطبيـــعية، يقول باعزيز بن عمر: "إن مما يفســـر سلوكات التفرقة فـــي رجع صدى دعوات نجدة الشعوب التي تحل بها الكارثة الطبيعية(بين الشرقية والغربية) مصدره العنصريات، والأنانية التي اتسم بها ساسة الغرب المستعمر الصادين لمواقف المطالبة بالحرية. وهو كل شذوذ حاربته مبادئ الديمقراطية ورجال الإصلاح، في كل أمة وزمن، لولا طبيعة الإنسانية، والشر المتغلبة على أمانيهم وأحلامهم، فتعجز دعوتهم في النهاية أن تضيء الشرق والغرب"[2]*. ومعلوم أن المبادئ الإنسانية والأخلاقية كالديمقراطية وحقوق الإنسان كانت أكبر المهزومين في عصرنا، بفعل العنصرية والأنانية، ولهذا ذهب أكثر المؤرخين إلى أن ما يسمى بالتقدم أو مسيرة التاريخ والحضارة إلى الأمام أو إلى الأحسن هو وهم؛ لأن غرائز الإنسان وأخلاقياته المركبة في طبعه باقية كما هي، بل زادت حدة وضراوة، ولا يزال (الوحش) راقدا تحت جلد الإنسان المتحضر، بل إن لفظ الوحش فيه تجمّل في وصف خلفية الإنسان المتحضر اليوم. فإن الوحش يهاجم ليأكل أو ليدافع عن نفسه، وفيما عدا ذلك فهو ساكن أو وسنان، أما الإنسان فيدبر لإبادة الألوف أو الملايين وهو راقد في فراش وثير في غرفـــة مكيفة الهواء تظُم آخر مبتكرات التقدم المادي، فأيهما

---

1 ــ المصدر نفسه

2ــ باعزيز:" هل نحن في عصر التعاون الإنساني حقا؟"، **البصائر**،ع:221 1372/6/27 هـــ 1953/9/13م. ،ص2.

* يبدو أن التاريخ يعيد نفسه، فالأمبراطورية الاستعمارية في وقتنا الحالي(الولايات المتحدة الأمريكية)، اتخذت من نجدتها لكارثة التسونامي، أي الفيضانات التي أعقبت الزلزال الذي ضرب بعض دول جنوب شرق آسيا كأندونسيا، منفذا لأغراض سياسية، وعسكرية عجزت في غير هذه الظروف عنها.

الوحش؟"[1]، فالذي تقدم -إذن- ليس الإنسان بل وسائله وأدواته، فكأنما عقله قاده نحو التقدم المادي، وغرائزه تسوقه للتوحش والارتكاس إلى التخلف الخلقي والقيمي.

-4- المكر السياسي والمراوغة: المكر المرادف للدهاء من ألصق خصائص السياسة بها، حتى أنه ومنذ القدم، يتمايز السياسيون قوة وضعفا، نجاحا وإخفاقا بمدى إتقانهم له، وما أُوتوا من حظوظه. ولكنه من حيث الممارسة يُحمد أو يُذم بحسب غاياته، وهو يمارس في السياسة اليوم بنوعيه، كما يبين باعزيز بن عمر في قوله: "إذا كان المكر السياسي اليوم هو التدبير الخفي لابتلاع شعب أو إيقاع أمة في الشر، أو لدفع هذا الشر ومقاومته، فهو بالمعنى الأول لم يتجل في عصر تجليه في هذا العصر لدى هذه الدول الكبرى التي نراها تغذي مكرها السياسي الدبلوماسي بكل ما أوتيت من المهارة السياسية والدهاء الماكر، علها تسيطر بذلك كله على العالم سيطرة القوي على الضعيف، أو الرفيع على الوضيع. أما المكر بالمعنى الثاني ... فهو - وإن كان له من القوى المعنوية ما يضمن له النجاح إذا قام به الضعيف - لا يتكافأ مع مكر الأقوياء الذين يبيتون من الشر للضعفاء ما لا قبل لهم به، ولكنه مما لا يستغني عنه أحد في هذا العصر قويا كان أو ضعيفا"[2]، فالمكر السياسي الذي يعني الاحتياط باتخاذ الوسائل وإتباع سبل دفع غوائل الأعداء المتربصين يراه باعزيز ضرورة لا غنى عنه لأي دولة أو جماعة في عصرنا.

وقد أتقن الاستعمار -كعادته- فن المكر وأساليبه بالمعنى الأول، أي التدبير الخفي لابتلاع شعب أو الإيقاع به في شر، وإدامة السيطرة عليه؛ من ذلك ادعاؤه بأن استقلال الشعوب المستعمرة سيؤدي بها للفوضى، والوقوع في براثن الشيوعية، يحدث هذا -حسب رأيه- إن تنازلت الدول المستعمرة عن مراكزها الاستعمارية، بأن استقلال الشعوب المستعمرة سيؤدي بها للفوضى، والوقوع في

---

1 ــ مؤنس، حسين: مصدر سابق،ص368.

2 ـباعزيز:"من دروس الهجرة" **البصائر**، ع: 3،1367/1/14هـ1947/11/17م .

براثن الشيوعية، يحدث هذا -حسب رأيه- إن تنازلت الدول المستعمرة عن مراكزها الاستعمارية، فيختل توازنها الاقتصادي[1]، ولكن هذا المكر لا يخفي الحقيقة، وهي- كما ذكر باعزيز- أن ظلم هذه الدول ووقوفها في وجه نهضة الشعوب، هو الذي أيأسها من عدالتها، والاندفاع لاعتناق كل مذهب اجتماعي تتنور من قيامه بوارق أمل لتحقيق المطامح وتفجير المواهب[2]، فيكون الاستعمار بذلك هو الذي فتح الأبواب للمذاهب والإيديولوجيات الصالح منها والفاسد مما ترى فيها الشعوب منجاة أو مراقي للتطور.

ومن وجوه المكر السياسي الاستعماري، التمييز بين العالمين الحر وغير الحر، ليوهموا غيرهم أنهم منتهى الغاية في الحرية والمساواة، يقول باعزيز: "نمجد كل عمل إنساني ... في العالم الحر أو في العالم الذي ليس بحر، كما يحلو لساسة الأول أن يدعو الثاني حسب التقسيم السياسي المصطنع، ويميزوه عن عالمهم ترفيها عن أنفسهم، وإعلانا عن مبلغ هيامهم بالحرية، وتعلقهم بالديمقراطية، وإيهاما للسائرين في ركابهم أن منتهى ما تنشده الإنسانية، من حرية ومساواة ومثل عليا هو في عالمهم لا في غيره"[3].

فإن تكن مبادئ الحرية والديمقراطية وما على شاكلتيهما مما يتيهون فخرا بها واعتزازا بنعمها عليهم، وأنها الغاية التي على كل إنسان نشدانها، فكيف هي سياستهم للشعوب التي يرفعون هذه الشعارات بينهم؟! فهم في هذا كما - يقول باعزيز بن عمر-:" الناظر لما يأتيه ساسة أوروبا الاستعمارية، والاشتراكيون هناك لا يحركون ساكنا، يعتقد كأن المبادئ الاشتراكية والديمقراطية قد اقتسمت بين الناس والأجناس، وفاز الغربيون بآثارها وأعمالها في المجتمع[4]، فالكيل بمكيالين سياسة أبدعها هؤلاء، فمضت سنة يقتفيها كل ماكر مراوغ من الساسة والأنظمة، ويقف مكر الاستعمار الخبيث وراء عدم استقرار أكثر الدول التي

---

1 -باعزيز: " متى تحتفل الشعوب بداذل الحكومات "، البصائر، مصدر سابق.

2 - المصدر نفسه.

3 - باعزيز: " هل نحن في عصر التعاون الإنساني حقا؟"، البصائر، مصدر سابق.

4 - باعزيز:" المصدر نفسه.

تتعرض لاضطرابات وقلاقل سياسية واجتماعية فسياسية (العالم الحر) هي المسؤولة عما يقع من اضطراب وانقلاب في إفريقيا وآسيا وغيرهما، إذ لم يفتأ يكيد للشعوب الناهضة محاولا عرقلة سيرها، وانسجام تطورها، وإقامة الحكم الصالح فيها، ويصح أن يُحَور قليلا المثل القائل (فتش عن المرأة) عند البحث عن الجرائم، فيصبح (فتش عن العالم الحر) عند كل انقلاب واضطراب في غيره(1). وهذا الفن الذي برعت فيه الدول الغربية الاستعمارية إثر خروجها من مستعمراتها القديمة- خاصة- لا زال أسلوبها المفضل أحيانا كثيرة كلما اقتضت مصالحها ذلك، أو دعت " الضرورة السياسية" بعضها لاعتراض مصالح بعض، أما زعيمة العالم الحر اليوم الولايات المتحدة الأمريكية ، فضربت فيه"أروع" الأمثلة وأفضعها حتى خرجت به- مؤخرا- من السر إلى العلن.

ومن الأساليب- المخادعة – التي درج عليها ساسة الاستعمار الفرنسي بالجزائر، أنه إلى جانب الفريق المنتسب إلى الديمقراطية الذين ينسون كل ذلك كلما رفعتهم الظروف إلى سدة الحكم، يوجد الفريق الرجعي الذي لا يخفي سيطرته والتصريح بالكيد والتآمر علينا، قولا يصدقه الفعل، فهم لصراحتهم أدنى للصدق من الفريق الأول، إذ بقي على عقيدته الاستعمارية، وإن كان صدقهم مما يُلقي بالشعوب في الكرب والعذاب الأليم(2)، وعليه يصبح (الصدق) كالكذب رذيلة، فتمحى الفوارق بين الفضيلة والرذيلة وفق المنطق الاستعماري .

5- القوة منطق العالم المعاصر: معلوم- كما يقول باعزيز- أن القول الفصل وشكوى المستضعفين، ومشكلات العالم للقوة وحدها، فالقوي يحل مشاكله مع غيره بالقوة، والضعيف يلتمسها لحل مشاكله متى ملكها، فالعزة والكرامة والحياة السيدة لا تجتمع مع الضعف في عالم كله حرب وتنازع على البقاء بين الأقوياء للاستيلاء على الضعفاء، خوف أن تعلو كلمتهم بزوال ضعفهم(3)، ولذا فليس من سبيل للضعيف إلا السعي الجاد لامتلاك القوة، وأسبابها وقد دلت تجارب التاريخ على

1ـ باعزيز : " لا استقرار تحت قبة العالم الحر"، **البصائر**، ع:262، 1373/7/6هـ 1954/3/12م.ص1

2 ـ باعزيز : " الذين يقولون ما لا يفعلون "، **البصائر**،ع: 225. 1372/7/26هـ

3ـ باعزيز : " في مجتمعنا الجديد "، **البصائر**،ع:301، 20/جمادي الأولى 1374هـ 14 /1/1955م، ص3

أن المبادئ بمفردها حتى الصالحة والحسنة منها لا تقوم بمفردها عزيزة كريمة إلا بحراسة وموازرة من قوة عادلة، ولهذا قيل لابد للحق من قوة تسانده.

6- **السياسة الاستعمارية تجمع بين المتناقضات والمتناطحات:** تتجلى هذه السمة بمنطق الاستعمار في كل المجالات يقول: "ولكن السياسة المهيمنة عندنا على سير الأمور لا يعنيها هذا النوع من الانسجام الذي لا يتم إلا بتشذيب وتقويم في هيكل المجتمع، بقدر ما يعنيها أن تجمع بين الديمقراطية والاستعمار في قرن وبين الماضي والحاضر والمستقبل في زمن، فترى من جمال الحياة ومحاسن المدنية، أن يُرى بجانب راكب السيارة راكب الحمار، وبجنب قصر الغني كوخ الفقير، إلى غير هذا من الأوضاع المتناطحة، والمصالح المتناقضة"(1)، فاختلال المعايير لدى الاستعمار تبرر له هذا التناقض، وإلا فكيف يرى وجودها طبيعيا بين شعوب تسلط عليها بدعوى تحضيرها وتمدينها، وإشاعة مبادئ الحرية والديمقراطية فيها، والتقدم الاجتماعي بينها؟! وبالطبع فإن الاستعمار لا يعدم الحجة التي تفسر موقفه، فهناك إجماع بين علماء الغرب منذ منتصف القرن 19 على إسقاط أحكام معيارية على الشرق باسم علم الإنسان فوصفوه بالاستبداد والتأخر، واللامبالاة، البكماء، البدانة البليدة، الكسل، الذهنية السحرية، اللاعقلانية، وغيرها(2)، ووفق هذا المنطق، فإن هذه الشعوب هي التي ترفض التخلي عن أوصافها للترقي والتحضر.

7-**تسخير رجال الدين لخدمة سياساته** يرى باعزيز: "أن هؤلاء السياسيين الماكرين قد وجدوا سندا قويا ممن سمّوا أنفسهم رجال الدين في بلادهم إذ أعانوهم على الغصب والنهب، ولم ينكروا عليهم يوما ما يأتونه في بلاد الناس باسم التمدين والتهذيب من أعمال الزجر والعدوان، والاستبداد المشؤوم الذي انحط بالشعوب المبتلاة بهم إلى حضيض الجهل والفقر، وسلبهم حرية التفكير والعمل المثمر، وحال بينها وبين الصعود إلى مستوى الأمم الحية"(3)، وقد وطد الاستعمار أركانه، وأحكم سيطرته بقوتين: عسكرية ودينية، تفانى في إتقان هذه الأخيرة القساوسة

---

1 ــ باعزيز: "ليس في هذا من جديد"، البصائر، ع: 217، /جمادي الأولى /1372 ــ 1953/2/13م.

2 ــ غريغوار، منصور مرشو، مصدر سابق، ص90 .

3 ــ باعزيز: "عيد الميلاد"، البصائر، ع: 64 . 1368/1/24هـ1949/1/24م،ص8 .

والرهبان إلى أقصى ما يملكون من القوة والطاقة . والاستعمار لم يكتف بتسخير هؤلاء فحسب، بل ذهب إلى ما هو أبعد وأخطر، فسخر العلم ونظرياته في مشروعه؛ من ذلك إنشاء معاهد علمية في أوروبا، أشرف عليها(علماء) تخرجوا في أرقى الجامعات، مهمتها البحث عن أفضل السبل لاستغلال الشعوب المستعمرة، واستنزاف ثرواتهم وانتهاك حرماتهم والنزول بهم إلى أدنى الدركات([1])، إلى جانب هذه المعاهد أدت النظريات العرقية دورها في قيادة خطى الاستشرافيين الإمبرياليين الفرنسيين، فكان في رأي أصحابها ألا يعامل السكان الأصليون للبلاد المستعمرة بوصفهم كيانات يمكن تحويلها إلى كيانات فرنسية، بل ممتلكات تفرض خصائصها الثابتة: الفصل، والعزل، والإخضاع، وهذا لا يلغي بالطبع الرسالة التحضيرية للاستعمار!([2])، وهو ما يُعد – بحق- امتهانا للكرامة الإنسانية، والعقل، والعلم، ويُلقي مزيدا من التفسير والضوء على حجج الاستعمار في الجمع بين المتناقضات.

-8-**الاستعمار كارثة مدمرة:** وقد أتيح لباعزيز بن عمر في هذا الصدد من أحداث وكوارث طبيعية، ما واتاه للمقارنة بين أحجام كارثتي كلّ من الطبيعة والاستعمار، فخلص إلى أن كوارث الاستعمار (البشرية أو الصناعية) أشد بطشا بالإنسانية وتخريبا لمعالم المدنية، وقطع صلة الأرحام من كوارث الطبيعة، فهل يُقاس زلزال (طوكيو) بالقنبلة الذرية في هيروشيما؟ وما فعلته (هولندا) بالشعب الإندونيسي مما لحقه من الفيضانات التي حلت به؟ فهذه لا تؤخر شعبا عن ركب الحضارة، ولا تصده عن طريق الحرية والعزة القومية، ولا تقلّد غضب الإنسان في إفساد أخلاق الأفراد والجماعات والشعوب، والضرب بالطمس على مقوماتها ومواهبها وشخصياتها، كالذي يفعله الاستعمار([3])، فآثار الكوارث الطبيعية مادية بحتة حتى وإن أهلكت الإنسان، لكنها- حسبه- لا تؤخره عن الحضارة، ولا تنال

---

1 ــ مؤنس، حسين: المصدر السابق،ص345.

2 ــ سعيد، ادوارد: **الثقافة والأمبريالية**، ط1؛ بيروت ــ لبنان: دار الآداب،1997،ترجمة: كمال أبوديب، ص291 .

3 ــ باعزيز :" **هل نحن في عصر التعاون الإنساني حقا؟** "، **البصائر**،221 .

من تطلعه للحرية، ولا تفسد الأخلاق، ولا تقضي على مقومات الهوية، خلاف كوارث الاستعمار.

يبدو أن باعزيز إنساق تحت وطأة ويلات الاستعمار، ففاته ما حدثنا به القرآن الكريم عن إهلاك الأمم والمدنيات بالكوارث الطبيعية، لما طغت عن أمر ربها، وكثر فيها الفساد، ومن نتائج الكوارث الطبيعية -كما هو معلوم- تهيئة الظروف المناسبة لاستفحال كثير من الرذائل.

ثم يخاطب الضمير الإنساني الذي لم يتفطن للمقارنة بين النكبتين(الطبيعية والبشرية) بأن الاستمرار في التفريق بين النكبات (الطبيعية والبشرية)، فيشمل العطف من يُصاب بالأولى دون من يصاب بالثانية، يُبقي الرسالات الإنسانية شرائع عاطلة، وأقوالا عابرة تتصرف فيها الأهواء والمناسبات، خاضعة للتوجيه المغرض العنصري، حتى في الكوارث الطبيعية[1]، فبلادة الحس إزاء إدراك فداحة النكبات الاستعمارية، يضع الشرائع والمبادئ الأخلاقية والإنسانية، أمام التساؤل حول فعاليتها وقيمتها في نظر أصحابها الذين يحولونها إلى أقوال تُزجى بها الأوقات، وتُحلّى بها المجالس، فلا ترقى للجدية حتى في النكبات الطبيعية.

وتفاديا لهذا المنزلق الخطير، في التلاعب بالقيم الحضارية والإنسانية، يلفت باعزيز بن عمر الناهضين بدوافع إنسانية لنجدة المنكوبين بفعل نكبات الطبيعة إلى الآتي: "إننا نريد ونحن نسجل هذه الكوارث التي حلت أخيرا بهذا الجزء من أوروبا(الفيضانات التي أصابت بعض أجزائها) وتضع حركة الإغاثة، والتبرع للمنكوبين في مكانها الإنساني المرموق أن نلفت القائمين عليها من دعاة الإنسانية إلى وجوب تعميمها وتوسيع دائرتها، حتى تشمل الشعوب المنكوبة بالاستعمار، فإن ما أنزله بساحتها من الكوارث والفظائع البشرية لأشد هولا وأسوأ أثرا من حوادث الفيضان أو الطوفان الطبيعية، ذلك أن هذه وما أشبهها دروس للبشرية وتعليم للإنسانية، وقيادة لها نحو النور لتنتفع بعبرها ومثلاتها. وليس كذلك نكبات الاستعمار؛ فإنها تجهيل و تفقير، وتشريد وتدمير، في صورة تعليم

---

1 ــ المصدر نفسه .

وتمدين وتحضير، وتمكين للطغاة من المرور على أشلاء الموتى وجماجم الضحايا"[1]، فكوارث الطبيعة -إذن- قد تغدوا لدى العقلاء موضع اعتبار ومحاسبة النفس، أي حافزا للتغيير الإيجابي، والإقلاع عن المعاصي والخطايا، أما كوارث الاستعمار فلا تورث سوى الدمار الاجتماعي، والخلقي باسم الحضارة والحرية.

-**9-الأرستقراطية الاستعمارية(الرأسمالية)تحقد على الديمقراطية**: ففي رأيه ليس في الأرستقراطية الاستعمارية ما يحببها للشعوب، لاعتمادها الشدة والقسوة والأنانية، وبحرمان الأغلبية من الحقوق الاجتماعية التي تقتضيها الديمقراطية فهي لهذا تحقد عليها(الديمقراطية)؛ لمعاكستها فيما تجتهد فيه من إبقاء الشعوب في الجهل، وتقاوم فيها تساميها إلى السمو الفكري، والنزع إلى المبادئ الديمقراطية[2].

والصواب في تقديرنا أنها تحب الديمقراطية حينا، وتكرهها حينا آخر، تحبها بما تجلب لها من مصالح وتحقق من المنافع، تحبها إذ تطبق في مجتمعاتها الأصلية(الغربية والأوروبية). وتكرهها إذا تطلع أهل البلاد الأصلية المستعمرين لتطبيقها على أصولها ومقتضياتها، مما يفتح أمامهم حكم بلادهم، فتعود الأمور لنصابها، ويستقر الأمر بين أهله.كما تكشف هذه السمة عن سمة أخرى من سمات الاستعمار، وهي:

10-الجبن: تتجلى مظاهره - كما استفدناها من فكر باعزيز- في أحوال شتى هي:

(أ)-إبداء الاستعمار مقاومة يقظة الشعوب، فقد أخذ يشعر بالأخطار تدنوا من ساحته، وتحيط به، نتيجة الوعي القومي لدى الشعوب، حتى أن ما يبديه من مقاومة لهذا الوعي، هو عند علماء الاجتماع نوع من أعراض الهرم[3] الدالة على قرب زواله، وانقضاء عهده.

---

1 ــ المصدر نفسه .

2 ــ باعزيز: "جبهة استعمارية في مجلس الأمم المتحدة"، البصائر،ع:99، 1369/2/29 هـ1949/12/19م

3 ــ باعزيز: "متى تحتفل الشعوب بدل الحكومات وحدها بيوم الأمم المتحدة"، البصائر،ع: 206 .

ويبدوا باعزيز في هذا المقام في قمة الشجاعة الأدبية، إذ يواجه الاستعمار بأخطر نتيجة يمكن أن يؤول إليها أمره بالجزائر.

ولا يقل عن هذا الرأي وضوحا وشجاعة في التصريح بنذر زوال الاستعمار، ما ذهب إليه من خوف المستعمرين من كل تأييد تحصل عليه الشعوب المستعمرة لقضيتها؛ يقول: "إن عصبة المستعمرين ترتعد فرائصهم من كل تأييد لضحاياهم سلبيا كان أو إيجابيا، ألست ترى أحواضهم المحفورة(مستعمراتهم) في هذا الشرق قد غادرها الصفو والاطمئنان نهائيا، واستحالت إلى خضخاض لكثرة، ما أُلقي فيها من أحجار الوطنية العتيدة، فهي تنتظر الردم العاجل"(1)؛أي إنهاء الاستعمار.

(ب)-نوازع الرجولة وآمالها من نذر زوال الاستعمار: فهذه النوازع مما يجبن له ويزرع الخوف في صفوف المستعمرين، يقول باعزيز:"ويا ويل هذا الاستعمار الذي لا يخشى المدفع كما يخشى نوازع الرجولة في النفوس، وآمالها الكبار في الصدور، يوم يشعر كل أحد من الناس أن له الحق في أن يحيا حياة طيبة في وطنه لاعتقاده الصحيح أنه مصدر سعادته وملهى صباه، وقبلة آماله في الحياة، وموئل حريته في الوجود"(2).

ومن هذه النوازع -فيما يبدو- الإرادة والعزم اللذان أصبحا عليهما الجزائريون لنيل الاستقلال بكل الوسائل. ويتسق هذا التوجه مع أحد مبادئ الجامعة الإسلامية، وهو حث المسلمين على مقاومة الاحتلال والثورة على الاضطهاد، من خلال استعادة ثقتهم في أنفسهم بعد ما أصابهم الضعف والتخاذل(3)، كما يأتي متناسبا مع السياق التاريخي والدعاية التي صاحبت الحرب العالمية الثانية، حين أكثرت كل من دول المحور والحلفاء من الحديث عن الحرية والاستقلال، وتقرير المصير، والمساواة في الحقوق والواجبات، واستنكار الظلم

---

1 ــ باعزيز: "أثر إلغاء المعاهدة المصرية الإنكليزية"، البصائر"،ع:176 . 1952/1/7

2 ــ باعزيز: " هل تنال الجزائر شيئا من هذا؟"، البصائر، 70، /1368/5هـ-1949/3/7

3 ــ المحافظة، علي: الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة،ط3؛ بيروت- لبنان : الأهلية للنشر والتوزيع، 1980، ص11ان114.

والاضطهاد. فساهمت هذه الدعاية الموجهة في زرع المبادئ الديمقراطية، وإيقاظ الشعوب سياسيا وقوميا([1]).

يؤكد لنا صحة هذا الكلام، قول باعزيز الآتي و-هو مما يتصل بمظاهر جبن الاستعمار-:

ج- يقول:" فأنت ترى أنها [الصحف الاستعمارية] ما سمّت هذا الوعي القومي وما يسايره من حركات التحرر، والتضامن في شعوب الإسلام ثورة، وهي مجردة من سلاح الاستعمار الناري، إلا لتلفت أوروبا الاستعمارية إلى أن نفوذها في الشرق قد أحدقت به الأخطار من كل جانب، من جراء هذه الحركات التي لا تلبث أن تتجسم فتصبح كلها إيجابا لا يمازجه سلب، فيومئذ لا تنفعه النذر المتوالية، ولا المثلات المتعاقبة"([2]) .

إن هذه السمات التي استحق بها الاستعمار، ما أدانه به باعزيز بن عمر، يمكن اعتبارها – أيضا- تمثل مجمل العوامل الخارجية – إلى جانب عوامل داخلية- التي حالت دون التطلع للإصلاح السياسي، فما هي تلك العوامل الداخلية؟ وما هو تصور باعزيز لهذا الإصلاح؟

---

1 ــ سعدالله: الحركة الوطنية ج3،ص194.

2ــ باعزيز: " أثر إلغاء المعاهدة المصرية الأنكليزية "، البصائر، 176.

المبحث الثاني

الإصلاح السياسي

استطعنا بعد لأي ردّ أفكار باعزيز بن عمر السياسية في الإصلاح السياسي إلى المحاور الآتية:

-1- ملامح من النظام السياسي الإسلامي-2- دور العلماء في الحكم-3- الإصلاح السياسي أساس كل إصلاح-4- من عوامل النصر-5- المنظمات السياسية الدولية، والحركات الشعبية العالمية-6- اتصال النواب الحقيقي بالشعب.

وهو لم يفصّل في أيّ من المسائل المنضوية تحت هذه المحاور، وإنما هي آراء متفرقات، اجتهدنا في رد كل فئة منها إلى محور قدرنا إمكان صلاحه لها عنوانا، وفكرة يدل عليها بوجه من الوجوه. ونحسب معاني هذه المحاور كانت تدور بفكره دون أن يعبر عنها جميعا بالضرورة، كما جاءت في بحثنا، ولعل هذا ما أعاننا على الاهتداء للتصنيف الآنف الذكر.

-1- ملامح من النظام السياسي الإسلامي: من المعلوم من الدين بالضرورة أن الإسلام دين للدنيا والآخرة، ونظام ديني وسياسي، أو كما شاع القول "دين ودولة". ومن إنجازات الفكر الإسلامي المعاصر الحسنة، عنايته الكبيرة برسم معالم النظام السياسي الإسلامي، وما لمحات باعزيز بن عمر في هذا السياق إلا ومضات تُبين عن هذا الملمح أو ذاك من هذا النظام .

فحول العلاقة بين النظامين الاجتماعي والسياسي في الإسلام، يذهب إلى أنه صان حكمه الشوري بسياج من النظم الاجتماعية تحفظه من الفوضى والعبث، اللذان إذا تسربا إليه اختلت نظمه وأُسيء تطبيقه، وعجز عن أداء مهمته وحماية التكاليف الفردية والاجتماعية، وصيانة الشريعة والأخلاق(1) .

ورغم الاقتضاب الشديد المناسب لحيز مقالة صحفية – ككل إنتاجه الفكري الذي اعتمدناه في دراستنا– فقد أحكم الإبانة عن قضية حساسة وهامة في

---

1 ــ باعزيز: "الإسلام في ديمقراطيته ونظمه الاجتماعية". البصائر ع:84 .

تنزيل أحكام الإسلام السياسية على الواقع، لعل أبرزها التخوف من تحولها إلى أدوات قمع، وإنزال العقوبة دون السبق إلى اتخاذ إجراءات اقتصادية واجتماعية تمكّن الناس من العيش الكريم، والكسب الحلال، فلا ينحو منحى الإجرام إلا من بيّت نيته فاقترفه عامدا.

كما يعد مبادئ الديمقراطية الصحيحة مما أقره الإسلام في نصوصه الشرعية المقدسة، يقول: "إذا كانت الديمقراطية الصحيحة، بمعنى الاعتراف بحقوق الإنسان، وفسح المجال له ليستخدم عقله ومواهبه في الصالح العام، ويعيش مع بني جلدته عيشة أمن وسلام، وينبض قلبه بالرحمة والحنان، فالإسلام قد وضع دستورها، وأحكم أسّها منذ أربعة عشر قرنا، ففي كتاب الإسلام الخالد، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيرة الخلفاء الراشدين، وما درج عليه السلف الصالح، شرح واف لديمقراطية الإسلام التي تتعشقها النفوس، وتلتجئ إليها الإنسانية كلما حزبها أمر، واشتد بها الكرب"(1)، وعليه يرى الديمقراطية الحديثة في حاجة لمبادئ الإسلام – مثلا– من خلال مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يتعارض معها بل يدعمها، ويمكّن لقواعدها، ويبعد عنها ما يُخل بها ويحدث اضطرابات حولها(2)، فهذا المبدأ الإسلامي العظيم هو الضابط الاجتماعي الكبير للنظام الاجتماعي في الإسلام، يحفظ عليه خلقه، وأمنه، واستقراره.

كما يرى أن الإسلام أحدث بمبادئه ثورة حررت العقول والنفوس من أي سلطان غير سلطان الله تعالى وشرعه الحكيم، فانطلقت النفوس والعقول والأبدان، من إسارها ضاربة المثل بمعاني الحرية الحقيقية، شرط أي نظام سياسي سليم، يقول: "والثورة الاجتماعية إذا غذاها الإسلام بتعاليمه السامية، حطمت هذه الأصنام المعبودة من دون الله، وأتت على تلك الأوثان التي أفسدت العقول والأرواح، وصرفت الناس عن الله، فأذلتهم واستعبدتهم شر استعباد"(3).

---

1 ــ باعزيز: " المصدر نفسه .

2 ــ المصدر نفسه .

3ــ باعزيز: "لا يمنجم"، البصائر:86، 15 /1368/9هـ ــ 1949/7/11م،ص3.

هذه الملامح على – إيجازها الشديد – تشير إلى امتلاك صاحبها رؤية واضحة، حول مبادئ ومعالم النظام السياسي الإسلامي، ونميل للاعتقاد أنه لو فرغ للموضوع بالتأليف المفصل لأحكم مسائله.

-2-دور العلماء في الحكم الإسلامي: للعلماء في النظام السياسي الإسلامي مكانة مرموقة، فالحكم يشترط فيه الفقه والاجتهاد، وممثلو الأمة في مجالس الشورى ينبغي أن يكونوا كذلك من العلماء ذوي الخبرتين الشرعية والدنيوية. لهذا فمن الطبيعي أن يتبوءوا مكانتهم، ويُطالبوا بأداء أدوارهم في المجتمع الإسلامي. ومتى عرضت عوارض أو موانع أقصتهم عنها، وجب النهوض بالدعوة لتصحيح الأوضاع، وإفساح الطريق لعودتهم لأماكنهم . وهذا ما تنبه له باعزيز بن عمر فنادى بضرورة إشراك علماء الدين والمصلحين في الحكم، يقول: "الطريق إلى نهضة حقيقية في العالم الإسلامي تحدٌ من حركة الأخذ عن أوروبا بالتعديل والتوجيه، تؤكد على الصالح من أوضاعنا دون إهمال للأخذ بما صلح من الغرب، ذلك الطريق يكاد ينحصر في مشاركة علماء الدين والمصلحين في الحكومات الإسلامية؛ لأن ابتعادهم وإبعادهم عنها مصدر الخلل في هذه النهضة، لانعدام أثر آرائهم الإصلاحية في الحكم، والدين من جهاز الحكومات الوطنية القائمة من جهة، ولكونه كان مستند المتهمين لعلماء الإسلام بعجزهم عن المشاركة في تسيير مقاليد الأمور، وهذه جناية أخرى على الثقافة الإسلامية(1)؛ لأن العلماء والمصلحين أكفأ من غيرهم في ضبط ما يصلح أخذه، وتركه من مشارب غيرنا الحضارية، فضلا عن دورهم الأساس في التشريع الذي يفترض أن يكون في الدول والمجتمعات الإسلامية مصدره الرئيس هو الإسلام، فينموا التشريع في أحضان الاجتهاد والتجديد الإسلامي، وتمتد رعايتهم إلى مصالح المجتمع، فالعلماء المسلمون مطالبون بالعناية بمصالح المجتمع العقائدية والعبادية والسياسية، أما من يرون تحريم المسائل السياسية عليهم ليس سوى جاهلا بوظائف الإسلام،

---

1 ــ باعزيز: "من جوانب الضعف في ثقافتنا الإسلامية"، البصائر، ع:264، 1373/7/12، 1954/3/26م، ص1

أو مغرضا يريد أن يتسلط في رقاب الدهماء بإبعاد المفكرين النابهين عن النظر في شؤون المجتمع، وإبداء آرائهم الصائبة في مصير الشعب(1)، ونحن لا نزال نشهد فداحة غياب أو تغييب علماء الإسلام عن الحكم في البلاد الإسلامية، بتأثير الفكرة الغربية التي تفصل بين السلطتين الروحية والزمنية.

ويذهب باعزيز إلى أبعد من ذلك، ففي الأحوال الاستثنائية التي يفقد فيها المسلمون الإمام (الحاكم) المسلم، وجب على عالم الدين أن يتحول إلى السياسة والحاكم السياسي معا، فيتولى إدارة شؤون المسلمين(2)، فيرسم برأيه هذا للمسلمين مخرجا إذا فقدوا سلطانهم السياسي الإسلامي، بسبب عامل خارجي كالمحتل، فيستمر وجودهم السياسي، وتُقام فيهم شرائع الإسلام، ويلتفون حولها لاستعادة ما سُلب منهم. ويقترح – في هذا السياق دائما- أن يكون لنا إلى جانب أولياء العهد للملوك، أولياء العهد لعظماء الرجال المفكرين(3)، فليس من الحكمة تفكير الأمة في خلفاء قادتها السياسيين، ولا تفكر في قادتها الفكريين. ومقتضى العمل بهذا التوجيه، قيام الأمة بمسؤولياتها في توفير أسباب تكوين هؤلاء القادة؛ لأن الفكر هو محرك الحضارة، وآراء المفكرين هي صانعة حركة التاريخ، أما رجال الحرب والسياسة فلا يصنعون الحضارة، ودورهم فيها إما حماية مسيرتها، والإسراع بحركة سيرها، أو تعويقها عنه، بل القضاء عليه(4)، اللّهم إلا أن يجمع الرجل بين القيادتين الفكرية والسياسية، وربما العسكرية، كما رأينا في تاريخ الإسلام من جمع النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بينها.

وقد سنحت لباعزيز فرصة معايشة تجربة برهنت – في رأيه- عما سماه دور الثقافة الإسلامية في بسط المسألة السياسية بل وتصدر الدعوى إليها فيقول: "كان بعض المثقفين ثقافة غربية يظنون أن عالم الإصلاح، والمصلحين لا يعدو البحث في فرائض الصلاة ونواقض الوضوء، حتى رأى كيف تدفع الثقافة الإسلامية أصحابها لبسط وتصدر طرح المسألة الجزائرية (يقصد المؤتمر

---

1 ــ باعزيز: "من جوانب الضعف في نهضتنا الإسلامية"، البصائر،264.

2 ــ باعزيز: الإصلاح الإسلامي"، البصائر،76.

3 ــ باعزيز : "تأبين رشيد رضا"، الشهاب،ج9م11، 1354/9/1هـ-1935/1/1م. ص563 ،

4 ــ مؤنس، حسين، مصدر سابق،ص323.

الإسلامي) بلغة الإسلام، مؤيدة بالمنطق الصحيح السليم(1)، ورغم الخلاف الذي أثير حول مشاركة جمعية العلماء في المؤتمر المذكور - كما رأينا- والفشل الذي مني به، إلا أنه لا يخلوا من دلالة اقتحام العلماء المسلمين للسياسة، وتبوء القيادة، إذا اقتضاهم ما قدروه واجبا شرعيا عليهم النهوض به.

-3- **الإصلاح السياسي أساس كل إصلاح:** يرتبط الإصلاح السياسي في الفكر والمنهج الإصلاحي بفكرة الحرية، وما يمت لها بصلة كتحرير الإرادة الجماعية سواء من استبداد الحكام أو من التسلط الأجنبي (2)؛ لأن كل ما أصاب الحياة في المجتمع الإسلامي في القرون الأخيرة نابع في أصوله من هذين التسلطين، فخارت العزائم، وسرى الوهن في الأوصال، واستشرى الفساد، وعم الجهل والفقر.

فنال هذه المسألة نصيب وافرمن اهتمامات رجال الفكر والإصلاح تشخيصا وأساليب معالجة . ورأى فريق منهم ألا خير يُرجى مع ديمومتها في حياة وواقع المسلمين، ودعوا إلى وجوب المبادرة بالإصلاح السياسي، ومن هؤلاء باعزيز بن عمر، يقول: " تنبه قادة النهضات الشعبية إلى أن الحكم الفاسد هو أصل شقاء شعوبها، ومصدر كل داء وبلاء، ومبث سائر الأمراض الاجتماعية الفاشية في الأمة، من أمية، وانحلال، وفقر، فاتجهوا إلى مقاومته أو إصلاحه، قبل الاتجاه لإصلاح النواحي الأخرى التي تدفع بالشعوب للتقدم، والنهضة الفكرية، والاقتصادية، والاجتماعية . وهذا لعلمهم أن لا شيء من الإصلاح المنشود يتحقق، ما دامت الأوضاع السياسية الفاسدة، لم تُستأصل شأفتها في البلاد، فوجب السبق في هدمها أولا، لإقامة بناء جديد صحيح مكانها، مما ينفع الناس ويمكث في الأرض(3). وهو بهذا يخالف رأي أستاذه ابن باديس الذي يرى صلاح التعليم أساس كل إصلاح(4) . ويتفق مع آراء كل من الأفغاني والكواكبي. فيفسح بذلك في

1ـ باعزيز: " كلمة مختصرة"، **الشهاب**، ج5،م12، /1355/4هـ/1936/7/1م،ص220،219 .

2 ـ النجار، عبد المجيد: مصدر سابق، ص109،108.

3 ـ باعزيز: "شبهة تزول"،**البصائر**،ع:74، 1374/11/4هـ 1955/6/25م.

4 ـ آثار ابن باديسج4، ط1؛الجزائر:وزارة الشؤون الدينية،1406هـ ـ1985م،ج4، ص74.

الإصلاح الإسلامي بالجزائر اتجاها جديدا رغم انعدام أثره العملي.

واتساقا مع فكرته تلك يرد على الحكومة الاستعمارية فيما ألمحت به من حاجة للإصلاح الاقتصادي والاجتماعي قائلا: "يذهب المسؤولون إلى أن البلاد في حاجـة إلى رفع مستواها اقتصاديا واجتماعيا، بمحاربة البطالة، واستثمار الصحراء، وتيسير أسباب الهجرة أمام العمال للخارج، أما الإصلاح السياسي فلا يذكرونه، لأنه يعني هدم الأوضاع الاستعمارية التي لا يمكن أن ينهض مجتمع اقتصاديا واجتماعيا أو ثقافيا في ظلها(1).

فالنهضة الحقيقية في مختلف المجالات رهينة بالنهوض للإصلاح السياسي، لكن الاستعمار يدرك أنه سيلقى حتفه إن تحقق هذا الإصلاح الحقيقي، فيأباه ويقاومه، ويقف في سبيله صخرة، حتى في الإصلاح الثقافي الذي حملت منظمة اليونيسكو مشعله الدولي، فيخاطبها قائلا: بما أن الاستعمار يرى في تثقيف الشعوب وتعلمها تهديدا مباشرا لمصالحه، ومقدمة لحياة حرية الشعوب، فما على اليونيسكو إذا أرادت لبرامجها التثقيفية المشتركة للشعوب النجاح إلا إزاحة صخرة الاستعمار؛ لأن العقبات الأخرى يسهل إزالتها ففي ظروف العالم الآن ما يساعد عليها، فنزعة العصر الديمقراطية، ويقظة الشعوب والمطالبة بالحقوق الاجتماعية، كلها تُقربهم من النجاح(2) .فبعد إزاحة هذه الصخرة العاتية الثقيلة، فإن عقبات الجهل والأمية والفقر والبطالة وغيرها، ففي وسائل العصر ومبادئه ما يساعد الشعوب على تحقيقها.

ولا يعني استمرار هذه الأمراض في معظم الشعوب بعد الاستعمار خطأ وجهة نظر باعزيز، لأن عاملا الفساد والاستبداد السياسي لم يزولا معه، فأفرز- بالتالي- نتائجه ..

4-من عوامل النصر: رغم أن الإصلاح السياسي إذا تحقق، يُعد من أقوى عوامل النصر والقوة الحضارية، فإن الأمة معه تحتاج إلى عوامل أخرى للنصر لا تقل عنه أهمية، وقد ورد منها في فكر باعزيز العوامل الآتية:

1ـ باعزيز: "العمل والاستهلاك هما أساس الإنتاج"، البصائر، ع : 295، 1954/12/3

2 ـ باعزيز: " هل تنال الجزائر شيئا من هذا؟"، البصائر، ع:70،ص6.

(أ) الانتساب الحقيقي للإسلام: لأن مجرد الانتساب إليه هو مظهر من مظاهر عصور انحطاط المسلمين، بينما كان لأسلافهم دستور حياة في السلم والحرب، والإسلام ليس مسؤولا عن أمة تنتسب إليه مجرد انتساب، إذ ذلت بعد عز(1)، فعوامل النصر والهزيمة سطرتها آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي (ص)، بدقة ووضوح وصرامة، ولا ينفع معها مجرد انتساب صوري، لاستحقاق النصر.

(ب) الاتحاد والوحدة الإسلامية: الأول في الدائرة الوطنية والقومية، فينبغي على المتغنيين بهذه المعاني في غيبة من تمثلها في واقع حياتهم كمايقول: "وما التغني بالدين والوطنية والقومية، بنافع لقوم جنى عليهم ضعفهم وفرقتهم أهواؤهم، إذا لم يفهموا معنى الاتحاد الذي تنطوي عليه هذه الكلمات الكبرى الثلاث"(2)، وفهمها فقط لا يعني شيئا إن لم تتجسد واقعا مشهودا على الأرض.

أما الثانية فهي الوحدة الإسلامية؛ إذ يرد باعزيز على الذين يرون استحالة قيام اتحاد إسلامي بقوله : "الذين يرون استحالة قيام اتحاد إسلامي على أساس الأخوة الإسلامية يقولون منكرا من القول، وكيف لا يكون كذلك وهم يشاهدون الأمم الغربية رغم تنازعها على البقاء، واختلاف الجنس واللغة، تتداعى إلى مواثيق وتحالفات تحفظ مصالح الجميع؟ ويكفرون بما يؤمن به الغرب من نهضة الإسلام السياسية العالمية، وإمكان استيقاظ المسلمين على صوتها نداء حارا لن يلبث الناس أن يشهدوا أثره في توجيه السياسة الإسلامية في المستقبل القريب(3)، وينبع قوله هذا من التطلع والشوق الإسلامي الصادقين – يومئذ– لهذه الوحدة، فقد كانت معقد آمال الأمة على نهضتها الإسلامية .

وهذا الاتحاد الإسلامي يجد قوته الحقيقية في الإسلام، فكما كان قوة في نهضة المسلمين وثورتهم على المستعمرين، لا يعسر عليه أن يكون قوة سياسية لهم في عصر يزخر بالمذاهب والتيارات المتناطحة (4) .

---

1 ــ باعزيز: " حول قضية فلسطين "، لمحات، ع،4،س3،1970ص22.

2 ــ باعزيز : " مؤتمر أنصار السلم والاستعمار"، البصائر،ع: 78، 1949/5/2 .

3 ــ باعزيز: " استقلال أندونيسيا"، البصائر،107، 1950/2/13م .

4 ــ باعزيز: "حول قضية فلسطين"، لمحات ،ص26.

وفي رحاب هذا المتحد الإسلامي، يفترض أن تجد قضية فلسطين حلها الحقيقي:"حلا يجبر الكسر، ويرد الحرية المسلوبة إلى ذويها المشردين، في حمى جامعة إسلامية عتيدة تسير في سياستها على هدى القران، وتعاليم رسول الإسلام(ص)"([1])، ورغم المسارات التي اتخذتها وتتخذها قضية فلسطين إلى اليوم، فكلها تدنيها من الحل الحقيقي الذي يمتلكه الإسلام، فضلا عن أن ذلك – أيضا- حتمية إسلامية.

لكن ما لم يحدثنا عنه باعزيز كيف يكون الطريق لهذه الوحدة؟ ما الوسائل المناسبة إليها؟ كيف يتغلب المسلمون على عوائقهم الذاتية والخارجية؟ أي شكل سياسي تأتي عليه؟ إنها أسئلة في حاجة لأجوبة توضح معالم الطريق إليها.

(ج) الأخذ بالقوتين(المعنوية والمادية): فالمسلمون تخلّو في عصورهم الأخيرة تخليا مريعا عن القوة المادية، ووقعوا أسرى لما ظنوها قوة معنوية فجنوا الذل والانكسار والانحطاط. وحتى إذا انصلحت أحوال قواهم المعنوية، فوحدها لا تحقق النصر، لهذا يذكرنا باعزيز أن سلطان المسلمين ليس بقواهم المعنوية وحدها،"فمن المعلوم أن ما تم لهم من هذا السلطان أو من هذا النصر على أعدائهم في الماضي، لم يكن يوما ثمرة لقواهم المعنوية وحدها. . بل كان كذلك ثمرة لقواهم المادية المعروفة في عصرهم، وبهذين النوعين من القوى لا بواحد فقط انتصروا بالأمس، وبهما معا كذلك ينتصرون اليوم وغدا، وإذا ما تطور هذا السلاح المادي عند غيرهم، وأصبح قاذفات وقنابل ذرية وصواريخ، فقد تعين على المسلمين أن يجاروهم فيه، ويُعدوا لأعدائهم ما أعدوا منه وأكثر، من غير أن يتجردوا من قواهم المعنوية"([2]).

يطرح باعزيز في هذا القول قضية امتلاك المسلمين للأسلحة الاستراتيجية كالقنابل الذرية، التي تجهد قوى الاستكبار العالمي في ألا يمتلكوها، والحق أننا نؤيد نظرة باعزيز في وجوب السعي لامتلاكها، لا بقصد إلحاق الأذى بالبشرية والاعتداء، ولكن وفقا لنظرية توازن الرعب، فالعدو – خاصة

---

1 ــ باعزيز: "استقلال أندونيسيا"، البصائر.

2 ــ باعزيز: "حول القضية الفلسطينية"، لمحات (المصدر السابق)،ص26.

لن يتخلى عنها مطلقا، أما التوقيع على معاهدات تحريم صنع واستعمال هذه الأسلحة والاكتفاء بالمطالبة بخلو المنطقة منها فهي استقامة الذليل الخانع الضعيف. ونعلم – أيضا– أن شرط تحقق امتلاكها، أن يكون في ظل أنظمة سياسية ديمقراطية تتمتع باستقلال قرارها وإرادتها السياسية، تهدف لإقامة نظام سياسي إسلامي حقيقي، همّه نهضة وتنمية الأمة حضاريا.

ويغتنم باعزيز الذكريات الإسلامية، لاستخلاص العبرة من أحداثها العظيمة في هذا الصدد فيقول: "فهل للعرب المسلمين اليوم على ضوء هذه الذكرى(المولد النبوي) وما بدا لهم من ضعفهم المزري في قضية فلسطين التي أصابت نهضتهم بالشلل، ووسمتها بالعرج أن يلتفتوا قليلا إلى الجانب العملي المادي الذي يجب أن يستخلصوه من هذه الذكرى وأمثالها؟ فأهملوه إهمالا شنيعا، كان من عواقبه ما حل بفلسطين، وأبنائها المشردين"(1)، مشيرا إلى الثورة التي أحدثها الإسلام في حياة العرب فعزوا وسادوا به.

(د) المكر السياسي: سبق القول كيف اعتبر باعزيز المكر السياسي وسيلة دفاع مشروعة، وهو في هذا المقام يرشدنا إلى أصول فكرته في السيرة النبوية قائلا: "استرشادا بالهجرة ينبغي للمسلمين الأخذ بالمكر السياسي لرد عدوان الغاصبين فيتبعون كل طريق، ويواجهون كل المصاعب، فالنبي(ص) لم يخرج عن إنسانيته وهو يدفع مكر المشركين بمكر أبلغ نسبه الله إليه، مما يوجب على المسلمين اليوم التأسي به (ص) في ذلك فيقابلون المكر بالمكر، دون نية الإيقاع بأحد كما يفعل ساسة الغرب، بل للدفاع عن حرياتهم وقضاياهم(2)، فهذا المكر السياسي من الحنكة السياسية، وفطنة المسلم القوي الرشيد، تحلى به الكثير من قادة المسلمين السياسيين والعسكريين، أيام القوة والعزة الإسلامية. ويضرب باعزيز مثلا عن هذا المكر من ساسة اليهود المعاصرين لخدمة قضيتهم، في صراعهم مع العرب

---

1 ــ باعزيز: "ذكرى المولد"، البصائر، ع:101، 1950/1/2م.

2 ــ باعزيز: "من دروس الهجرة"، البصائر، ع: 14، 1947/11/17م.

والمسلمين، فيقول: "إن اليهود يملكون أسلحة متنوعة ماضية، وزعوها على العالم، فوضعوها في أيدي جنود مدربين يحسنون استعمالها فلا يبعد بحال أن يكون هذا المنجم الصيني[الذي تنبأ بزوال دولة إسرائيل، وقيام دولة وحدة عربية] يهوديا، يقوم على ثغره أحسن قيام، ويحارب في صف اليهود بنوع السلاح الذي في يده أحسن محاربة، فإن حارب إخوانه في فلسطين بالنار في الجو والبر والبحر، حارب هو بالتخدير والشعوذة، وأوهم العرب أنهم منصورون، ولو في حالة انهزامهم، وأقوياء ولو لم ير عليهم أثر القوة، ومتحدون ولو أجمع الناس على أنهم ما تشتتوا يوما وانقسموا على أنفسهم، مثلما انقسموا في قضية فلسطين في عصر نهضتهم هذه"(1)، فهو مكر سيئ سيحيق بأهله، ولكن ربثما يستفيد المسلمون من المكر الحسن فيسخرونه لخدمة قضاياهم.

(هـ) التخلص من الاستعمار الداخلي مقدمة للخلاص من الاستعمار الخارجي:

يبين باعزيز أن الشرق الإسلامي، وقع تحت نوعين من الحكم المستبد، إما حكم إقطاعي ينتسب للإسلام وهو ليس منه ومن نظمه في شيء، وإما حكم استعماري ينتسب إلى بعض الديمقراطيات الغربية وليست منها في شيء، فاضطرت شعوب الشرق بعد سري دم الحياة الحر فيها لمقاومة الحكمين معا(2).

لكن حتى بالنسبة لمن انجلى عنهم المستبد الخارجي خلّف بعده من يواصل رسالته،يقول : "ولئن زال الاستعمار الأجنبي، وجلا عن تلك البلاد[المشرق العربي] كما يقولون، فإن الاستعمار الداخلي لمّا يبرح مقيما بينهم يصرف الأمور تصريفا، فيبقى الحكم في أيدي أفراد أوردوا شعوبهم موارد الهلاك، فاختلفوا وتفرقوا يوم وجب أن يعتصموا بحبل الله، ويمضوا لنصرة دينه، وملئوا الدنيا كلاما وزهوا، وغرورا حتى إذا امتحنهم الله بفلسطين وجدهم الناس أحرص خلق الله على الحياة بطغيان الشهوات عليهم، فقالوا نحن متحدون أقوياء، وهم متفرقون ضعفاء، وقالوا غايتنا الموت في سبيل الإسلام والعروبة، وإذا بالأهواء والأطماع

1- باعزيز : " لا بمنجم"، البصائر ،ع: 86 ،ص 3 .
2- باعزيز : " شبهة تزول"، البصائر ، ع: 324 .

تعميهم عن الإسلام والعروبة"[1]،فقوة المسلمين ونصرهم في الخلاص من هذا الاستعمار الداخلي، الذي أثبتت التجارب أنه أشد وأخطر عوامل التخلف والهزيمة، والفت في عضد الأمة.

(و) مطابقة الفعل للقول: وهو مبدأ إسلامي كبير جنينا من مخالفته في السلوك السياسي، هوانا على الناس، يقول : " والحق أن إنحاءنا باللائمة على الفريقين (المحافظين الرجعيين، والديمقراطيين) من ساسة أوروبا الغازية، من جراء موقفهما الظاهر والباطن ليس في محله. ذلك أن ضعفنا المخجل هو الذي جعل أحد الفريقين يوعد ويهدد، والآخر يوهن ويسدد، فلو كنا نعمل بما نقول لاحترمونا، وأقلعوا عن سياسة المغالطة، والمراوغة والشدة والصرامة"[2]، فشرط من شروط النصر – كذلك– تطابق الفعل الصالح مع القول الصائب النافع في مجال البناء الحضاري.

-5-المنظمات الدولية والحركات الشعبية العالمية: كانت البشرية تأمل من هذه المنظمات الدولية كمنظمة الأمم المتحدة، إثر تجاربها المريرة مع الحروب، وآثارها المدمرة خاصة على الشعوب الضعيفة، أن تلعب دورها في تحقيق السلام لها، لكن تبين لها عجزها في مواطن كثيرة، بل وانحيازها للأقوياء، فلم تعد الشعوب تحفل بها، يقول باعزيز بن عمر: "الحكومات وحدها هي التي تحتفل بيوم الأمم المتحدة، أما الشعوب فلا تزال قليلة العناية بهذا اليوم، ذلك أن حرص المنظمة على التشيع للأقوياء المهيمنين عليها، وتسخير مبادئها الديمقراطية الإنسانية لإرضاء مطامعهم، وتنفيذ أغراضهم، أصبح في نظر هذه الشعوب يفوق كثيرا حرصها على تطبيق ميثاقها، لإقامة عالم ديمقراطي جديد، على ضوئه يسود السلام والتفاهم والتعاون الذي يعود على شعوبه، وأممه كلها بالخير العميم"[3]،

---

1 ــ باعزيز:" بلدان لا ناقة لنا فيها ولا جمل"، **البصائر**:ع 81 ، 1949/5/30م.

2 ــ باعزيز: " الذين يقولون ما لا يفعلون"، **البصائر**،ع:225.

3ــ باعزيز: " متى تحتفل الشعوب بدل الحكومات وحدها بيوم الأمم المتحدة". **البصائر**ع: 206 .

فعجزها عن تحقيق أهدافها، وتطبيق ميثاقها من نذر الشر على البشرية(1)، وقد يكون هذا اليأس هو الذي حمله على الإلتفات إلى الأدوار التي يمكن أن تقوم بها الحركات الشعبية العالمية في رفع الظلم عن المستضعفين، كقوله: "ما بقي أمام الحركات الديمقراطية الشعبية العالمية، بعد قراراتها المؤيدة لكفاح الشعوب إلا التفكير في الوسائل العملية التي تحمل ساسة أوروبا الاستعمارية، على إنصاف المستضعفين وتمكينهم من نيل حقوقهم المشروعة، واحترام السلام، بالإقلاع عن سياسة الغزو والاستعمار"(2) .

لكن الأحداث المعاصرة مثل التحركات الشعبية العالمية الضخمة المعارضة للحرب على العراق، أثبتت قلة جدوى هذه الوسيلة، فالحرية تُؤخذ ولا نوهب، والحضارة تُبنى ولا تُهدى. دون أن يعني هذا التقليل من قيمة التفاعل الإنساني، من خلال اللقاءات العالمية الشعبية الجادة، في تحقيق التعارف الثقافي والتعاون الإنساني:" ففكرة عقد المؤتمرات الشعبية العامة في أطراف من العالم شرقيه وغربيه ليست قليلة الأهمية بالنسبة إلى ما يتم فيها من آيات التقارب ومظاهر التعارف المنشود بين ممثلي الشعوب والأمم التي تجيب دعوة الداعي إليها، على ضوء ما يجري فيها من تبادل الآراء في مختلف الاتجاهات والقضايا التي تهم العاملين في حقل السلام العام، ويتوقف تحقيق التعاون الثقافي والسياسي بين الأمم والشعوب على حلها وتعديلها بصورة تساير روح التطور والتقدم في هذا العصر الذي يملك فيه العالم من الوسائل لتوحيد الغايات، ومزج الثقافات والمدنيات، ما لا يخفى على بصير"(3).

فهذا النص يشير إلى مسألتين هما: الأولى: وعي باعزيز بالدور الخطير الذي أصبحت –في عصرنا– تلعبه وسائل الاتصال في التأثير على الاتجاهات وصنعها، وتقريب الأفكار فيما بينها حول قضايا إنسانية مشتركة. أما الثانية: فيمكن اعتبار هذه الفكرة سبقا من باعزيز في طرح حوار وتعارف الحضـــارات،

---

1 ــ باعزيز:" حول قضية فلسطين"، **لمحات** ،ع:4، ص21.

2 ــ باعزيز: " مؤتمران يلتقي فيهما الشرق والغرب"، **البصائر**،ع:215، 1953/1/30م3

3 ــ **المصدر نفسه.**

وتعد هذه الصيغة من أكثرها جدوى، إذ أن إنشاء منتدى فكري عالمي لتعارف الحضارات، مكون من النخب المؤمنة بالتعارف، والداعية والممارسة لفعالياته، بعيدا عن تقلبات السياسة وأهوائها ومصالحها الضيقة، ينظم إليه – إلى جانب النخب- المؤمنون بالمشروع من عامة الناس الذين يلتزمون بالتأييد العالمي له، كالإسهام في تمويل مؤتمرات المنتدى، وإحياء يوم عالمي لتعارف الحضارات بأنشطة إيجابية على المستوى العالمي([1]) .

6-اتصال النواب الحقيقي بالشعب: يذهب أحد دارسي المقالة الصحفية الجزائرية إلى أن مما يلفت نظر الباحث عدم عثوره على مقالة واحدة تمدح النواب، أو تذكر مساعيهم بخير، فقد كانوا محل انتقاد عنيف من الكتاب، تعبيرا عن سخطهم على الاستعمار، الذي فرض عليهم نوابا لا يمثلون هذا الشعب، منهم العميل والمتجنس بجنسية المستعمر، المنسلخ عن دينه، والجاهل الذي لا يفقه شيئا في النيابة سوى قول نعم لما يملى عليه([2])؛ ولم يشذ باعزيز بن عمر عن كتّاب المقالة الصحفية هؤلاء، فقد تحدث عن ضعف صلة النواب بالشعب قائلا: "إن صلة نوابنا وأقطاب أحزابنا بالشعب ضعيفة جدا، إذ لا نكاد نقف لها على أثرهم إلا يوم ينفخ في صور الانتخابات، ليقوم الأحياء والأموات في سائر أنحاء بلاد القطر باديتها وحاضرتها،جبلها وسهلها، فإذا ما انقضت أسابيع الانتخابات كلمح البصر وسكت لغطها، وخفت صوتها، وبدت النتائج فسرّت قوما، وأغضبت آخرين، انقطع ما اتصل بين الشعب من تقدم للنيابة عنه من الفائزين، والخائبين"([3]) .

كما ينتقد مسلك النواب المحتذين حذو الحكومة في ما ينبغي إصلاحه، فيقول : "يعزف أغلب المرشحين على نغمة الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي، جريا على ما تؤكد عليه الحكومة لتحصر المشكل الجزائري فيهما، وتفند القول بأنه ذوا شعب كثيرة، في مقدمتها الشعبة السياسية. ولكنك لا تكاد تبحث عن آثار

---

1 ــ مراح، محمد : " نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات"، الكلمة،منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث،السنة 10،العدد 41، خريف 2003م ــ 1424ه ص48.

2 ــ ناصر ، محمد : المقالة الصحفيةج1، ص351،350.

3 ــ باعزيز: " من بلاد القبائل إلى التراب العسكري"، البصائر،ع: 95، 1949/11/14

هذا العزف حتى يخيل إليك أن القوم ما نطقوا وأنك ما سمعت، ومعنى هذا كله أن تاريخ الانتخابات لا يفتأ يعيد نفسه بالجزائر"[1]، بينما تفرض عليهم الديمقراطية التي يتكلمون بها أن: "يكثروا من اتصالهم بهذه الأرياف عن طريق عقد رحلات وزيارات متوالية إلى هذه الأرياف، لا لأجل الدعايات الانتخابية الفارغة، التي لا تأتي إلا في فترات متباعدة، بل لدراسة الحالة الاجتماعية في هذه المناطق، وتنفيس الكرب عنها، وتخفيف العذاب المهين الذي ما فتئ الاستعمار يصليها ناره، وجحيمه"[2].

أما الاتصال الحقيقي بالشعب فله فوق ما ذكر معايير أخرى تتصل بذاتية الأمة ومقوماتها الحضارية، يقول باعزيز: "لا تتحقق دعوى الاتصال بالشعب بخطبة تلقى في مناسبة انتخابية، أو بالمرور مرة بالأحياء الأهلية، أو بالنيابة في إحدى المجالس، وإنما بما يتحقق عمليا في حياة الفرد والجماعة على حد سواء. ومقياس هذا الاتصال بالشعب هو مدى التمسك بتراثه الإسلامي، والتضحية في سبيله، والحرص على نقله إلى أولاده بتنشئتهم إسلاميا، ... وتقويم ألسنتهم بلغتهم، وأدبهم، فيطبعون بطابع الإسلام الخالد، ويتأتى لهم السير على رسالته الخالدة، ويصلحوا حاضرهم بماضيهم، كانت نسبتهم للشعب صحيحة، واتصاله به متينا، وحق للشعب أن يرجو على يده [أي النائب] خيرا كثيرا. وليس من هذا الصنف أولئك العابثين بمقوماته الروحية في طي الخفاء، يرقبون مواسم الانتخابات، فيبثون من ينشر فضائلهم في الأوساط بالبهتان، فإذا انقضت أسرعوا ففارقوا الشعب إلى حيث تطيب لهم الحياة ويهصروا ما شاءوا من فنونها، ورقيق عيشها، ما لذ وطاب[3]*.

يرشدنا هذا النص إلى أن النائب الحقيقي عن الأمة هو الذي يتمثل شخصيتها، وقيمها الحضارية في خاصة نفسه وأهله وولده، فينطبق سلوكه مع

---

3 ــ باعزيز: "الإنتخابات العمالية"، البصائر، ع: 315،

1 ــ باعزيز: "من بلاد القبائل إلى التراب العسكري"، البصائر، 95، ص2.

3 ــ باعزيز: "دعوى الاتصال بالشعب"، البصائر، 75، 1949/4/11

* قارن اليوم بالأمس في الحياة النيابية في بلادنا العربية عموما.

تعاليم دينه، ويربي أولاده على قيمه، ومبادئه، ويشربهم من معين تاريخه ورسالته، ويعلمهم لغته. وهكذا فقوام النيابة عن شعب مسلم هي: الاتسام بشخصية إسلامية حقيقية في الذات والأهل، في المخبر والمظهر. وفعالية حقيقية في التعرف على همومه ومشكلاته الحقيقية على أرض الواقع، والاستماتة في طرحها والدفاع عن حلولها المنسجمة مع شخصية الأمة، كذلك استقلالية النائب الحقيقي عن السلطة التنفيذية، فيكون رائده الحق، وهدفه إحقاقه.

أما النواب الغرباء عن شخصيتها الحضارية، أو أولئك الذين ينعتون "بقوم تبع" أو "بني وي وي"* فموقف الأمة منهم كما يصفه باعزيز: "إن في قومك طائفة تتعلق بالسياسة وتتحدث عنها في الظعن والإقامة، وتتزعم هذه الأمة التي ستسمعهم يوما ما يكرهون، وتقول لهم إذا أيست من إصلاحهم إليكم عني، تنكرتم للغتي وجهلتم تاريخي، ونظرتم إلى ديني وعاداتي الحسنة نظرة الأجنبي المستعمر، الذي كوّن منكم أعوانا له على محاربة ما أبقته الأيام بين يدي من تراث الأوائل، حصرتم السياسة في الأقوال حين حصرها أعدائي في العمل، ففعلوا وقلتم، وبنوا فهدمتم، وسادوا فذللتم، وساروا فتخلفتم، واتحدوا فافترقتم، وعضوا بالنواجذ على مقوماتهم الروحية من لغة وتاريخ وتقاليد، فأعرضتم أنتم عن كل أولئك وقلتم: إن السياسة لا يعنيها اليوم شيء من هذا حين قال الاستعمار: إن نجاح سياستي لا يتم في أمة إلا إذا حولت وجهتها، فأنست أبناءها لغتهم ودينهم، وتاريخهم، وشككتهم في وجود أنفسهم، فأفسد الجهول على العالم منهم، وراح السفيه ينتحل لنفسه ألقابا لا يفهم مدلولها(1)، فيتم بهذا تواطؤ النخبة مع الاستعمار، في تحويل الأمة عن وجهتها الحضارية. وتحتفظ هذه الأفكار بقيمتها اليوم في الدلالة على دور النخب المتغربة في الحيلولة دون الأمة، وتطلعها للتحضر في ظل مقوماتها الحضارية. مما يمنح أفكار باعزيز الإصلاحية في هذه الناحية(السياسية) الأصالة والقوة، والمصداقية، والتواصل مع الزمن .

---

*كلا التعبيرين في الاستعمال الشعبي، يدل على صنف النواب الذين تعينهم السلطات الحاكمة (استعمارية أو غيرها)، لتأييد سياساتها .

1 ــ باعزيز: " اللغة العربية في مؤتمر أنصار السلم"، البصائر، ع: 80 ، 1949/5/23م.

إلا أننا نلاحظ أنه لم يكشف لدارس فكره السياسي عن رؤية متكاملة لبناء نظام سياسي للمجتمع، مما يقف بأفكاره عند حدود التوجيهات، والآراء المتفرقة، غير المنتظمة في سياق منظومة فكرية فلسفية مذهبية، عدا ما يعود منها لنظرية الإسلام السياسية في مبادئها وأسسها المعروفة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

فكر باعزيز

الاقتصادي

و

الاجتماعي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

لاحظ أحد المؤرخين لتاريخ الجزائر الثقافي، ندرة تأليف الجزائريين في المواد الاجتماعية العامة، فحتى بالنسبة للمؤلفات بالفرنسية ربما أقل، رغم ما قيل عن تخريج الفرنسسيين لفئة نخبة مثقفة بالفرنسية (1)، وفي هذا الصدد ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية كتيبات لكتاب اندماجيين وسياسيين، ذات طابع اجتماعي وسياسي تعالج القضية الجزائرية، ومستقبل الجزائر، ولكنها على العموم لم تعكس ما كان عليه المجتمع من توتر وتطلع الى الحرية، ولا أيضا المستوى الفكري لأصحاب هذه الكتيبات (2) .

لكن في المقابل لاحظ الدارسون المنزلة الهامة التي احتلتها المسألة الاجتماعية في الصحف العربية بالجزائر، خاصة منها صحافة الإصلاح فقد عنيت بهذا الجانب عناية فائقة يشهد لها ما تركته من كم غزير من المقالات والأفكار، لا يفوقه كمّا سوى ما تركته عن الإصلاح الديني (3)، فرغم الدائرة الاصلاحية الدينية التي تدور فيها هده الصحافة، فقد تأكد اهتمامها بالجوانب الاجتماعية والسياسية(4) . والحق ألا غرابة في ذلك، فالإصلاح الاجتماعي وجه من أهم وجوه الإصلاح الديني، والعقيدة الإسلامية عقيدة اجتماعية في كثير من تطبيقاتها، فالإسلام ــ كما هو مقرر ــ دين للآخرة والدنيا . لكن في الوقت نفسه كان اهتمام كتاب المقالة الصحفية بالقضايا الاقتصادية قليلا، لأسباب منها :

---

1 ــ سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 7، ص 194 .

• من المسائل التي تعرضوا لها : التربية والتعليم – الإصلاح الاجتماعي والديني – أحداث اجتماعية واقتصادية وكوارث كالمجاعة –التنظيمات والخطط الإدارية والعسكرية النابعة من الشريعة الإسلامية ومستجدات الحضارة الغربية –الفوائد على النقود –الصناعات التقليدية والحرف والفنون الشعبية – قواعد التجارة العصرية –حكم الاحتكار –الرفق بالحيوان –الأوبئة والجوائح وما ترتب عنها من غلاء الأسعار والأمراض والجوع والآفات الاجتماعية وكثرة الوفيات .

– المصدر نفسه : ص 194 – 211.

2 ــ المصدر نفسه ص 207.

3 ــ ناصر محمد : **المقالة الصحفية** ج 1 ص 203 .

4 ــ ا لميلي محمد : **ابن باديس وعروبة**، ط2،الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1980. ص 13 .

1ـ أغلب الصحافة إصلاحية دينية اجتماعية، للضرورة الملحة مما يهدد الأمة بالقضاء على ذاتيتها .

2ـ شعور الكتاب الإصلاحيين بعدم جدوى الكتابة حولها، إذ أن أكثر من تعنيهم فلاحون، وتجار، وصناع وعمال أميون .

3ـ ما يتطلبه الموضوع نفسه من معلومات محددة، وبيانات مدققة تعتمد أساسا على الإحصاءات الرسمية، وهي مما لا يتوفر لدى أغلب الكتاب، خاصة أن صدورها كان بالفرنسية التي يجهلها أكثرهم .

ومع هذا فالشعور الوطني حال دون انصراف الكتاب كليا عن الكتابة في الموضوع، مزاحمة للأجنبي، وإحساسا بالمسؤولية في توعية أمتهم، في طريق الحياة النشيطة المنتجة([1]) .

لكن إن سلمنا بالسببين الأول والثالث، فنتحفظ عن الثاني، إذ كان عموم الشعب أنذاك سادرا في أميته وجهله، ولو راعى المصلحون هذا العامل، لانصرفوا عن الكتابة الصحفية مطلقا، لأنه لا فرق بين القضايا الاجتماعية، وغيرها كما أنه من المعلوم شيوع الإطلاع على الصحف ـ آنذاك ـ بالوساطة، فكان من يحسن القراءة بالعربية أو الفرنسية ينقل ما يقرأ لجلسائه ومحدثيه .

أما يا عزيز بن عمر فنحا بأكثر إنتاجه من المقالات الصحفية المنحى الاجتماعي، فكان كما قال عبد المالك مرتاض :" أن أكتب كتاب المقالة الإجتماعية في الجزائر إنما هو أبو [كذا في الأصل] عزيز بن عمر الذي خلف نتاجا مقاليا ضخما، دبجه كله حول موضوعات اجتماعية مختلفة ...إن أبا [كذا في الاصل] عزيز بن عمر كان يصطنع المنطق في كتابة مقالاته، وفي تحليل عناصرها المختلفة التي كان يقيمها على مقدمات منطقية، تفضي بها آخر الأمر إلى نتائج محتومة، كما كان أبو [كذا] عزيز يتحلى بالهدوء، والعمق في النظرة إلى القضايا الاجتماعية الكثيرة، التي كان يعالجها في مقالاته المختلفة ... نعتبره زعيم

1ـ ناصر محمد : **المقالة الصحفية** ج 2 ص 80/79 .

الكتاب الاجتماعيين في الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية، وقائدهم المحنك الذي كان يتتبع المشاكل الاجتماعية، فيغوص عليها بقلمه، ويلقي عليها الضياء بفكره، وآرائه وتوجيهاته ...شاركهم ففاقهم، ورافقهم فسبقهم، فأصبح أكتب الكتاب الاجتماعيين في الصحف الجزائرية بعد الحرب الثانية (1) .

وهذا الحكم صحيح في عمومه، إلا أننا نستدرك على مقالته أن ليس كل نتائج باعزيز بن عمر في القضايا الاجتماعية، وإنما خاض في غيرها من قضايا اقتصادية، وسياسية، وتربوية، ودينية، وأدبية - كما تدل الدراسة - اللهم إلا أن يكون قصده الموضوعات أو المواد الاجتماعية التي تقابل الموضوعات العلمية، وأستبعد أن يكون هذا مراده فيما ذهب إليه، وإنما هاله اهتمام باعزيز بن عمر الغامر، وإنتاجه الوافر من المقالة الاجتماعية، فحكم بما حكم به .

وقد اتجه باعزيز بن عمر هذه الوجهة من موقع المفكر الإصلاحي الحر الحقيقي، متعرفا على دقائق حياة مجتمعه ثم يصورها متجاوزا المواعظ السطحية(2) أحيانا كثيرة، ولكن إلى أي مدى اكتملت المشكلات الإجتماعية في تصوره؟ كي يتأتى له معالجتها مجتمعة متكاملة، إذ لا ينبغي النظر إليها بطريقة تجزيئية فردية، مما يعوق حلها، ويعقدها، لذا ينبغي مواجهتها بصورة شاملة للقضاء عليها (3)، وهل كان - فيها عالجه من مشكلات- مثالا للمفكر الاجتماعي الحق، والمصلح المتمكن ؟ الذي يؤديه ارتفاعه الفكري من رؤية واضحة شاملة يتجاوز بها رؤية فرادى الأشجار إلى الغابة كلها، وهو من يتطلع لمعرفة أسباب الظواهر والأعراض في ظلمات الزمن، فيخرجها من لا شعور المجتمع إلى ساحة شعوره، فيعرضها عليه، فيدرك مرضه، ويتحقق من كونه ليس حالة طبيعية يعيشها فيستطيع معالجة نفسه بنفسه(4) .

---

1 ــ مرتاض، عبد المالك : **فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 -1954**، ص113، 116.

2ــ شريط، عبد الله : **المشكلة الايدولوجية وقضايا التنمية** ، (د.ط)؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،1981.،ص 182 .

3ــ غيث، محمد عاطف : **التغيير الاجتماعي والتخطيط**،(د.ط)؛إسكندرية ــ مصر :دار المعرفة الجامعية،1987.ص 126 .

4 ــ **شريط ، عبد الله : مصدر سابق** ،ص132، 133.

جاء عطاء باعزيز الفكري كذلك في كثير من الأحيان، لكن دون انتظامه في عقد مذهبي عدا اكتمال النظام الاجتماعي الإسلامي - نظريا - في تصوره. وقد عالجنا نتاجه الفكري الإصلاحي الاقتصادي، والاجتماعي في هذا الفصل ، عبر المباحث الآتية :

المبحث الأول :فكر باعزيز الإقتصادي

المطلب الأول : طبيعة الاستعمار

المطلب الثاني : من معايير النجاح الاقتصادي

المطلب الثالث : التصدير

المبحث الثاني : فكر باعزيز الاجتماعي

المطلب الأول : مفهوم الحياة الاجتماعية

المطلب الثاني : البطالة ، والهجرة ، والضمان الاجتماعي.

المطلب الثالث : المرأة ، ونمو النسل

المطلب الرابع : التشرد ، والانحراف الاجتماعي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

فكر باعزيز الاقتصادي

لم تكن تملك الفئة الإصلاحية من الأمر الاقتصادي للمجتمع الجزائري المستعمر غير مقاربته بالتوصيف والشجب، والإدلاء أحيانا ببعض الآراء والمبادئ والأحكام القيمية، فما تطلعت لبناء مذهب اقتصادي يحتذيه المجتمع في سيره، ولا نفرت طائفة من المصلحين لسد هذه الثلمة في صرح الحركة الإصلاحية الفكري، فيبدو أن غاية ما امتدت إليه الأبصار في المسألة جانب عملي، كدعوة الشيخ الإبراهيمي سنة 1943 لإنشاء مؤسسة اقتصادية يكونها التجار المسلمون برؤوس أموال إسلامية تكون نواة لاقتصاد كبير في المستقبل، عوضا عن تركيز الأموال في أيدي كبار التجار اليهود والنصارى، فنشأت شركة(آمال) للشمال الإفريقي، أمل الجزائر في الاتجاه وجهة اقتصادية لبناء الأمة الجزائرية الحرة تتلوها آمال في نمو الاقتصاد الوطني واستغلاله واستخدامه في رقي البلاد ونهضتها[1] . لكن هذه الآمال خذلها عدم إبداع مذهب اقتصادي واضح المعالم، رغم قيام أسسه في مرجعية الإصلاح الشرعية، والتي لانعدم حديثا عنها في مضامين خطاب زعمائه، وكتابه. وما كان مناخ الاستحواذ والتدمير الاقتصادي الذي صنعه المستعمر يأذن بذلك أيضا .

في هذا السياق نتناول مبحث فكر باعزيز بن عمر الاقتصادي الذي تتوزعه المسائل الآتية :

المطلب الأول : طبيعة الإستعمار : التي يفسرها ما بلغه استيلاؤه مجتمعا من كوكبنا الأرضي، فقد امتلكت القوى الغربية الاستعمارية عام 1800 ما مقداره 35 %منها، وفي عام 1878 ارتفعت إلى نسبة 67 %، وفي عام 1914

---

1 ــ خير الدين : **مذكرات** ج1 ، ص365.

وقع تحت سيطرتها ما نسبته حوالي 85 % من العالم، من مستعمرات ومحميات، وأقطار خاضعة وكومنولثات ([1]) ، فمكن هذا الاستحواذ لنزعاته التي تصورها باعزيز على النحو الآتي : " والأرستقراطية الرأسمالية لم يفارقها هذا الوسم [الاستغلال والقهر المادي والمعنوي] قديما وحديثا، ولذلك لم ينتظر من عرفها به أن يتم على يدها ما يسعد هذه الشعوب المهضومة، ذلك أنها لم تقم على التفوق الفكري والمقاييس المعنوية، وإنما قامت على أنواع من القوى المادية، ربما تلاشت وضعفت أمام تهذيب مدارك الشعب وترقية مستوى الذكاء والأخلاق في أفراده وجماعاته، فهي إن تجردت من الحيثيات والمقامات، وما يُدعى سمو المنشأ ونبالة الأصل أضحت عارية لا يسترها شيء، وبما أن هذه الصفات قد توفرت في الطبقة الأرستقراطية عندنا، فإنها لا ترى أحدا فكر صدقا أو قال حقا، إذا فهم غير ما تفهم، أو رام ما يصدم سياستها الاقتصادية وتطلع إلى ما تنقطع دونه أعناق أمثاله "([2]).

فالعامل المادي من تطلع للاستزادة من الرفاه وأسبابه وراء الاستعداد النفسي والسلوك العملي اللذان ترجمهما الاستعمار في نزعاته الاستغلالية والقهرية، فقاما حاجزا دون أي أمل فيما من شأنه إدخال السعادة على نفوس الشعوب التي تسلط عليها، وقد ولّد لدى تلك الفئة الأرستقراطية النزوع الاستبدادي الفكري، وردع أي مقاومة لسياساتها الاقتصادية، فبرمجت سيرها مع تلك الشعوب على استغلال الأيدي العاملة وما تنتجه، والاجتهاد في إبقاء هذه الحالة، التي تغني طائفة وتفقر شعبا كاملا ([3])، رسخ لديها ذلك نزعة التفوق فيكفي أن تتميز عرقيا حتى تصبح السيطرة تفوقا ضروريا وطبيعيا لا يمس، كما لو أنه مدون في طبيعة الأشياء، وليس ثمة مدعاة للدهشة فيما لو رأينا التقسيم العالمي للعمل، والمنافسة بين الدول يترجمان بحواجز بيولوجية حيث العرق

---

1 ــ سعيد ، ادوارد : مصدر سابق ، ص78، 79 .

2 ــ باعزيز : " الاقتصاد الجزائري والإصدار "البصائر،ع: 14 ،1949/3/14 ص2 .

3 ــ المصدر نفسه ، ص2.

الأبيض ينصّب نفسه وصيا على مصائر الشعوب، وذلك عن طريق نزع الملكيات للجماعات المحلية المغزوة، ودمجها في دائرة السوق لتوسيع الإنتاج الرأسمالي في العالم، ثم إلحاق أي معيار اجتماعي بنظام الأجر، وذلك باستغلال واسع وكبير لليد العاملة المستعمرة بحيث تغدو المجتمعات الملونة مجبرة على بيع قوة عملها بأسعار رخيصة "([1])، ولكي يتأبد لها هذا الموقف تُقاوم كل تسامي فكري للشعب، وتطلعه الروحي، لتهبط به إلى الحضيض حيث لا نزوع ولا طموح([2]) . يستفاد من كلام باعزيز أن أساس التغيير والإصلاح يبدأ من الفكر والروح أي من الداخل، إذ لم يستتب الأمر للاستعمار حتى هبط بهما لدى الشعب الجزائري إلى دركات الخنوع والشعوذة والإستكانة لبطش القوي ونزوات المستغل وعليه فتهيئة الشروط للفكر كي يرقى وللروح كي تسمو كانت موضع عناية الاستعمار بمقومتها والكيد لها، ومحاولة إبطال مفعولها.

ولكن مما لا يُسلّم له به ما ذهب إليه من نفي التفوق الفكري عن الاستعمار الغربي وعزوه لقواه المادية فحسب، فالحق أن الغرب استعمرنا لأننا ضعفاء متخلفين فكريا وعلميا وصناعيا وتكنولوجيا، أما هو فكان في عنفوان نهضته وتطوره المادي والأدبي، وكل خروج من قبضة الاستعمار القديم والجديد، مأتاه انضباط معادلة الحضارة مفهوما وتطبيقا، في توازن شقيها المادي والمعنوي .

المطلب الثاني : من معايير النجاح الاقتصادي : في غيبة مذهب اقتصادي تحضر لُمع من آراء باعزيز الاقتصادية ذات المسحة التوجيهية الإصلاحية الخلقية، غير المؤسسة على دعائم مذهبية يمكن العودة بها إليها. ووصفنا لها بالمعايير الاقتصادية لا يُفهم منه صدورها عن فكر اقتصادي مكتمل البنيان لاحت بعض معالمه معلنة عنه، إذ ليس بين أيدينا من القرائن فضلا عن الأدلة ما يميل بنا إلى هذه الدعوى.

---

1 ــ غريغوار منصور مرشو : مصدر سابق ، ص108، 109.

2 ــ باعزيز : " الاقتصاد الجزائري والاصدار " ، البصائر ، ص2

من معايير النجاح الاقتصادي الواردة في فكر باعزيز بن عمر أن الجودة أساس ضمان العمل و الاستهلاك، فيقول : " ضمان نجاح عمل الأجير يكون برواج الإنتاج الذي تتحكم فيه الجودة و الرداءة إقبالا عليها وتركا من الزبناء، فسيفلس أو ينجح الأجير وصاحب العمل بمقدار التعاون على إنتاج الجيد و الرفيع . مع حسن ذوق في عرضها وتقديمها، وعدم المبالغة الفاحشة في أسعارها، كما أن الدعايات الكاذبة في ميدان الماديات أو الأدبيات لا تعيش طويلا "(1)، فسرّ نجاح الإنتاج الجودة التي يشترك في صنعها الأجير والمالك، مع العناية بحسن الذوق في العرض، واعتدال في السعر، والإعلان الصادق .

ومن المعايير – أيضا– أن العمل والاستهلاك أساس الإنتاج" فالمستهلك الضعيف أي الذي له من الدخل ما يخول له القدرة على الشراء والاستهلاك لا يقوى على النهوض بالاقتصاد الوطني، كما أن المنتج الضعيف أي الذي ليس له مستهلكون محكوم عليه بالإفلاس مقدما، ولهذا نجد الديمقراطيات الاجتماعية في المجتمعات الراقية تحارب البطالة وقلة العمل حربا لا هوادة فيها مخافة أن يهبط مستواها الاجتماعي العام هبوطا يترك أسوأ الأثر في اقتصادياتها"(2)، فالمعيار سليم؛ إذ العامل يعمل لينفق عائده، ويستهلك ما ينتجه المنتج، فإن استفحلت البطالة كسد الإنتاج، وأفلس المنتج، وجاع العباد وخرب الاقتصاد .

لكن المعياران يقفان بين عاملين كلّ يحد من فعاليتهما بطريقته وضروراته،العامل الأول هو الاستعمار الذي صنع الواقع الذي يرمي هذا الفكر لإصلاحه وتغييره، فأفقد هذا العامل الفرد والمجتمع كل إمكان حضاري من معنويات: (دوافع وتصورات وأفكار)، وماديات : (وسائل وأموال)، وبالتالي لا يرى في ذلك ما يعنيه، فليس هو المستهلك الحقيقي على أوسع نطاق، وبالتأكيد ليس هو المنتج، والعامل الثاني انقطاعهما عن مذهب أو نظرية اقتصادية – كما

---

1 ــ باعزيز : " العمل والاستهلاك هما أساس الإنتاج "، **البصائر**ع: 295 ، 1954/12/3ص3 .

2 ــ المصدر نفسه، ص3 .

سبق القول – تحدد الاختيار الاقتصادي لتنمية المجتمع، وفقا لمعادلته الاجتماعية التي تشرط نجاحه فإن أطلقنا المعيارين من الزمن والسياق الاجتماعي الواردين فيهما، فلا يعدوان وجهة النظر الإصلاحية، التي قد تفيد اقتصادا وطنيا حسم أمر اختياره، وانخرط المجتمع في تشييده.

المطلب الثالث : التصدير : اهتم باعزيز بن عمر بمسألة إصدار المنتوجات الجزائرية في ظل الاستعمار، لأنها إحدى أبرز سمات الاقتصاد الاستعماري، وإحدى نتائج تبديل الإنتاج الزراعي، التي أدخلها على الجزائر، وكان الجزائري يحتل فيها مركز القن في المزرعة والمصنع، والمستهلك لما يمنعه دينه عنه، ويذهب بخلقه ومروءته، وإن جاء خطاب باعزيز مجسدا للمأساة في مظهرها وآثارها، إلا أنه لم يخرج عما يمكن وصفه بالخطاب الاحتجاجي الاستنكاري، الذي لا يخلو من الإشارة لبعض الحلول الإصلاحية .

فمما يضايقه من إصدار الخمور، تسخير اليد العاملة دون مقابل، وتخصيص الأراضي الخصبة للأعناب إلى حد لم يبق للقمح والحبوب الأخرى التي تتطلبها البلاد إلا البقاع والأمكنة، التي تزهد بضعف إنتاجها، وعدم صلاحيتها([1])، يصور هذا القول – على الإجمال – التكلفة الزراعية والاجتماعية لهذا التوجيه الذي اختاره الاستعمار لمسار الاقتصاد والزراعة بالجزائر، فألقى بالجزائريين تارة في المجاعات المتوالية، وتارة أخرى في أتون البطالة، فضلا عن السقوط الأخلاقي الذي يقع فيه منهم أولئك الذين ألقت بهم الظروف إما في معامل الجعة، أو الموانئ لإصدارها، أو احتسائها، فقد تصدرت الكرمة ومحصولها الإنتاج الزراعي الجزائري، كما دلت الدراسات والإحصاءات ([2]) .

فهذا النوع من الإصدار ــ إذن ــ كان صانعا لمأساة الشعب التي تزداد مع ازدياده الديموغرافي، " فالكروم غالبا ما رافقها تدعيم الفوارق الجهوية، وضايقت توسع زراعات كان من شأنها أن تقوم بدورها، في تحويل الفلاحة لاسيما وأن

---

1 ــ باعزيز : "الاقتصاد الجزائري والإصدار" ، **البصائر** ، عدد : 71 ، ص2.

2 ــ أجيرون ، شارل روبير : مصدر سابق ، ص126.

الحاجات جد هامة، ومتزايدة نظرا للتطور الديموغرافي خاصة "[1] بل إن الإصدار -عموما- كان أحد أهم أسباب الأزمة الاجتماعية ـ كما تدل عليه مقولات باعزيز ـ فهو يحقق لأصحابه ربحين : ربح مقابل ما يصدرون، والثاني يعود عليهم مما استبقوه هنا، ولم يبقوا إلا ما يغدو موضع التزاحم، فيقع الاحتكار عليه ويرتفع سعره [2]، ففي الوقت الذي يؤمل من الإصدار المساهمة ـ في تنمية البلاد، يتحول ـ في منطق الاستعمار ـ إلى عامل تخلفه، فلا يفيد منه سوى المصدرون .

جدول رقم4 يبين قيمة الصادرات خلال السنوات : 1938 ـ 1949 ـ 1952 :

القيمة بملايين الفرنكات عام/1938

المواد المصدرة	1938	1949	1952
الخمور	2676	1472	1929
الحديد	317	301	355
الحمضيات	140	390	512
التبغ	118	137	130
الفلين	67	62	52
الحلفاء	75	84	37
البطاطا	103	94	131

ـ بن آشنهو : مصدر سابق ، ص340

ولهذا فند باعزيز دعوى المجلس الجزائري بفائدة الإصدار للجزائر، على أنه يُراد به إلحاق النفع بفئة خاصة أمسكت بمقاليد الاقتصاد الجزائري كله، فهي

---

1 صاري، وقداش : مصدر سابق ، ص173.

2ـ باعزيز : " الاقتصاد الجزائري والاصدار" ، البصائر ، ص2 .

تشفق من تدهوره أن يصيبها في مصالحها، وهي طبقة تشرف على اقتصاد البلاد وصادراتها وواردتها، وتتصرف فيها وفقا لمنافعها، فتتوفر لهذه الجماعة الأرستقراطية الثروة، مع حرصها -- أي هذه الطبقة- على استبقاء جهل الجماهير، وحرمانها من التفكير الصحيح، والعرفان الشامل الذي يمكنها من نيل ثمرات أعمالها، ويقفها على ما يتجدد ويجري في محيطها(1)، فأول الطريق لخروج الجماهيرمن هذا الوضع المزري أن تعي ما تعانيه، بتثقيفها وتعليمها، وكيف تنال ثمرات أعمالها وحقوقها، مستوعبة ما يدور في محيطها، حتى تقدّر الأمور حق قدرها، و تعدلها نحو الوجهة الصحيحة عن بينة واقتدار.

وهذا الفكر من طبيعة الرسالة الإصلاحية التي حملها قلمه متصديا لمعالجة مختلف القضايا برؤية تعد التغيير الداخلي في النفس والفكر، أصل التغيير المثمر.إن إدراك باعزيز لهذا الوضع الاقتصادي، وإن خلا من لغة الأرقام والإحصاء، لا يختلف عما سجله المختصون بعده، إذ قاربه بلغتين هما لغة الاحتجاج الصارخ وهي إحدى سمات الخطاب الإصلاحي، ولغة الإشارات الإرشادية الإصلاحية، نحو ما به قوام التغيير.

المطلب الرابع : من آثار التحديث في ظل الاستعمار: بات من المسلمات أن أكثر الشعارات تضليلا، تلك التي ادعى فيها الاستعمار تحضير المجتمعات التي استعمرها، فقد تضافرت أدلة الواقع على تفنيد ادعائه، فكانت مظاهر التحديث ووسائله تخدمه ومصالحه، وغالبا ما تنعكس سلبا على أوضاع وأحوال الشعب المستعمر، وهذا ما تفطن له باعزيز بن عمر بصدد تحليله لأسباب البطالة في صفوف الجزائريين، فعدّ منها استعمال الآلات الحديثة، فقال : إن المتحدثين عن البطالة وفقد العمل نسوا الإشارة إلى أن من بواعثها الأولى عندنا الاستغناء عن الأيدي العاملة بما يؤدي وظيفتها من الآلات المستوردة، واستغلال جهوده بأجر ضئيل من المستغلين(2)، فمُحدثوا زراعتهم – خصوصا – لم يكن يعنيهم من

---

1 ــ باعزيز : مصدر سابق، ص2 .

2 ــ باعزيز : " اليد العاملة مهددة بانتشار الماكينات والآلات " ، **البصائر** ،ع: 304، 1955/2/4، ص3 .

الأمر سوى وفرة إنتاجهم، وأرباحهم التي يجنونها من ورائه .

جدول رقم5 يبين دور المكننة في تقليص اليد العاملة : فقبل الحرب العالمية الثانية عرفت زراعة الحبوب حركة واسعة من المكننة ، كما نرى في الجدول الآتي : تطور عدد الالات

السنة	1930	1936	1947	1950	1955	1958	1960
حصادات دراسات	440	446	1200	1900	3700	4350	4650
جرارات ذات دواليب	5334	4339	5900	12300	12654	17600	23000
جرارات مجنزرة					7860	8600	8900

هذه المكننة كماهو الحال في زراعة الكرمة ، كانت نتيجة سياسة القروض الوفيرة للزراعيين . والهدف الأساس لهذه السياسة تخفيف تكلفة اليد العاملة بالوحدة المنتجة دون أن يؤدي ذلك إلى تزايد كبير في المردود .

ـ بن أشنهو ، عبد اللطيف : مصدر سابق ، ص312.

وللتخفيف من آثارها السلبية على الأيدي العاملة، اقترح إصدار التشريعات الاجتماعية العادلة الحامية لمصالح العمال، والتي تراعي تخفيف ضغط الإنتاج الآلي على اليد العاملة، كما هو الأمر في ما تنادى به نقابات العمال في العالم ([1]).

ولم يبين لنا طبيعة هذه الإجراءات التشريعية الاجتماعية، أهي لاستعمال الآلات في اعتدال ؟ أم تعويض المسرّحين من العمال بالمال، وتمكينهم من منح البطالة التي يجبرون عليها ؟ قد يكون هذا الأخير مقصده فيما ذهب إليه، لكن لا نعتقد أنه فاته، بأن ذلك يحصل في الديمقراطيات الاجتماعية التي يعد فيها العمال مواطنون لا أهالي وأقنان، وهو ما يلمح به في قوله: أما أرباب العمل عندنا فربما فكروا يوما في إنسان آلي حتى يتخلصوا من كل إنسان يشعر ويحس([2]).وهو قول قريب من الحقيقة، إذ توسع استعمال الآلة في الزراعة- مثلا- إلى أبعد حد مطلوب بعد 1948، فكانت كل حصّادة تغني عن نحو 100 عامل([3]).

---

1 ـ باعزيز : " اليد العاملة مهددة بانتشار الماكينات والآلات"، مصدر سابق .

2ـ المصدر نفسه . .

3ـ آجرون : مصدر سابق ، ص126

على قلة القضايا الاقتصادية التي تصدى لها باعزيز بن عمر، فقد أكدت لنا مقاربته لها من موقع الكاتب الإصلاحي، الملتزم بخط النضال الثقافي لتوعية الشعب على أنه أحد شروط الإصلاح والتغيير. ومواجهة الاستعمار بفضح أعماله وأساليبه الاقتصادية الرأسمالية المتوحشة"، إثر مسار سيطر فيه رأس المال الاقتصاد الأوروبي بشكل عام باقتصاد (سوقشعبي) (بازاري) التوجه" (1) . هذا النضال وإن علت فيه لهجة الإنكار والإدانة للمستعمر، فإنه كان مناسبا للسياق الذي'كتب فيه، كونه محتوى ضمن مقالات صحفية جمهورها عموم القراء، وأكثرهم محدود المستوى الثقافي، والاستعمار يمارس الاستفزاز القولي والفعلي، وأمد ظلامه طال على الأمة، فكان لابد من هذه اللهجة المثيرة. كما سجل باعزيز بن عمر لحركة الإصلاح والعلماء اهتماماهم بالقضايا المادية الاقتصادية التي صنعت الواقع المعيشي والاجتماعي.

أما نقطة الضعف الرئيسة في هذا التفكير – كما سبق القول – هي انعدام ما يشير إلى ترسم مذهب أو نظرية اقتصادية، يُنمّى المجتمع بمقتضاها، ولو كان ذلك إثر خروج الاستعمار. وكم كان من المفيد المناسب تحليل السلوكات السلبية المنافية للعمل والجد واللإنتاج، التي استشرت في المجتمع، كالتواكل، والرضا بالاستعباد، والخمول، وقلة الاكتراث بالعمل، وغيرها من النقائص والمعوقات الاقتصادية الكامنة بالنفوس، فكفّتها عن الفعالية، شرط التغيير الحضاري الحقيقي.ألأنّ " المعنى الاقتصادي لم يظفر في ضمير العالم الإسلامي بالنمو نفسه الذي ظفر به في الغرب " ؟(2) ، أم أن الشعور الخفي بأن بناء اقتصاد وطني على أسس فلسفية لنظرية اقتصادية، سيحمله الاستقلال للبلاد ؟ لهذا كان التفكير في المسألة ضرورة لا يبدو أن مترجمنا تنبه لها، ولو من باب الإشارة إليها، حتى إذا سلمنا بتواضع ثقافته التي لا تؤهله لخوض غمار هذا المجال، مع ملاحظة أن

1ـ إدوارد ، سعيد : مصدر سابق ، ص232.

2 ـ بن نبي ، مالك :**المسلم في عالم الإقتصاد** ، ط3؛ بيروت ـ لبنان،دمشق ـ سورية : دار الفكر المعاصر،دار الفكر، 1420هـ2000م.ص16.

الاستعمار منع فرص تكوين ثقافة وطنية عالية المستوى، تسمح بتخرج جيل من المفكرين يستطيعون إثر الاستقلال السيطرة العلمية على شتى المجالات العلمية والفلسفية، والاقتصادية، والحضارية ([1])

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

1 ــ شريط ،عبد الله : **المشكلة الأيديولوجية** ، ص30.

المبـــحث الثـــاني

فكـــر باعزيـــز الاجتمـــاعي

المطلب الأول : مفهوم الحياة الاجتماعية

أدرك باعزيز بن عمر –وهو الكاتب الإصلاحي، وليس بالباحث الاجتماعي – الحاجة المنهجية لتحديد مفهوم الحياة الاجتماعيـــة، فقـــال : " نقصـــد بالحيـــاة الاجتماعية مظاهر القوة أو الضعف الشاملة في الأمة من آداب قائمـــة، وأخـــلاق فاضلة ثابتة، وتقاليد جارية، ومعاملات مســـتمرة، وشـــعور حـــي فـــي الأفـــراد والجماعات"([1])، فهولا يعنيه –هنا– كيف نشأ المجتمع الـــذي صـــارت لـــه حيـــاة ومظاهر تعبر عن وجوده وخصائصه، وإنمـــا تعنيـــه المظـــاهر ذاتهـــا، علـــى تنوعها،وما يعتريها من تبدلات ومـــؤثرات فـــي الأخـــلاق والشـــعور الفـــردي والجماعي، هذه الأخيرة التي يمكن وصـــفها بـــالروح الاجتماعيـــة، التـــي لهـــا خصائصها المحددة التي إما أن يكون بها المجتمع أولا يكـــون، وأهمهـــا شـــعوره الجماعي وقراراته الذاتية ([2]) وهو في هذا منسجم مع وظيفته التي نذر لهـــا قلمـــه الإصلاحي، فلا يعنيه من الشأن الفلسفي أو علم الاجتماع إلا معلومات عامة تعينه في مقام الحجة والبرهان، وضبط مفهوم كما سيتضح لنا .

ويظهر القصد الإصلاحي من مقاربته الشأن الاجتماعي في بيـــان الحيـــاة الاجتماعية التي يريد، على أنها تلك التي يحياها حياة تتوحد بها الجهود، والقصود شاملة الرجل والمـــرأة، لكـــن لا نســـير إليهـــا إلا مـــن طريـــق ديننـــا فنحيـــي تعاليمه،وسننه([3]) فالرؤية بسيطة لكنها واضحة، فإصلاح المجتمع بإحياء تعـــاليم الدين، والامتثال لسننه بتوحيد الجـــهود والأهـــداف لدى الرجل والمرأة، والإشارة

1ـــ باعزيز : " في الحياة الاجتماعية " ، **الشهاب** ، ص7.

2ـــ بن نبي ، مالك : **مذكرات** ، ص168 ، 169.

3 ـــ باعزيز : " في الحياة الاجتماعية " ، **الشهاب** ، ص9

للوحدة الاجتماعية باعتبارها هدفا للإصلاح نتيجة للتفرق الذي ال إليه أمر المجتمع الجزائري آنذاك، وهو تصور مثالي للوحدة الاجتماعية التي تهمل فكرة التنوع الاجتماعي، في عصر أصبح يعتبره مصدر إثراء وتكامل للمجتمع، إذا ما اتفق أفراده وجماعاته على مبادئ ومصالح عليا، يلتزم بها الجميع، لكن حسبه عذرا أن شيئا من ذلك لم يكن واردا تصوره في ظل الاحتلال، وانقسام المجتمع إلى مجتمعين – كما رأينا – لكن الفكرة تكتسب الذكر، كلما امتدت صلاحيتها مع الزمن .

وتصوره للمجتمع القائم على مبادئ الإسلام التي تُشيع في أوصاله حرارة، العلاقات الإنسانية هو الذي أدى به إلى نقد الحياة الاجتماعية الأوروبية، فشبهه " بالآلات الميكانيكية، التي تركبت من أجزاء عديدة، وتألفت من آلات متنوعة تؤدي وظائفها تأدية منظمة، إذا عراها أدنى خلل أحدث فيها اضطرابا، وأفسد عصبها، وعرضها للتلف "([1]) . فرغم انتظامها الذي هو سر نجاحها الباهر، فإن أدنى خلل يعرضها لمخاطر التلف، والميكانيكية دلالة على المادية الطاغية على الحياة الاجتماعية الغربية، فكل ما فيها ينبغي تحويله إلى "مادة " و"شيء" حتى يتأتى تسييره والتحكم فيه بقوانين كما الآلة تماما، مما أدى بالناس هناك إلى قضاء "معظم حياتهم في بيئة متكيفة بالتكنولوجيا، بل مصنوعة منها كلية، في أغلب الأحيان، لذلك فإن أهم العوامل المزعجة في الحياة العصرية، مردّها إلى أن صلات الإنسان ببقية المخلوقات، مشوهة دائما بالأساليب الاصطناعية، في الوقت الذي بقيت فيه حواس الإنسان، ومشاعره الأساسية نفسها " ([2]) .

ونتيجة للضمور والتشوه الذين انتهت إليهما كثير من قيم الإسلام، ومبادئه الاجتماعية في واقع المسلمين، تناول باعزيز بعضها بالتوضيح والتصحيح، كي

---

1 ــ باعزيز : " الرقي الاجتماعي وحظنا منه " ،**البصائر** 86 ، 21/2/ 1949، ص2 .

2 ــ رينيه، دوبو : **إنسانية الإنسان** ،ترجمة نبيل صبحي الطويل ، .ط2،ترجمة نبيل صبحي الطويل، بيروت ــ لبنان:مؤسسة الرسالة،1404هـ 1984م،ص49،48 .

يستقيم عليها الفكر، وينسجم معها الفعل الاجتماعي الفعال، من ذلك المفهوم الواسع والحقيقي للعمل في الإسلام، يقول : " إن القرآن الكريم ما ذكر الإيمان إلا وكان في الأغلب مقرونا بالعمل الصالح، والعمل الصالح ليس في العبادات فحسب، بل يتناول كل مقومات الحياة، وكل ما يصعد بالإنسانية إلى أوج الكمال، ويعود بالنفع على المجتمع الإنساني العام، فالعناية — مثلا — بقواعد الزراعة، وفن الفلاحة، واستخراج ما في الأرض من كنوز وخيرات، والضرب في مناكبها طولا وعرضا للاكتساب والإطلاع على أحوال الأمم الراقية، كل ذلك من الأعمال الصالحة التي يجب أن تقترن بالإيمان كما يدعو إلى ذلك القرآن "([1]) ،يمتاز هذا المفهوم بالتصور الحضاري الواسع للعمل، فيجسد الوظيفة الحضارية للمسلم (فردا أو جماعة) في هذه الحياة، وفق عقيدة استخلاف الإنسان في الأرض، شرطا العمل فيها بعد الإيمان : الصلاح والمشروعية ، يستوي في هذا ما كان عبادة بالمعنى الفقهي الاصطلاحي مع ما هو معاملة بالمعنى نفسه، وكلاهما عبادة إذا جاء وفقا للشرطين المطلوبين . وعليه يتحول طلب الفنون والعلوم التي بها قوام الحياة الفردية والاجتماعية ، أي بناء الحضارة الإنسانية، أعمال عبادة يُثاب فاعلوها، ويحاسب عن تركها المجتمع إن فرط في تحقيقها وفي أسبابها؛ لأنها فروض كفاية. وقد أدركت العقول السوية أن أساس التقدم، ومصدر التفاؤل بالمستقبل، يكمنان في العمل الاجتماعي والاقتصادي ([2]) .

وللتقدم الاجتماعي أصول يقوم عليها في الإسلام، عُني ببيانها باعزيز على نحو ما نترجمه في المخطط الآتي :

---

1 — باعزيز : " الإسلام في ديمقراطيته "، البصائر، ع: 84 ، ص2 .

2— مؤنس حسين : مصدر سابق ص310 .

مخطط رقم 1

يبين أصول النظم الإسلامية الاجتماعية (مرتكزات المدنية الإسلامية الديموقراطية)

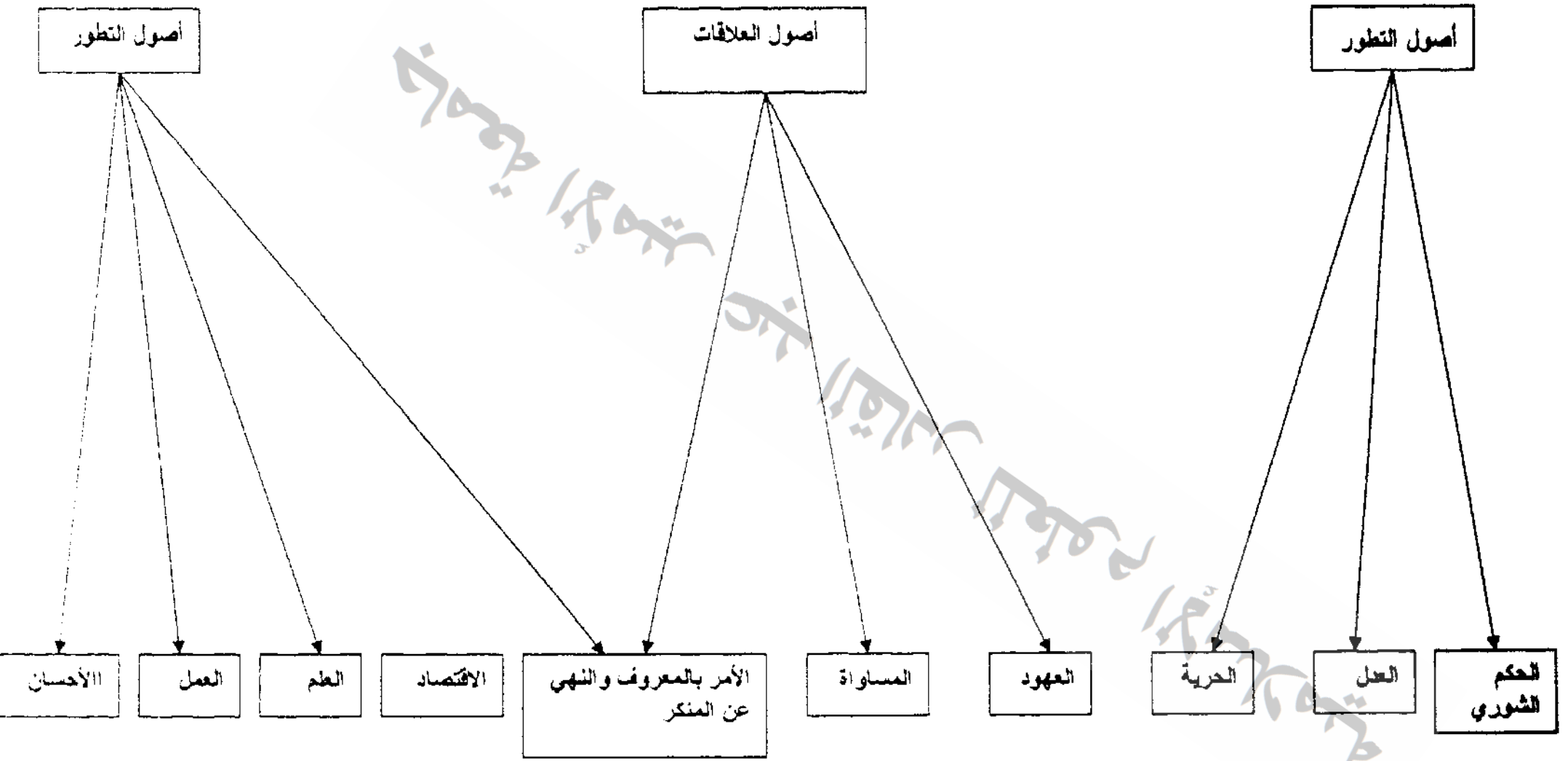

المصدر باعزيز:" الإسلام في ديمقراطيته ونظمه الاجتماعية "، البصائر، ع :48

وهذا مما يدل على إدراك واضح لأصول الإسلام في بناء النظام الاجتماعي، الذي يميز حضارته عن غيرها، وبما أن المجتمع المنشود من قبله – كما سلف القول – يقوم على أسس دينية، فهو الذي يجسد في أنظمته السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية الأصول المذكورة، وبالتالي فقد كان يتطلع من خلال جهوده الإصلاحية إلى إعادة بناء مجتمع إسلامي .

هذا المجتمع الذي يتميز – من بين ما يتميز به– في الجانب الاجتماعي نظام الزكاة، إذ أن توزيع الأموال وفقا للنظام الإسلامي يرضى الفقير، ولا يسخط الغني، فتنتفي أسباب الاضطراب، والقلق الاجتماعي الذي صحب النظم الديمقراطية الرأسمالية الحديثة (1). ومعلوم أن هذا التشريع العظيم هو أفضل حل لمعظلة توزيع الأموال التي حار في فكها الفكر الإنساني من خلال أنظمته الاقتصادية، والسياسية، فتارة يحلق في (يتوبيا) مجنحة ومدينة فاضلة، وأخرى ينزع لفردية جامحة، وثالثة لجماعية مفرط وهكذا، فالإسلام يكره الفوارق بين أفراد الأمة إلى الحد الذي تعيش فيها جماعة في مستوى الترف، وأخرى في مستوى الشظف والحرمان والجوع، فوراء هذه الفوارق أحقاد وأضغان تحطم أركان المجتمع (2) .

وكي تبلغ الجماعة مستوى الرقي الاجتماعي الحقيقي، فلا بد من أن تُمكن كل فرد فيها – صغيرا أو كبيرا – من حقوقه، فيجد الوسائل اللازمة لحماية حقوقه الاجتماعية وتمكينه منها، وإذا انعدمت هذه الوسائل انعدم المجتمع الصالح وانحل أفراده في كل مظاهرها الخاصة والعامة(3) .

ودون تبيين لهذه الوسائل، فمن الواضح أنه يقصد بها الأنظمة التشريعية

1ـ باعزيز : المصدر نفسه ، ص2 .

2ـ قطب ، سيد : **العدالة الاجتماعية في الإسلام** ، ط7،القاهرة ـ بيروت:دار الشروق،1401هـ ـ 1981م.ص 152.

3ـ باعزيز:" مشكلة البطالة في الجزائر" ، **البصائر**،ع: 277 ، 1954/7/2، ص3

ـ لاحظنا حذف اسم كاتب المقال ، لكن نرجح أن يكون هو باعزيز بن عمر ، نظرا لوروده ضمن باب " في مجتمعنا الجديد " الذي استأثر به قلمه ، ولتطابق أسلوب المقال ، وأفكاره ، ومنهجية الطرح ، مع أسلوب ، وأفكار ، ومنهجية باعزيز .

الحديثة للعمل، والنقابات، والعدالة، والصحافة، التي بفضلها تحسنت الأوضاع المادية والاجتماعية للأفراد في المجتمعات المتمدنة، بل هي إحدى أهم أسباب تطورها .

لكن باعزيز لا يستقر على هذا المقياس وحده، بل يعد الإحسان هو المقياس الأوحد لرقي المجتمع، فيقول :" يصح أن يُعتبر [الإحسان] المقياس الأوحد لرقي المجتمع، وتقدمه في ميادين الخير والتعاون . وقد امتازت العصور الإسلامية الغابرة بوجود محسنين كانوا المثال الأعلى للإحسان العام، ويتجلى ذلك فيما تركوه من أوقاف وحُبس، كان لها الفضل الأكبر في محاربة الفاقة ونشر العلم والدين والفضيلة. ومن مزايا العصر الحاضر أن ترى عاطفة الإحسان تقدمت فظهرت في شكل منظم، وذلك بتأسيس جمعيات منظمة لتعميمه، وإيصاله لمستحقيه من ذوي الفاقة والمعوزين" (1) *، ذلك أن النظام الاجتماعي الحقيقي هو الذي يقوم على أساس أخلاقي (2) .

وما يبدو تناقضا في موقف باعزيز من اعتبار مقياسين مختلفين كل منهما هو الأوحد في قياس درجة الرقي التي بلغها المجتمع، يمكن عند التأمل رفعه وإزالته، إذ الأول وهو تمكين الأفراد من حقوقهم بواسطة الضمانات التي أقرها المجتمع لهم من خلال المؤسسات والوسائل الآنفة الذكر، يدل على مبلغ الرقي السياسي والتشريعي والإعلامي، ويأخذ فيه نيل الحقوق طابع الإلزام، بينما الثاني وهو الإحسان الذي تبذله المؤسسات الاجتماعية (المدنية والخيرية)، فيدل على رقي المجتمع في حسه المدني والخيري الاجتماعي، ولا يتحقق المجتمع المتحضر

---

1 ــ باعزيز : " الإسلام في ديمقراطيته ونظمه الاجتماعية"، **البصائر** 84 ، ص2 .

* في الولايات المتحدة الأمريكية مليون ونص مليون جمعية خيرية ، تنفق حوالي 212 مليار دولار أمريكي على مشاريع خيرية ، وفي أوروبا نصف مليون جمعية خيرية ، وتنفق الدولة العبرية من دخلها الوطني نسبة 60 % من نفقات الجمعيات الخيرية التي يبلغ رأسمالها 11 مليار دولار .

-المصدر/ قناة الجزيرة ، برنامج بلا حدود : 2005/1/26 قارن هذا بأوضاع الجمعيات الخيرية في العالم الإسلامي

2 ــ بن نبي ، مالك : مذكرات (الطالب) ، ص148.

إلا بتكامل جهود وإنجازات الترقي من الجهتين : السياسية الرسمية والمدنية الاجتماعية .

ومتابعة لمقاييس الرقي والتمدن، يسلك باعزيز إتقان العمل وتحسينه بالتتابع والاستمرار في التطلع للإجادة فوق الإجادة والإحسان فوق الإحسان، ضمن معايير وسمات المجتمع المتمدن الراقي؛ " والعمل الذي يدعو إليه الإسلام هو الذي يعود بالنفع على صاحبه وذويه ومجتمعه، ولا يكون كذلك إلا إذا كان يتعهده بالإتقان، وإدخال التحسين عليه متى اقتضى الوقت ذلك؛ لأن من طبيعة الإنسان الراقي أن ينتقل من حسن إلى أحسن مسايرة للزمن والمكان، وجريا على سنة الاجتماع البشري، والرقي عند علماء الاجتماع هو الحركة إلى الإمام في طريق العلم والعمل، وإذا وقف الإنسان عن السير نحو الإمام وعجز عن إصلاح مابين يديه من العمل، والصناعات على اختلاف أنواعها، فقد قضى على نفسه بالرجوع إلى الوراء، واستتبع ذلك فناءه وتعطيل مواهبه، والعامل المُجدّ المتقن لعمله وصناعته هو الذي يجعل العالم يسير نحو التقدم والحضارة، وهو الذي يرفه الإنسانية، ويهيئ لها أسباب السعادة "(1)، فهو – إذن – يشترط للتطور – وفقا لنظرة اجتماعية – الحركة قُدما للأمام نحو العلم والعمل، وأن العجز والوقوف بالجودة عند حدود لا تتعداها، إرتكاس إلى عطلة المواهب، وتدهور العمران، وتواضع أو رداءة الإنجاز، مما ينجم عنه الخروج من الحضارة إلى التخلف، فالحالة الأولى تصنع للإنسان سعادته، والأخرى ترديه في الشقاء.

ومما يدل على قيمة هذا المعيار كل من دليل النقل والتجربة، "فالإحسان في العمل ليس نافلة أو فضلا أو أمرا هامشيا في نظر الإسلام، بل هو فريضة دينية مكتوبة على المسلم... قال صلّى الله عليه وسلم :"إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه* "(2).

---

1 ــ باعزيز : "الإسلام في ديمقراطيته ونظمه الاجتماعية"، البصائر 84، ص2.

* رواه البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة، وحسنه في صحيح الجامع الصغير

2ــ القرضاوي ، يوسف : دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ، ط1؛القاهرة ــ بيروت:مؤسسة الرسالة،1422هـ ــ 2002،ص158،159.

أما التجربة فمعلوم بأن من أكثر عوامل نجاح المنتجات الحضارية المعاصرة، ما تأتى عليه من جودة وإتقان يبلغان حد الدهشة والإبهار.

لكن هذا التنظير والتطلع لمجتمع إسلامي متحضر لم يصرفاه عن الواقع الاجتماعي القائم، ذاك الواقع الذي صنعه الاستعمار، كما تبين لنا من الحديث عن الحالة الاجتماعية. فالمجتمع الجزائري مكوّن من بيئتين " إسلامية وأوروبية، لكل طابعها الاجتماعي الخاص، ولما كانت الثانية بيدها الحل والعقد والتشريع، وسائر التأثير في الأولى، كان لها من السلطان على حياتنا الاجتماعية ما نشاهد أثره في أوساطنا باديا ملموسا، نشاهده في البيت، وفي الشارع وفي مظاهر الحياة العامة، مشاهدة مخجلة مؤلمة في وقت واحد" ([1])، في النص الأول يشير إلى التغيير الذي طال المجتمع في مظاهره الاجتماعية وأخلاقه وعوائده، وهو تغير إرادي حتى إن حدث بقوة قانون المغلوب مولع بتقليد الغالب، الذي لا يخلو من دلالة القهر، إلا أن حالة الانهزام النفسي والحضاري التي يبدو عليها المجتمع، تفضي به إلى حالات من التقمص الوجداني وانعطاف صوب سلوكيات الأقوى، وقيمه خاصة ما كان منها منحطا وسلبيا، فعوامل المقاومة النفسية والحضارية في هذه المرحلة - عموما - تكون ضعيفة جدا أو معدومة.

وقوله : " هما وجهان متباينان أشد التباين : أحدهما الوجه الأوروبي الذي توفرت له وسائل التجميل والتنعيم، تراه فتقرأ عليه أن الجزائر كلها تخدمه، وتبعد عنه كل ما يشوه جماله، ويعطل ماء الحياة فلا يترقرق على صفحاته، وثانيهما هذا الوجه الأهلي، وهو كذلك جميل بطبيعته، وربما فاق الأول جمالا ونضرة، ولكنه شاحب توالت عليه الندوب، وهدته الخطوب، فسلبته رونقه وجماله ... فلا تقرأ عليه إلا الهمّ والبؤس المقيم، والشقاء الدفين ... والذي ينظر إلى الجزائر، يرى الوجهين متقابلين، لا يفصل بينهما فاصل، يصور أحدهما الجزائر الأهلية البائسة،

---

1 ــ باعزيز :" شبابنا واستقبال رمضان "، البصائر، ع:191 ، 1949/7/4، ص5 .

ويصور الآخر الجزائر الأوروبية المنعمة، وهي ترفل في ثوب قشيب من الحضارة الغربية " (1)، أما التغير الذي طرأ على المجتمع في هذه الحال، فهو تغير قهري في مظاهر أفراده الفيزيولوجية، مجسدين عمق المأساة التي أحدثها الاستعمار بسياساته الاجتماعية والاقتصادية .

وبما أن تلك الأوضاع لم تكن تخضع لأي قانون في التطور الاجتماعي والاقتصادي، سوى القانون الذي فرضته سيطرة الشرذمة الاستعمارية المستبدة، فقد استقر أمرها على مقاومة أي محاولة لتعديل الوضع وتغييره، فيؤدى ذلك إلى إدامة فساد الحياة الاجتماعية لتعارض مصالح الحاكمين والمحكومين، يقول باعزيز : " في إرادة التغيير الاجتماعي الذي يمس الوضع القائم المتسم بسيطرة طبقة حاكمة مستأثرة بالحقوق على اختلافها دون باقي أفراد الشعب، ما يوحي لها بسيادة الفوضى الاجتماعية، وانتقال أسباب القوة لغير أهلها من الدهماء والرعاع، فتعارض تلك الطبقة هذه الإرادة، وباختلاف هذه المصالح بين الحاكمين والمحكومين إلى حد كبير تفسد الحياة الاجتماعية، وتسود كل المآسي : التخلف، الفوضى، الشر، الظلم، الفقر، الإحباط، الإذلال "(2). ونشهد اطراد هذا القانون الاجتماعي، كلما توفرت شروط إنتاجه، من استئثار فئة بالأمر السياسي والقوة المالية، دون الأغلبية التي يراد لها أن تبقى في حضيض العبودية والطاعة بهذا – أيضا– تصبح الأنانية وحب الاستئثار دافعان للتفاوت الاقتصادي في المجتمع، ومنبع الأحقاد بين الفقراء والأغنياء، وبسبب حرمان الكثير منهم ثمرات أعمالهم، بالصورة التي ترضي مطالب الإنسان العادلة (3) .

وإزاء هذا يقدر باعزيز للتربية الدينية والاجتماعية دورا تلعبانه، إذ تمكنان الإنسان من توسيع دائرة عطفه والسمو بتفكيره، وتحول بينه وبين النظرة

---

1 ــ باعزيز : "الرقي الاجتماعي وحظنا منه" . **البصائر**، ع:68، 1949/2/21، ص2 .

2 ــ باعزيز : " هل تنال الجزائر شيئا من هذا؟"، **البصائر**، ع: 70، ص6،7 .

3 ــ باعزيز : " هل تريد البلدية الجزائرية أن تمنع التسول؟ " ، **البصائر**،ع: 82 ، 1949/6/6،ص1 .

الفردية، والتفكير الطائفي، والتعصب العنصري، يعيش الناس في مجتمع متضامن متحاب([1]) . لكن التجربة الإنسانية دلت في أغلب أدوارها التاريخية على ضرورة قوة السلطان (خاصة القانون منه في عصرنا الحاضر) لإقرار الحقوق، وتمكين أصحابها منها، ويبقى للتربية الدينية والاجتماعية دور التهذيب، وتحريك الوازع الديني، والعواطف الإنسانية في النفوس، للتضامن والتكافل الاجتماعي، فقوة السلطان في الترقي الاجتماعي لامناص منها في الإسلام، فمن المعلوم أن الحاكم بقوة القانون/ الشرع ينتزع ما للفقراء من حقوق في أموال الأغنياء إن امتنعوا عن أدائها.

أما ما اعترى المجتمع الإسلامي المعاصر من انحطاط أخلاقي، وشاع فيه من انحراف، فسببه في نظر باعزيز الاستعمار " إن بلاد الإسلام ما تسربت إليها هذه الآفات الاجتماعية التي أقلقت الغرب [يعني المسكرات]، إلا من طريق الاستعمار الغربي الذي مانفك يحارب كل دين صحيح بوسائل حذقها حتى لا يبقى منه إلا مظاهر صورية يصرفها حسب أهوائه وأطماعه "([2]). والمجتمع الإسلامي قد عرف السكر والسكارى في أكثر عهوده، لكن شيوعه وتحوله إلى آفة اجتماعية كان واحدة من نتائج الاستعمار الفضيعة، فقد كان كلما وضع " الترتيبات اللازمة لإفقار المستعمر – ماديا – فإنه يتبعها بالترتيبات الخاصة بتلوثه الأخلاقي، ليزيد الإفقار والتلوث معا في اتساع الهوة التي يجعلها أمام القاصر [المقصود الشعب المستعمر، فهكذا كان في عرف الاستعمار] حتى لا يستطيع بلوغ رشده أبدا "([3]) . وبالتالي يتأهل المجتمع إلى حالة من القحط الأخلاقي، والانحطاط الاجتماعي، قد يبلغ بالإنسان إلى النزول إلى هوة اليأس السحيقة ([4]).

---

1 ــ المصدر نفسه .

2 ــ باعزيز : " مقاومة آفة الكحول أو المشروبات الكحولية"،**البصائر**، ع:294 ، 1954/11/2 ص7.

3 ــ بن نبي ، مالك : **في مهب المعركة** ، ط1،بيروت ــ لبنان،دمشق ــ سورية : دار الفكر المعاصر،دار الفكر، 1420هـ-2000م،ص44 .

4 ــ باعزيز : " بعض آثار الجهل فسي مجتمعنا " ، **الشهاب** ج3 ، م11 ، ص163 .

وقد مارس الاستعمار الفرنسي دوره هذا ببراعة وخبث بالغين، فاستحق وصف باعزيز له بقوله : " فإذا وصف الاستعمار واصف في الدنيا، وتعقب ألوان سياسته ما ظهر منها، وما بطن في بلاد الله، والتمس الأشباه والنظائر، فإنه في الجزائر حيث ينطوي كالحية على كل شيء، يصف نفسه للحافي والمنتعل بأعماله، وهي أبلغ وصف يريك خوافيه وقوادمه معا أنّى يطير ويقع " (1) .

وتقصيا لطبائع الاستعمار، سجل له – أيضا– "الإنجازات الاجتماعية، والحضارية" التالية :

ـ النزعة الاستعمارية محبطة مشاريع الخير " فهي لا تعدم أن تجد في ثنايا كل اقتراح أو قرار منفذا لأنانية، أو إرضاء لشهوة فتقف عند ذلك، لأن كل عمل إنساني يحتمل لديها تفسيرات مختلفة، وتأويلات متنوعة إلى أن يموت المشروع وكل اقتراح يتصل به موتا لا نشور بعده (2) . وتلك طبيعة الشر لا يستقر له أمر،ولا يرتاح له بال إلا إذا هزم الخير، فكيف إذا كان يملك أمره، فلا سبيل لتحقيقه في الواقع إلا إذا أذن له الشر ؟

ـ أعمال الاستعمار تكذب دعايته، وأقواله في المجال الاجتماعي، إذ تعتبر الدعاية الصحفية الاستعمارية الجزائر أرقى أقطار الشمال الإفريقي، لما أنجز فيها – بفضل الرسالة التمدينية التي جاء بها الاستعمار يحملها لهذه الربوع – من مشاريع الإصلاح الاجتماعي، والتجهيز الصناعي، والتطور الثقافي وهي دعاية توهم أنها أصبحت نموذجا للمدينة الفاضلة لكن الاستعمار ما حاول الخروج عن طبيعته، بغير مظهره إلا ردته جبلته إلى أصله، فبدا كما هو لا يستره شيء مما يذكره، وتخلعه دعايته وأبواقه عليه، ومما يجلو هذه الحقيقة تصريحات الوالي العام(السابق) في التنويه بالمشاريع المزعومة التي إذا تمت فلا تنال إلا العنصر المتفوق [الأوروبي] القابض على زمام الأمور فيها، أما الجزائري الذي شارك

---

1 ـ باعزيز : " التأمين الاجتماعي في الجزائر" ، البصائر ،ع: 77، 1949/4/24، ص2 .

2 ـ باعزيز : " هل تريد البلدية الجزائرية أن تمنع التسول؟ " ، البصائر ، 82،

في إقامتها بأوفر جهوده فلم يجن من ثمراتها إلا ما هو كزاد عابر ([1]). ولطالما تغنى الاستعمار بدوره ورسالته الحضارية، التي حملها لهذا المجتمع، ولكن صوت الواقع كان أوضح وأعلى بكشف الحقيقة واقعيا، وأدائها عبر سطور التاريخ .

ـ إدانة المستعمر من منطقه؛ لأن فحوى الدعوى يقضي بأن يقوم الاستعمار بإصلاح اجتماعي يحارب البرد، والفقر، والبطالة، والجهل، ويمكّن العاملين من الانتفاع بثمرات أعمالهم، ويدخل على حياة الفلاحين الأهالي شيئا من التحسين يروضهم على ما جد عند الأمم الأخرى من طرق الزراعة، والفلاحة الحديثة، والوسائل التي توفر على الفلاح بعض الوقت، فيشعر بلذّات الحياة التي يشعر بها أمثاله في المجتمعات الراقية، ولكن هذا ما لا يعمل له الاستعمار مادام يسمى نفسه استعمارا، ذلك أن الفلاح الأهلي إذا ارتقى في المستعمرات حدث انسجام في الحياة الاجتماعية العامة، فتم التقارب بين الطبقات، وضعف التفوق العنصري، وحصلت المساواة المنشودة، وتعلم الجاهل، فقاوم قسوة الجو شتاء وصيفا، واحتاط للقوى الطبيعية عن علم وبصيرة ([2])، لكن ليس من طبيعة الاستعمار الخروج عن طباعه، ليبدو للناس في صورة غير ما ألفوه عليها، وقد أدى دوره في عرقلة النهوض الحضاري بكل ما أوتي من قوة .

ـ يدل على ذلك تاريخ النهضات " الاجتماعية في العصر الحديث قد أثبت أن أول ما اصطدمت به كان مناهضة الاستعمار الأجنبي أو الإقطاعي لها، فلولا ما صرفته من الوقت وقدمته من التضحيات في سبيل مقاومته، وإزالته من الطريق لكانت قد بلغت أوج الرقي الاجتماعي قبل اليوم بكثير، فثبت أنه هو المسؤول عن تأخرها وانحطاطها وتعطيلها عن المساهمة في بناء صرح المدنية الحديثة، وإن كان يدعى ويكثر من الادعاء أن رسالته التي يعمل على نشرها في الآفاق هي التمدين والتهذيب "([3])، وهي نتيجة أصبحت الآن من المسلمات، إلا أنها

---

1 ـ باعزيز : " مشكلة التسول في الجزائر "، **البصائر**،ع: 219، 72/2/ 1953، ص1 .

2 ـ باعزيز : الشتاء في الجزائر : "، **البصائر**،ع: 66 ، 1949/2/7، ص2 .

3 ـ باعزيز : " الأرقام الناطقة " ، **البصائر** ،ع: 306 ، 1955/2/18،ص3 .

تكتسب قوة بما تفيدنا به من كون الدعوات التي يحملها الغرب إلينا بالحرية، والإصلاح والانفتاح، والعولمة وغيرها، ينبغي التعامل معها بحذر، وعلى ضوء تجربتنا التاريخية معه، وأن أفضل طريق للإصلاح أن ينبع من ذاتيتنا وخصائصنا الحضارية، دون تنافي هذا مع الاستفادة القصوى من حضارته، لكن من موقع الواعي باختياراته، ومنهجه .

ورغم أن معظم إثم تخلفنا الحضاري باء به الاستعمار – كما يتضح من كلام باعزيز – فإنه لا يبريء فصائل من الأمة مما لحقها من هوان التخلف، والجمود، والصد عن الحق، والنهوض، والاستنارة العقلية والعلمية، فكان خطر المثبطين للعزائم شرا مستطيرا على الأمة، فهم من سكنت الأوهام والأباطيل نفوسهم، فأخذوا يتهمون المناضل بالسعي وراء الشهرة، والمصلح وراء المغنم، والمتعلم المعلم بالتطلع للوظيفة، وهم ممن مات وجدانهم فلا إباء لهم ولا وطنية لهم، فلا يفيد فيهم شيء، وهم – أيضا – كالدُمل في جسم الأمة فلا تقدم ولا عز ولا راحة، ولا اتحاد لمن زرع فيها، فقد سكروا بخمرة الجهل والضلال حتى أصبحوا ضررا على البلاد، وخطرا على الهيئة الاجتماعية، يعكرون كل صاف، ويشتغلون ضد ما سعت إليه كل أمة حرة أبية، وبسعيهم ذلك جمدت الأذهان، وسكنت المدارك، فأصبحت العقول في سجن مظلم لاترى النور، وينفذ إليها هواء(1) . وقد عرفنا من مسالك الطرقيين، دورهم المُعوق للنهوض الحضاري، الذي كانت تعمل حركة الإصلاح على تأهيل الشعب له .

وينضم إلى هذا العامل الآثار الاجتماعية الناجمة عن الجهل بالإسلام، وهي: ظهور المنكر دون تغيير ــ التعارف في الرخاء والتناكر في الشدة ــ القول في نفسك وفي غيرك ما لا تعلم ــ أن تُدعى للمشاركة في الخير وتأييد أهله فلا تجيب بل تصد غيرك عنه، انتقاما من الداعي إليه ــ تعاون الأفراد واختلاف الجمعيات ــ بناء القصور للأموات ولا تبنى البيوت للأحياء، والمدارس للأبناء

1ــ باعزيز : " المثبطون للعزائم " . **الشهاب** ، م11ج6 ، ص675،676.

ـــ جهل الزوجين كل منهما بحقوق الآخر ـــ تقديم المصلحة الخاصة عن العامة[1].

إن هذه العوامل الداخلية لا تقل وطأة في تخلف الأمة عن العامل الخارجي(الاستعمار)، بل هي وحدها كافية لصنع مشهد مريع من الانحطاط، والبؤس، فضلا عن كونها المناخ المناسب الذي يمكّن للاستعمار، إذ تترجم عن بعض مظاهر القابلية للاستعمار.

إن فكر باعزيز بن عمر لا يضع أيدينا في أحوال كثيرة على معالم منهج للإصلاح الاجتماعي، إذ يغلب عليه تشخيص الأوضاع والأمراض، فلا نكاد نظفر من نصوصه بما يدل على أسلوب محدد للعلاج والإصلاح، إلا أن يُنتزع من السياق، ويُحمل على التأويل والتوجيه، لكن الدارس لا يعدم العثور لديه على أفكار ولمحات متميزة في المنهج، كقوله : إذا كان المصلح الواعظ اعتاد محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر، والزنا، بتقبيحها، وذكر شرورها، فهو بمثابة من يحاول إزالتها بالنهي عنها وما يصحبها من غضب الله تعالى، معتمدا على الوازع الديني الذي لم يكونه في النفوس، ولم يأخذ في الحسبان الظروف والأحوال التي تدفع الناس لارتكاب المعاصي، فالطرق المذكورة كانت نافعة يوم كان للدين على النفوس سلطان، فلما ضعف لم تعد مجدية [2]، وعليه لم يعد كافيا في عصرنا تقبيح وذم الآفات الاجتماعية، والانحرافات الخلقية، وإنما المنهج الصحيح يقتضى السير في خطين، أو العمل على جبهتين لا تغنى إحداهما عن الأخرى، في إصابة الإصلاح هدفه، فالواعظ والمصلح الديني عليه العناية بغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في النفوس أولا، ثم يقابل هذا العمل على إصلاح المحيط الاجتماعي والسياسي، أي التأثير في العوامل الخارجية بالتغيير نحو الأحسن، كي يتوفر المناخ المناسب للحياة الإسلامية التي يُراد نقل الناس إليها، بجهود المصلحين، وهذا هو المنهج الإسلامي في التغيير .

كذلك قوله : يُستعان على مقاومة آفة الخمر بالدين والسلطان لأداء رسالتها، لأن الاكتفاء في مقاومتها بالدعوة السلبية القائمة، على تبيان ما في

---

1 ـــ باعزيز : "بعض آثار الجهل في مجتمعنا"، **الشهاب** ج3م11،ص165،164.

2 ـــ باعزيز : "شبيبتنا والآفات الاجتماعية"، **البصائر** ، 126.

الكحول والخمر من أمراض وأوبئة فتاكة بالفرد والمجتمع أي رسالة طبيب مادي ينصح مرضاه في دائرة ضيقة، فإن امتثلوا فذاك وإلا فهم أحرار، هذه الدعوة وحدها لا تحقق المطلوب (1).

وكذلك إدراكه لدور الخبراء في الإصلاح الاجتماعي، إذ يقول : لا نملي على البلدية سنّ البرامج، فلديها من الخبراء عدد كبير تعهد إليهم مهمة الإصلاح الاجتماعي في كافة نواحيه(2) . نفهم من قوله أن دور الداعية في الإصلاح الاجتماعي يقف دون حدود الخبرة التقنية والعلمية التي يتولاها أهلها. فليس من شأنه أن يدلّ بالضرورة وبالتبعية لمهمته الإصلاحية على الحلول التقنية. رغم أننا نرى أن هذا لا يغني عن رأي المصلح، ونقده، وتوجيهه، بل واقتراحاته، والتي قد تأتي ممن هو دونه منزلة، وتكون صائبة .

---

1 ــ باعزيز : " مقاومة آفة الكحول "، البصائر ،ع: 294، ص3.

2 ــ باعزيز :" البلدية تمنع التسول " ، البصائر 82 ،ص1.

المطلب الثاني : البطالة ــ الهجرة ــ الضمان الاجتماعي

سلك باعزيز بن عمر في معالجة القضايا والمشكلات الاجتماعية مسلك التجزئة، يبرز المشكلة وآثارها السلبية، ودورها في التوجيه السليم لما يعتقده حلا، فضلاعن الكشف عن زيف ادعاءات الاستعمار.

الفرع الأول : البطالة : رأينا كيف ضربت بجرانها على الجزائريين، فبلغت – مثلا –سنة1950/ 1951حوالي 46 % من الجزائريين الذين هم في سن العمل، دون احتساب ساكني البوادي، وضعف الأجور التي لا تكاد تغني أو تسمن العاملين من جوع . لذا فهي تشكل مع نمو النسل شقاء اجتماعيا للحاضر والمستقبل تُخشى مضاعفته فيعم الشقاء والحرمان أجيالا آتية في الطريق([1])، وهي أُمّ كثير من الآفات الاجتماعية كالتسول، والتشرد والسرقة والاعتداء، وغيرها([2])، واقترح حلولا لها في فترة كانت الإدارة الاستعمارية تسوّق حلولا اقتصادية واجتماعية، لفحص هذه الحلول ونقدها، منها : إنشاء أعمال عامة للاستخدام في كل دائرة ــ إبقاء المزارعين في أراضيهم ــ تشجيع الهجرة لفرنسا ــ الإعداد المهني للعمال ([3]) .

ولكنها – في نظره – حلول تلفيقية مخادعة، لأنها غير مؤسسة، وتجاهلت المعطيات الاجتماعية والاقتصادية، مما يجعلها غير ذات جدوى تنتهي إما بالفشل أو لخلق مشكلات أخرى، وعليه فالأول بطيء قليل الأجر، والثاني ليس حلا لأنها أراضي لا تنتج شيئا، والثالث أفضى لتفاقم البطالة بالمهجر، و وشقاء أسرهم

---

1 ــ باعزيز : " مشكلة البطالة في الجزائر" **البصائر**،ع: 277 ، 1954/7/2، ص3،6 .

*تأكدت صحة قوله باستمرار الظاهرة إثر الاستقلال، فقد أظهر الإحصاء العام للسكان سنة 1966 أن السكان ، منهم (1 7 6 0 .000) شخصا فقط يشتغلون فعلا، بينما (845 . 000) شخصا دون عمل .كما كانت الظاهرة مرتفعة في الريف، حيث وصل عدد العاطلين (945.993) شخصا، وتركز في فئة الذين تقل سنهم عن 25سنة، وتقدر نسبتهم بـ (47 %) من مجموع السكان .

ــ السويدي محمد، **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**، (د.ط)؛الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية،(د.ت).ص103 ــ 104.

2 ــ باعزيز : " زيادة السكان وفقد العمل ، البطالة " **البصائر** ،ع: 300 ، 1954/12/7، ص3.

3 ــ باعزيز : " آفة البطالة "،**البصائر**، ع: 297، 1954/12/17، ص3 .

بالوطن، فهي إذن حلول سطحية غير واقعية للمشكلة؛ لأنها تجاهلت أسبابها الحقيقية المتمثلة في الأوضاع الاجتماعية التي أنشأها الاستعمار، فلا حلّ ما لم تتغير هذه الأوضاع مبعث المشكلات، ولن تزول إلا بزوال الاحتكار والأنانية اللذان قام عليهما الاستعمار الذي فتح الطريق للأجانب، وحرم أبناء الوطن من استغلال خيرات وطنهم (1)، وهذا الحل مرتبط بمعالجة الأزمة من جذورها، وهي المطالبة بزوال الاستعمار. لكننا نعثر لديه في موطن آخر على حل للمشكلة، وذلك بإنشاء الأعمال الكبرى وفتح الورشات المختلفة إضافة إلى السير على مقتضى التشريع الاجتماعي القائم في البلدان الراقية (2)، وهو حلّ محكوم عليه أيضا بالفشل إذا نظرنا إليه في السياق والأوضاع الاجتماعية المذكورة، لكنه يصلح أن يكون جزءا من حل للمشكلة في سياق دولة وطنية تتمتع بالسيادة، والرؤية الإنمائية والاقتصادية السليمة .

الفرع الثاني : مشكلة العمال المهاجرين إلى فرنسا : تعرضنا سابقا للأسباب التي أنتجت ظاهرة هجرة الجزائريين من بلادهم، وخاصة نحو فرنسا وما نجم عنها من مشكلات، فأصبحت ظاهرة اجتماعية تستحق من المفكر، والمصلح الاجتماعي، النظر والإسهام بطرح الحلول، وقد شخّص باعزيز بن عمر هذه المشكلات كالآتي :

- إهمال الجهات المسؤولة الفرنسية لأمرهم، فلم تهتم بجانب إسكانهم بعائلاتهم .- مغادرة الكثير منهم بلده بعد أن يكون قد تزوج وربما أنجب، فيعود إلى زوجته أحيانا دون أن يفكر في أخذها معه؛ لأن دون ذلك أهوال
- اقتصار الاهتمام الفرنسي بهم على جوانب قليلة كالمشاركة في صندوقالمنح العائلية، أو المرض، أو البطالة، أو غذاء في حالتي الصحة والمرض والشيخوخة، أما الجوانب الأخرى للمشكلات فلا يهتم بها- الزواج الممتزج (زوجة جزائرية ثم أخرى فرنسية) فينقسم بينهما عاطفيا، ثم سرعان ما يلقى للجديدة السلم وينسى القديمة، مما ينجر عنه

1ـ المصدر نفسه

2ـ المصدر نفسه

حوادث طلاق، وماسي عائلية، وتشريد أطفال، كل ذلك تنفيذا لسياسة استعمارية مسطورة – مشكلات(الزواج الصناعي) : تصدع أركانه، ويحلّ به ما حلّ بالأول من شقاء، فيخسر صاحبه لعدم قيامه على التوافق المنشود فينهار تحت عوامل منها : اختلاف النشأة، والأخلاق، والعادات، والجنسية –مغريات البيئة الفرنسية، وشهواتها خاصة الشباب الذين تنهزم فيهم المقاومة التي زرعتها فيهم البيئة الأخلاقية التي تربوا فيها (1) .

وكما تدل الإحصاءات الآتية :

جدول رقم6 يبين مغادرة العمال الجزائريين نحو فرنسا السنوات (1938 1951) :

السنة	المغادرون	العائدون	الفارق
1938	34،019	36،063	2،044
1946	34،833	———	———
1947	65،155	22،251	42،904
1948	82،231	54،209	28،022
1949	83،500	75،247	8،253
1950	89،405	65،175	24،230
1951	142،651	88،084	74،567

Kaddachek, **nationalisme** M op .cit.p.741

فإن المشكلة تتعلق بآلاف الجزائريين المهاجرين، وأضعاف أضعافهم ممن يرتبطون بهم أي عائلاتهم ومن يعولونهم، لذا تصدت لها المنظمة العالمية للعمال، واقترحت بشأنها حلولا، إذ ترى هذه المنظمة أن خير علاج لمشكلاتهم هو تشجيعهم على الهجرة بزوجاتهم، وعائلاتهم لما في ذلك من الراحة النفسية،

1ـ باعزيز :" عمالنا بفرنسا "، **البصائر**، ع: 258 ، 1373/6هـ1954/2/12.

والفوائد الاقتصادية، والاستقرار لعائلي، وعلى المسؤولين الفرنسيين معاملتهم معاملة عادلة لا تقل عن مستوى معاملة أبناء البلد، فيوفروا لهم السكن والمدارس والعمل ([1]).

لكن هذا الحل وإن بدا سليما ومنطقيا من الناحية المبدئية والإجرائية، إلا أنه في نظر باعزيز خيالي؛ لأن أغلبهم لا يستطيعونه لتفاوت أعمارهم، ولاختلاف وضعياتهم العائلية والصحية، وتباين نظرتهم للحياة الجديدة، وعجز كثير منهم عن فهم ظروفها وتطوراتها ومسايرة أوضاعها ([2])، فهم وعائلاتهم -بمقتضى نظرته- في حاجة إلى تأهيل ثقافي واجتماعي وصحي، لينسجموا مع واقعهم الجديد في المهجر، وتصبح حلول المنظمة العالمية ملائمة للمشكلة .

وهذه فكرة قيمة في ميزان الإصلاح، إذ تقترح في حالة الهجرة القانونية المنظمة وضع أساليب ومناهج لتأهيل المهاجرين، كي يتسنى لهم الاندماج في الحياة الاجتماعية الجديدة بالمهجر.

لكننا نعجب له إذ يعود فيقترح الحل نفسه الذي أنكره على المنظمة العمالية العالمية، فيرى أن الهجرة العائلية أحفظ لأخلاق العامل ودينه، وأنفع له اجتماعيا، واقتصاديا من الهجرة الفردية، وعلى الجهات المسؤولة بفرنسا مساعدتهم ببناء مساكن لهم تقيهم التمزق الأسري والانحلال الأخلاقي والاجتماعي ([3])، وهو تناقض واضح لا نملك له تأويلا .

وبما للهوية من أهمية قصوى في المنهج الإصلاحي، أرشد باعزيز بن عمر المهاجرين لوسائل المحافظة عليها، ضاربا المثل بالسوريين واللبنانيين الذين تمسكوا بخصائصهم الثقافية والحضارية، فأبوا الاندماج في العناصر الأجنبية في أمريكا وأفريقيا الغربية، واحتفظوا بمقوماتهم الروحية، وتقاليدهم الأصلية، بإنشاء المدارس، وتشكيل الجمعيات الأدبية التعاونية، وإحكام الروابط العائلية بالمصاهرة، وإنشاء الصحافة العربية، وإنشاء الأدب الرائع الرائد يصور حياة الجاليات مع

---

1 ــ باعزيز : " عالمنا بفرنسا " البصائر،ع: 258 .

2 ــ المصدر نفسه .

3 ــ المصدر نفسه .

التغني بمحاسن الوطن الأم وتمجيده[1]، وكلها عوامل مساعدة على تماسك الجماعة في البيئات الأجنبية المختلفة كل الاختلاف عن البيئة الأصلية .

وبما أن الحياة في الغرب تمتاز بالجاذبية القوية، لاتّسامها بمظاهر الفتنة الجارفة، والبريق اللامع، وجّه باعزيز عمالنا إلى كيفية الاستفادة من حضارة الغرب، وما عليهم التحلي به من حذر وتوقّى يقول : " وتبصرهم بطرق الاستفادة مما يقع تحت حسهم من ألوان الحياة الزاخرة، ومظاهر المدنية الغربية الآلية، التي يجب أن يكونوا على بصيرة فيما يأخذون منها وما يدعون، إذ أخذ الصالح من الشيء دون ضده كتمييز الخبيث من الطيب، أمر ليس سهلا ميسورا على كل أحد، فوجب تحذيرهم من الانقياد لما يتراءى لهم في هذا الجانب الخداع، من أهواء جامحة وشهوات متبعة قد تستدرج الغافلين منهم من حيث لا يعلمون لا إلى إفساد أخلاقهم وعقائدهم الإسلامية فحسب، بل إلى الكفر بنعمة الوطن وحقوقه عليهم، من وصل ما أمر الله به أن يوصل فيه "[2]، وقد كانت حاجة المهاجرين لها ماسة لمحدودية مستوياتهم الثقافية، ولأصول كثيرين منهم الريفية، انتقلوا منها إلى بيئة حضارية شديدة التعقيد واسعة الإغراء .

لكن النصائح وحدها لا تنتج إصلاحا في أكثر الأحوال، لهذا يذكر لنا باعزيز كيف أخذت جمعية العلماء على عاتقها مسؤولية العناية والاهتمام بالمهاجرين، فهي تهتم بحياتهم الدينية اهتمامها بحياتهم الاجتماعية والفكرية، وتعني بالصغار كما تعني بالكبار، في نطاق حركتها الإصلاحية الكبرى، التي تقوم على أساس محاربة الآفات الاجتماعية، وكلّ ما يقف في طريق تكوّن مجتمع إسلامي صالح يساير ما جدّ في هذا العصر من نظم الحياة العامة، من كلّ ما دعا إليه الإسلام في تعاليمه السامية "[3]، فوضعت لهم برامج ووسائل مما يكفل لهم المحافظة على هويتهم وشخصيتهم الإسلامية، أهمها :

---

1 ــ المصدر نفسه .

2 ــ باعزيز " عملنا بفرنسا "، البصائر، ع: 259 ، 15 / 7/ 1373هـ1954/2/19م.

3 ــ المصدر نفسه .

- التذكير النافع –إنشاء المراكز والأندية والمدارس ــ إلقاء الدروس عليهم، ولفتهم إلى ما يجب عليهم نحو دينهم ولغتهم ووطنهم ــ وإرسال رجال من الجمعية مرشدين بحسب كثرة العمال هناك، واتساع مناطق وجودهم([1]) .

وبهذا يسهم باعزيز – على إقلال – في تقديم تصوراته العملية لحل مشكلات المهاجرين المادية والاجتماعية، والمعنوية النفسية والثقافية . وبعض هذه الحلول لازال يصلح إلى اليوم، خاصة ما تعلّق منها بالهوية، فهم وأهلهم وأولادهم في حاجة للمدارس، والأندية، والمساجد، يتعلمون فيها أمور دينهم ولغتهم . ونعتقد أن ما فاته التنبيه إليه –على أهميته – هو كيف يتحول هؤلاء المهاجرون إلى دعاة لدينهم بعد تثقيفهم وتهذيبهم خاصة الدعوة بالقدوة والسلوك الحسن .

الفرع الثالث : (النزوح) الريفي وآثاره : على الرغم من ديمومة الهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة، فإن هذه الظاهرة قد اشتدت ابتداء من سنة 1948، وهي السنة التي بلغ فيها عدد سكان المدن من الجزائريين أكثر من (1،3 مليون) أو (20 %) وكانت النسبة قبل هذا التاريخ لا تتجاوز (16 %)([2]) . وهذه الفترة تقريبا هي التي ظهر فيها اهتمام باعزيز بن عمر من خلال مقالاته بهذه الظاهرة وأسبابها وآثارها السلبية على المدن والأرياف .

فأسباب هذه الهجرة – عنده – هي : تحريم القانون الانتفاع بالغابات أو منع الاحتطاب – منع المواشي من الرعي بها وبالمراعي التي فيها – قسوة الشتاء على الفلاح في مسكنه الرطب الخالي من الوقود – طغيان المياه وتهديده لمسكنه – قسوة الطبيعة ([3])، ولم يذكر أسبابا غيرها مثل افتكاك الأرض من أصحابها (الاستيطان) وربما قدّر أنها مسألة أصبحت في حكم الماضي الذي لا جدوى من ذكره – يومئذ – سببا للهجرة الريفية، وسبب ثاني هو الضغوط التي كان يلقاها أهل الريف من المستعمر، في فترات الثورات خاصة أثناء ثورة التحرير

---

1 ــ المصدر نفسه .

2 ــ السويدي ،محمد : مصدر سابق ص 77.

3 ــ باعزيز : " الشتاء في الجزائر " البصائر ص 2 .

التي ارتفعت بسببها الهجرة نحو المدن، فبلغ سكانها سنة 1960 نسبة 30% [1]، وهو السبب الذي لم يستفحل خطره بعد لدى إيراد الأسباب المذكورة ونتيجة للواقع الاجتماعي المزري في المدن والأرياف دعا لإصلاح البادية، فهو عمل جليل يعود بالنفع عليها، وعلى سكان الحواضر أيضا، فيقل ازدحام المدن، فلو تمّ ما كانت المدن القصديرية لترتفع بجوار العاصمة ارتفاعا مخجلا[2]، ويتم الإصلاح المقترح بترقية البادية وتحضيرها – عبر ما أسماه بتوحيد الحياة بين المدينة والريف– أسوة بالدول الراقية، التي أدركت ما لشبوع الفقر، والمرض والجهل، من تهديد للحضارة بالآفات الاجتماعية فوحدت الحياة الاجتماعية في أوطانها، بإدماج البادية في الحاضرة، بتوفير ضرورات الحياة بين البادية والحاضرة على شتى المستويات [3].

كما يتم هذا التوحيد للحياة الاجتماعية بينهما بمقتضى الديمقراطية والعدالة الاجتماعية التي يقع على الدول مسؤولية تمكين جميع المواطنين منها، يقول :" فالاستفادة من نعم المدنية الحديثة حق مشاع لكل مواطن يجب على الحكومة أن تحرص على إيصاله إلى جميع المواطنين من غير منّ أو تمييز بين ساكني الحاضرة وساكني البادية، ماداموا متساويين في الواجبات والحقوق "[4].

وبناء على هذه النظرة التنموية الناضجة يرى أن الإصلاحات الاجتماعية في البوادي، تكون بتعبيد طرقها، وإنشاء مدارس للتعليم الصناعي (التكوين المهني)، والتوعية الصحية، والنظافة[5]، وتمتد إلى الكهرباء التي يعدها العنصر الأول لكل رقي اجتماعي واقتصادي في هذا العصر، فلهذا ترحب بها القرى التي دخلتها على أن تعم كل الجهات، حتى تبلغ حدا تزول فيه الفروق بين البادية

1ــ السويدي، محمد : المصدر السابق ص 77.

2ــ باعزيز : " زيادة السكان ،فقد العمل ،البطالة " البصائر، ع: 300 ص 3.

3ــ اعزيز :" بين البادية والحضارة " ، البصائر، ع: 291. 2ربيع الأول هـ1370ـــ 29 ـ 1954/10م، ص 3.

4ــ باعزيز :" دخول الكهرباء إلى القرية"، البصائر، ع: 307، 2 /1374/7هـ1955/2/25،ص3.

5 ــ باعزيز : " الشتاء في الجزائر"، البصائر،ص2 .

والحاضرة ([1])، فينعكس أثرها ايجابيا على الحياة هناك تطورا اقتصاديا وثقافيا، فيُدخل الريفي بسببها التحسين على المسكن وجميع مرافق الحياة فيه، كما يؤكد ذلك خبراء رفع مستوى الحياة الريفية في أوروبا، إذ أدى دخولها إليها بروز مظاهر التطور السريع في جميع الميادين ([2])، ومنها الجانب الجمالي الذي يرى أن الكهرباء أثّرت فيه ايجابيا بالتناسق بين الأشياء في منزل الفلاح الأوروبي، وطورت إنتاجه الفلاحي والزراعي باستعمال الآلات الكهربائية([3])، فقدّم لنا باعزيز مجموعة من الرؤى الإعمارية التي تعالج ظاهرة النزوح الريفي، وتُسهم في تحقيق ما يُعرف اليوم بالتنمية المستدامة التي تولى عناية كبيرة للريف، كما تكشف لنا عن توازنه الفكري إزاء مسألة التطور إذ يولى الأسباب والوسائل التقنية اعتبارا هاما في انتقال المجتمع من التخلف إلى التقدم، إضافة للعوامل الأدبية والمعنوية .

الفرع الرابع : الضمان، والتأمين الاجتماعي، والكساء : نالت التشريعات الاجتماعية اهتمام باعزيز بن عمر فكشف زيفها وقصورها وتمييزها بين فئات المجتمع العاملة .

فالضمان الاجتماعي اتسم بالنقص، فهو في حاجة للتعديل، لأن الاستفادة منه مقصورة على العمال المقيمين بالمدن، والعاملين بالقطاعات الصناعية، والتجارية والثقافية، دون أن ينال الميدان الفلاحي، حيث الفقر، والبطالة، ثم إن هذه التشريعات لا تصيب العامل إلا إذا كان مرتبطا بالعمل وصاحبه، ويسقط عنه بمجرد الوقوع في البطالة، ويهمل أولاده حينئذ، كما يفقد المنح العائلية كذلك([4]) فقد سُنّ لفئات من العاملين بالمدن أثناء العمل فحسب، دون مراعاة لأحوالهم إثر فقده، وهذا إنكار لقيمة الإنسان وقلة اعتبار لجهده، فكأنما هو آلة أو شيء يفقد قيمته، ودوره بمجرد التوقف عن العمل. فضلا عما في هذه القوانين من تمييز بين

---

1 ــ باعزيز : " دخول الكهرباء إلى القرية " البصائر، ع:307 ،ص 3 .

2 ــ المصدر نفسه

3 ــ المصدر نفسه

4ــ باعزيز :"الضمان الاجتماعي" البصائر، ع:311، رجب 1374ــ 3/25/ 1955م.

العاملين الجزائريين و الفرنسيين، وبين أهل المدن و الفلاحين حيث من المفترض – أن تتجسد الأبعاد الإنسانية و الاجتماعية في هذا المجال التشريعي، وقد كانت حجّة المجلس الجزائري (البرلمان) في هذا الصدد أقبح من ذنبه؛ إذ رأى في حرمان عمال الفلاحة و الزراعة من التأمين الاجتماعي، أنّهم إذا نالتهم بعض الإصلاحات الاجتماعية، ربما تحسنت أحوالهم ففتروا عن عمل الأرض، وتطلعوا إلى آفاق أخرى مما يهدد الإنتاج الزراعي الذي يستفيد منه فئة معينة (1) كأنّما شرع التأمين الاجتماعي لدور مغاير لوظيفته، كما يكشف هذا الموقف عن النظرة الإقطاعية التي يتمتع بها هؤلاء (المشرعون) فما المزارعون عندهم سوى عبيد يصلحون للسخرة، ولا أهلية لهم لينالهم أيّ حقّ اجتماعي .

وما دام المشرع لهذه القوانين واحدا، فإن تشريعاته تأتي على نسق متجانس، تراعى فئات محددة دون عموم الشعب، وهي الفئات الأرستقراطية الرأسمالية المتحكمة في دواليب السياسة والحكم والاقتصاد، وهذا ما يفسر لنا موقف باعزيز الناقم على قانون الكراء الذي أصدره المجلس الجزائري إرضاء للحكومة، وأرباب الأملاك والدور، فيتصرفون في مكنزيها بما يحقق لهم الربح الوفير، أو طردهم متى رأوا ذلك لا يتحقق فيصيبون غايتهم من التحكم والسيطرة التي تميزهم، فهم خير ممثل للأرستقراطية التي لا تفهم معنى للديمقراطية إلا أنها فوضى تلعب برؤوس زعماء الجماهير، فتسوقهم إلى مالا يحسنون، وأكثر الناس قد هالهم حرص المجلس الجزائري على معالجة القضية، وحلها بقانون لا يفيد إلا طائفة أرباب الأملاك فإن كان في هذا القانون خير فهو لهم من دون الناس، وإن كان فيه شر انصرف مباشرة إلى الأهالي (2).

ويشمل نقده– أيضا – مظهرا اجتماعيا ذا صبغة ترفيهية ملاحظا الفروق الاجتماعية الصارخة فيه؛ فالراحة الصيفية التي هي علاج للنفوس المتعبة من

---

1 ــ باعزيز :"التأمين في الجزائر"، **البصائر**،ع: 77، 27 جمادى الثانية 1368 ــ 1949/4/24.

2 ــ باعزيز :" قانون الكراء الجديد"، **البصائر** ،ع:67، ربيع الثاني ــ 1368ت /2/4/ 1949م.

ص 3.

العمل تتذوق لذتها كما تتذوق لذة العمل، فالشعور باللذّتين ضروري لهناء الإنسانية وتقدم المجتمع، وتواصل سير المدنية، وانتشار العمران، هذا الحق استأثرت به القلة من العنصر الأوروبي بالجزائر لتوفرهم على الخيرات والوسائل التي تُدرّها عليهم أعمالهم واحتكاراتهم، فانقادت لهم الحياة الجديدة ذات المطالب والشهوات، والتكاليف المادية العديدة، انقيادا وضع تحت تصرفهم لهوها وجدّها، فتفننوا في أنواع الراحات التي يحسنون تزجيتها على أكمل القواعد والمظاهر المُتّبعة، بينما لا يملك العنصر الأهلي منها فتيلا بالرغم من أننا جميعا فوق أديم أرض واحدة وتُظلنا سماء واحدة، و يستحكم الجوار بيننا وبينهم في الزمن والمكان استحكاما باديا ملحوظا ([1])، وهذه العوامل الطبيعية وحدها لا تحقق مساواة ولا عدالة؛ لأنها مرتبطة بالفكرة التي يحملها الإنسان، وفكرة الاستعمار نقيض المساواة والعدل، وهو ما تنتهي إليه نتائج مقاربات باعزيز.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

1 ــ باعزيز : "في الصيف"، **البصائر** 325، ص 3.

المطلب الثالث : المرأة ونمو النسل

الفرع الأول : المرأة : كان و لازال موضوع المرأة من أكثر المسائل المثيرة للجدل، فإذا حسم بعضها كتعليمها* فتداول الرأي في كثير منها مستمر. وقد تحول موضوعها إلى قضية سياسية أكثر منها اجتماعية أو تربوية، بل إن التغيير والإصلاح الذي يراد لأمتنا مرتبط في جوانب كثيرة منه بهذا الموضوع .

ولا نكاد نعثر على مصلح لم يخض في هذا الموضوع، وقد بدأ الاهتمام به لدى المفكرين والكتاب والمصلحين الجزائريين منذ أواخر القرن التاسع عشر فعرضوا بالبحث لمسائل كثيرة متصلة به**، وليس صحيحا أن الاهتمام بموضوعها تأخر إلى ما بعد ثلاثينيات القرن العشرين، كما ذهب بعض الدارسين*** . وكانت - أيضا - موضع اهتمام الكتاب الفرنسيين الذين صوروها على أنها قدرية غارقة في الخرافات، ومستسلمة راضية بحكم القضاء

---

* اتفق المصلحون العرب منذ القرن 19 على ضرورة تعليم المرأة وتربيتها

ـ المحافظة،علي : مصدر سابق، ص 189

** أهم الموضوعات التي نالت اهتمام من كتبوا عن المرأة من أواخر القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين: مسألة الحجاب -تعدد الزوجات والطلاق -حالة المرأة المسلمة في العائلة -حقوقها وواجباتها -الميراث -الحياة المدنية الإسلامية في مدينة الجزائر، ووضع المرأة طبقا للقران والسنة،وأعمال المرأة .المسلمة - اللباس وأحكامه -تعلم المرأة الزواج المختلط ومستقبل الفئة المتولدة عنه -مكانة المراة عند العرب ومسألة الشرف والهجرة والحروب -مكانة المرأة في الحضارة والأدب -ذكاء المرأة -التزويج المبكر للبنات المسلمات -الصداق- أسباب الطلاق -شيوع التعدد في الأرياف وتقلصه في المدن - حجاب لدى الأمم والديانات الأخرى -فكرة الحريم .

ـ سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 7 : ص 181 -194.

نستنتج من هذا أن موضوعها كان من أكثر الموضوعات حضورا على ساحة الفكر الجزائري في الفترة المذكورة، بل لا نكاد نجد فيما طرح بعد جديدا على الأقل من حيث الموضوعات ،عدا موضوع المرأة والسياسة والحكم .

*** ذهب الدكتور محمد ناصر إلى أن الاهتمام بقضية المرأة في الجزائر لم يكن على النحو الذي كان عليه في المشرق العربي، وأن الحركة التي اهتمت بالمرأة بالجزائر بدأت بصفة واضحة بعد سنة 1930 .

ـ ناصر محمد : **المقالة الصحفية** ج1، ص 227.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عليها، وهي ضحية التخلف والأمية، وهي لعبة الرجل الذي كان يشتريها بنقوده كما يشتري البهائم والبضائع، وهي في نظرهم ضحية الدين الإسلامي القاسي الذي جعل الرجل قواما على المرأة، وأباح تعدد الزوجات، وجعل الطلاق بيد الرجل وحده، وفرض الحجاب والعفاف، والمرأة العربية المسلمة عندهم نمط واحد في المدينة والريف، إنها آلة نسل، وخادمة بيت، وحاضنة أطفال، وجالبة حطب وماء وهي محرومة من النعم في الحياة الدنيا، فلا أفراح، ولا مراقص، ولا ملتقيات اجتماعية . إن شباب المرأة يذوي بسرعة ويداهمها الهرم وهي في الأربعين من عمرها فتترهل وتموت قبل الأوان "([1]) .

ودخلت في استراتيجية الاستعمار نحو المجتمع الجزائري، الهادفة لتفتيته بجذب النساء لصف الاستعمار، وفق نظرية مفادها إذا أردنا ضرب المجتمع الجزائري في صميم تلاحم أجزائه، وفي خواص مقاومته، فيجب قبل كل شيء اكتساب النساء، وتحويلهن إلى جانب القيم الغربية، بانتزاعها من نظام حياتها الخاص، والحصول بذلك على سلطة حقيقية على الرجل، وبامتلاك الوسائل العملية المؤثرة لمتابعة تفتيت الثقافة الجزائرية .

ومنذ سنوات 1930 /1935 تولت الإدارة الاستعمارية هذه المهمة، فاعتمدت على الأخصائيين في علم الاجتماع والأخلاق، وفق صيغة (لنعمل أن تكون النساء معنا،وسائر الشعب سوف يتبع) ([2]) .

= وتابعه في ذلك الدكتور محمد زرمان، بل نفي أن يكون اهتمام بالموضوع قبل التاريخ المذكور، فقال : " قضية المرأة في الجزائر قد تأخر طرحها إلى ما بعد سنوات الثلاثين "

ـ ازرمان، محمد :" **الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الابراهيمي** " أطروحة دكتوراه دولة، معهد الدعوة وأصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة 1994-1995، ص 547 .

والحق ـ كما أشرنا ـ أن كتابات الجزائريين حول المرأة التي ظهرت منذ أواخر القرن التاسع عشر، تكاد قد تكون طرقت أكثر مسائلها وعولجت ضمن دراسات، وبحوث على أعلى مقام من التحليل والمعالجة . وأحسب الفرق بين المتقدمين والمتأخرين من الجزائريين الذين اهتموا بالموضوع أن أولئك وقفوا به عند حدود النظر والرأي، بينما هؤلاء، وخاصة جمعية العلماء، الذين أضافوا إلى الرأي، الممارسة العملية كتعليم المرأة .

1ـ سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6،ص،337.

2 ـ فانون، فرانس : **سوسيولوجية ثورة**، ترجمة :ذوقان قرقوط ط1؛ :بيروت: دار الطليعة1970،ص27

لهذا وإدراكا للدور الخطير الذي تلعبه المرأة في المجتمع تطور الاهتمام بها بعد الحرب العالمية الأولى، فأولتها الحركة الإصلاحية عنايتها، فقد وزع- مثلا- ابن باديس دروسه بين النساء والرجال، وخص المرأة بباب خاص في الشهاب يتحدث عنها في الشريعة والتاريخ الإسلامي، مع ربط ذلك بالواقع الجزائري بالحديث عن المرأة ومكانتها الاجتماعية والدينية (1) .

وقد كان باعزيز بن عمر ممّن تناولوا الموضوع في بعض مقالاته، أدلى بآرائه في بعض قضاياها، وإن لم يكن مكثرا مفصلا فيها . تفطن إلى غياب الفكرة الإسلامية الصحيحة الموجهة، تحت وطأة الواقع المغالي في تعامله مع المرأة، واستغلاله من قبل الأفكار الغريبة، فقال :أصيب المسلمون بالضعف فغاروا على المرأة في غير مواطن الغيرة، ورضوا للمرأة بالجهل حتى بدت لهم فكرة حقوق المرأة لدى الغربيين على قاعدة المساواة في كل شيء، فأوردوها موارد السوء والهلاك، وأنسوها وظيفتها الطبيعية، وتسربت هذه الفكرة إلينا فظهر من يقفوا أثرهم، فغاب عن دعاتها من يدعوا لتثقيفها التثقيف الإسلامي (2)، فكأني به يشير إلى الفترة التي لم تتهيأ فيها بعد الحركة الإصلاحية لمواجهة الموضوع بالتعليم والتثقيف، والتوعية بالشكل الواسع المطلوب فينادي المصلحين إلى سد الثغرة قبل استفحال خطر التغريب، وبعد ركون المجتمع لتقاليد بائدة في شأن المرأة باسم الإسلام وقد كانت – كما يقول- في العهد الإسلامي الأول بجنب الرجل في السلم والحرب ،ونشرت الفضيلة كالرجل ،فأصبحا بمثابة جناحين قويين طار بهما الإسلام من الأقصى المعمور إلى أقصاها (3).

ويرشدنا إلى أن كل إصلاح لها ينبغي أن يراعى طبيعتها الخاصة التي تنساق بها إلى كمالها بجنب الرجل، و إلا عدنا من إصلاحها نجرّ أذيال الخيبة عن

---

1 ــ سعد الله : مصدر سابق ص 351 ،352.

2 ــ باعزيز : " مثال المرأة المسلمة المتعلمة " **الشهاب** ج 3 م 12 ص 133 .

3 ــ المصدر نفسه

طريق إصلاحها المرسوم، وتخطيا للعوامل التي تدفعها إلى حيانها المنشـــودة ([1]) وعدم مراعاة هذه الطبيعة الخاصة هو الذي أوقع دعاة تحرير المرأة المسلمة على غير أصول الإسلام، في التفريط الشنيع " فلقد رأينا المرأة المسلمة تقلـــد المـــرأة الغربية، فتتمرد على فطرتها التي فطرها الله عليها، ولا تريد أن تعترف بالفوارق البيولوجية الطبيعية بين المرأة والرجل، وأن هذا لم يكن عبثا ولا اعتباطا، ولكـــن هذا الخلق لحكمة يعلمها الله " ([2]) فكل حل يتجاهل هذه الخصوصية سيقع- حتما- في ظلم المرأة وإبعادها عن دورها الحقيقي المثمر في الحياة .

ومن الآراء الجيدة في مقاربة باعزيز بن عمر للموضوع، اعتبار المشـــكلة متعلقة بمجتمع فقد التعرف على الوسائل السليمة الصحيحة لتقدمه، وليست مشكلة جنس معين (رجل أو امرأة) فقال : " أجدر بالذين يريدون أن يفـــردوا المـــرأة بعناية دون الرجل أن يصرفوا هذه العناية إلى المجتمع كله، فيدلوه علـــى وســـائل التقدم الذي يشمل الرجل والمرأة على السواء، وبذلك يكونون قـــد أقـــاموا الحيـــاة الاجتماعية على أقوى الأسس وأصح الدعائم، وهو تعاون الرجل والمـــرأة علـــى إنشاء مجتمع صالح، يجد فيه كل فرد من أفراد الشعب مجـــالا لإظهـــار مواهبـــه والتمتع بحقوقه " ([3])، فعلاقات الصراع بين أفراد المجتمع وفئاته تليق بالمجتمعات المادية التي يشكل الصراع أبرز خصائصها، أما المجتمع المحتذي لأحكام الإسلام وتوجيهاته، فالعلاقات فيه تقوم على التواد والتـــراحم، فـــالمرأة والرجـــل شـــقان متكاملان متراحمان متعاونان على الخير والصلاح .

ومن هذا المنطلق وجه النقد لنظرة الأمم المتحدة التجزيئية في الموضـــوع، فليس هناك مبرر لتوصية اللجنة السياسية في الأمم المتحدة بوجوب معاملة المرأة في الشعوب المستعمرة، وفقا لحقوقها الواردة في ميثاق الأمم المتحدة دون الاشارة من هذه اللجنة للرجل، بينما الواجب التوصية بتقدم الشعب كله، أي العناية بالرجل والمرأة على السواء، فتقدم المرأة ورقيها الاجتماعي مـــتمم لتقـــدم الرجـــل فـــي

1ـــ باعزيز : " في الحياة الاجتماعية " ،الشهاب ،ص10

2ـــ القرضاوي يوسف : أمتنا بين قرنين ط1،القاهرة ـــ مصر:دار الشروق، 1421هـــ 2000م،ص160

3ـــ باعزيز :" تقدم المرأة " البصائر،ع: 299 ، 6جمادي الأولى ه1374ـــ 1954/12/21م.

الوضع الاجتماعي الطبيعي، وعلى المنظمة الدولية النظر للمسألة على ضوء النظرية البيولوجية في علم الاجتماع التي تنظر للمجتمع بوصفه كائنا حيا في تكوينه وعلاقاته بالوحدات والأجزاء التي يتكون منها، وتعتبر الفرد خلية في الجسم الاجتماعي، والجمعيات والهيآت بمثابة الأجهزة العامة فيه (1) .

فالقضية – كما يقول مالك بن نبي– أنها ليست مشكلة نبحثها منفردة عن مشكلة الرجل، فهما يمثلان مشكلة واحدة هي مشكلة الفرد في المجتمع . وهي تتعلق – في تحديدها – بتقدم المجتمع، وتحديد مستقبله، وحضارته (2) .

فبدلا من البحث عن أسباب تأخر المرأة وحدها ينبغي البحث عن أسباب تأخر المجتمع، التي يراها باعزيز في وقوعه تحت سيطرة الأجانب، أو في أيدي الجاهلين من أبنائه، وكلا الفريقين يخشى على نفوذه من التطورات الفكرية والاجتماعية، فيصر على التمسك بالأوضاع الجامدة، والاتجاهات الفاسدة التي أخرت الرجل والمرأة عن ركب الحياة، وشلت قوى المجتمع، فأصبح منحلا لا علاقة بينه وبين أفراده إلا صوريا (3).

وإمعانا في إثبات صواب رأيه، يذهب باعزيز إلى ضرورة ارتباطها بالرجل حتى في طرح قضيتها، فالأليق –إذن– البحث عما يرقيهما معا، بالتأثير في المحيط الذي يعيشان فيه إذ يؤثر فيهما معا رقيا وانحطاطا ويؤثران فيه أيضا كذلك (4) .

كما يرى أن تقدم المرأة يهدف إلى الرقي بها إلى ما يليق بمسؤولياتها العديدة السامية، في حدود مبادئ الدين (5) . فالمرأة تتقدم لتعنى بالمحافظة على كيان وطابع الأسرة من التيارات الهدامة، لا لتتحول إلى داعية للتفكك الأسري، والفضيلة ومبادئ الدين، كما هو الشأن اليوم في كثير من الهيئات المتحدثة

1ـ المصدر نفسه .

2 ـ بن نبي مالك : **شروط النهضة**، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين دمشق ـ سورية،1406هـ 1986م، ص 114 .

3 ـ باعزيز، المصدر نفسه .

4 ـ المصدر نفسه .

5 ـ المصدر نفسه .

باسم المرأة و الأسرة .

و العناية بتربية الفتاة ضمان للتوازن المادي و الاجتماعي فيها، ودفع لها إلى الاستفادة من نظم المدنية العصرية في حدود الاعتدال و المصلحة (1) . إن تربيتها على أسس سليمة يؤهلها للمشاركة في الترتيبات المادية للبيت، وتدبير شؤونه المالية بضبطها وتسييرها، و العناية بالتربية، و التوجيه الأسري القيم الحكيم . وهي في هذا تحتاج للاستفادة من النظم و الأساليب المعاصرة في التربية، و التدبير المنزلي . فالإنصاف يقتضي الاعتراف بالمعطيات الايجابية التي أفرزتها حضارة الغرب لسائر بني البشير بمن فيهم المرأة، أي إنها وفرت فرصا جديدة تكفل للمرأة تكاملها (2) . إذ أتاحت لها نيل الكثير من حقوقها، ومكنتها من التعليم بلا حدود، وبغض النظر عن طابع الإفراط المرفوض، فقد فتحت لها مجالات المشاركة في بناء الحضارة وأعطتها الأساليب العلمية في تربية الأبناء صحيا، ورعاية الأسرة، وتدبير شؤون المنزل على قواعد علمية و اقتصادية، وكثير من هذه المبادئ ينبغي أن تكون موضوع اعتبار و إقتداء من المرأة المسلمة .

<u>الفرع الثاني :نمو النسل :</u> معلوم أن نمو النسل نظر إليه المخططون للنمو الاقتصادي في دول العالم الثالث على أنه عقبة في طريق التنمية، أثناء مرحلة تقل فيها الموارد بفعل ضعف الاستثمار، و البطالة، وتكثر فيها الأفواه، وكان الحل الفني الآلي الذي تتجة إليه تلك الدول هو تحديد النسل، و إن قام على وسائل القمع القانوني و الاجتماعي .

لكن باعزيز يطرح المسألة على اعتبارها مشكلة استعمار في المقام الأول كسائر ما أدار عليه فكره ونظره من القضايا المختلفة تقريبا فما دور الاستعمار فيها ؟ وكيف فسره باعزيز ؟ وما الحل ؟

علل الاستعمار نمو النسل المتزايد بالجزائر، بما هيأته المدنية التي جاء بها للأهلي، والحياة الجديدة التي اصطنعوها لهم، فوفرت لهم الراحة،

1ـ المصدر نفسه .

2 ـ خاتمي،محمد : المجتمع المدني،ترجمة سرمد الطائي، . ط1؛ ؛ دمشق ـ سورية،دار الفكر،1422هـ2001م. ص28 .

وحسنت الأوضاع الاجتماعية، لهذا أخذ المستعمرون يتظاهرون بالبحث عن توسيع مصادر جديدة للاقتصاد الجزائري كي يواجه هذه الظاهرة (1) .

لكن الانفجار السكاني الذي بدأ من سنة 1921، وعدد السكان الذي تضاعف بين السنوات 1906و1960 ليصبح 10.637.896 نسمة سنة 1960، مثل الجزائريون منه عدد 9.479.315 نسمة (2) . صاحبه توزيع السكان بين المدينة والريف على نحو كان حوالي 20 إلى 23 % من الجزائريين يعيشون في المدن و77 إلى 80 % في الأرياف (3) . وكان هؤلاء في أسوأ أوضاع اجتماعية واقتصادية كما عرفنا، ولم يكن ساكنوا المدن من الجزائريين أفضل حال منهم، إذ رافق هذا التضاعف السكاني عواقب الحرب العالمية الثانية، والجفاف المتكرر لسنوات (4) .

وعليه فتفسير باعزيز لنمو النسل، والحل المقترح (أي تحديد النسل) في ظل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المذكورة هو أن " تحديد النسل لم يكن يوما حلا لمشكلة اجتماعية، أو اقتصادية من نوع ما عندنا، وإنما كان ولا يزال فكرة سلبية عابرة تدلى بها في ظروف خاصة الرأسمالية أو الإقطاعية اللتان تفكران بمزيد الذعر في حماية ما استحوذتا عليه من منابع الثروة، ومظاهر الترف في مجتمعات تزخر بالجموع المتكاثرة من ضحايا الفقر والبؤس والمرض (5) . فليست –إذن– المسألة تزايد نسل يؤثر في تنمية، وتطور اقتصادي واجتماعي تُحل بوضع حد لتزايده العددي، وإنما هي حماية الأقلية المستأثرة بالثروة وأسبابها، تخشى عليها من كثرة عددية فقيرة بائسة . والحل الاستعماري بالطبع – يتولاه المرض و الفقر بإبادة ما استطاعا منهم، وإجراء تحديد النسل يكف إنتاج جموعهم المهددة للاستقرار تلك الفئة! أما السبب الحقيقي للظاهرة – في تقديره – فهو انتشار الفقر

1ـ باعزيز :" دفع شبه في تعليل ظاهرة نحو النسل " البصائر،ع: 251 ، 1373/4/12هـ 1953/12/17م.

2ـ السويدي ،محمد :مصدر سابق ص 78 .

3ـ الصائغ ،يوسف : مصدر اسابق ص 336 .

4ـ الجيلالي صاري وقداش محفوظ : مصدر سابق ص 215/210 .

5 ـ باعزيز : " تحديد النسل ليس حلا للمشكلة " البصائر، 305، ص3. 1374/6/18هـ1955/2/11م.

وتدني مستوى المعيشة فيها [1] مستندا إلى تقارير الخبراء الدوليين عنها، وحول حلها، فيقول : لكن الرد العلمي على هذه الظاهرة حمله كتاب رئيس القسم الاقتصادي في الأمم المتحدة، الذي يقرر أن معالجة هذا النمو في البلاد المتخلفة يكون برفع مستوى معيشتها، إذ هبوط مستوى المعيشة فيها وشيوع المجاعة هو المصدر لظاهرة نمو النسل بسرعة وكل تفكير بمعالجتها بغير هذا العلاج الطبيعي فليس حلا عادلا لها . وهو الحل الذي لا يفكر فيه المسؤولون الاستعماريون ولو كان مستوى المعيشة الحسن هو السبب في نمو النسل لجاز أن يكون سكان أوروبا أضعاف ما هم عليه اليوم [2]، ورفع مستوى المعيشة يأتي بتوسيع الإصلاح لكل مناحيها، وتهذيب الطباع، وإصلاح ما فسد اجتماعيا وفكريا واقتصاديا، فهو الكفيل باعتدال نمو النسل فيها [3] .

نلاحظ أن باعزيز لم يكن منشغلا بالظاهرة نفسها بقدر انشغاله بأسبابها التي لا تخصها وحدها، وإنما تتجاوزها إلى كل المشكلات والآفات الاجتماعية، فهي في ذاتها لا تستحق العناية الكبيرة لبحث حلولها، وإنما الذي ينبغي صرف العناية له تلك الأسباب التي أنتجها المسبب الأكبر (الاستعمار) .

وفي نطاق أوسع من الدائرة الوطنية، دحض حجة القائلين بتهديد نمو النسل للعالم، وأن التهديد الحقيقي هو صرف الثروات على التسليح بدل العمران، فقال : " إن ما في العالم اليوم من ثروة وخيرات، وإنتاج يتسع - لو يوزع توزيعا عادلا - لضعف سكانه في الوقت الحاضر، فلا وجه أصلا لهذا التشاؤم الذي يخيم على عقول بعض الناس من مجرد هذه الظاهرة الاجتماعية، وما الذي يهدد العالم مباشرة، ويقلق الإنسانية الرشيدة، إلا صرف القسم الأكبر من ثروته، وإنتاجه الصناعي، والزراعي، في العتاد الحربي، والتسليح الذري، وإمعان القادة

---

1 ــ المصدر نفسه .

2 ــ باعزيز :" تحديد النسل ليس حلا للمشكلة " البصائر،ع: 305.

3 ــ المصدر نفسه .

المسؤولين في الاهتمام بكل ما يضخم ميزانية الحرب، والاستعداد لها بدل الاهتمام بمشاريع السلم والعمران، ورفع مستوى الحياة العامة في شعوبهم "[1] .

ينسجم هذا الموقف مع الطروحات العالمية الحكيمة والناضجة التي صاحبت عهد التسابق نحو التسلح خاصة النووي منه، الذي أبقى العالم تحت رعبه سنوات طويلة، ودعت تلك الأصوات إلى صرف الأموال بدلا عنه في ميادين العمران، ورفع المستوى التعليمي، والاجتماعي للشعوب .

ويمكن القول أن باعزيز بن عمر كان على انسجام فكري مع الصحيح النافع من الفكر الإسلامي عموما، الذي أثبت وعيه بالمشكلات الإنسانية الكبرى لعصرنا، والمساهمة فيها بالنقد والإرشاد إلى الحلول على تفاوت في مستويات الطرح .

1ـ المصدر نفسه .

المطلب الرابع : التشرد والانحراف الاجتماعي

أقدح ما تصاب فيه أمة رأس مالها الحقيقي، وهو الإنسان، فإذا ما تعطلت طاقته، وفقد فاعليته، لحق المجتمع الشلل والخراب، لهذا اعتبر باعزيز الفقر والتسول شللا اجتماعيا، فتلك بطائفة كبيرة من الأمة، فخسرهم المجتمع كما خسروا أنفسهم([1])، فترجم هذا الشلل عن نفسه بمظاهر البؤس التي أصبح عليها المجتمع الجزائري، فكون أمة بسائر طبقاتها، فمن طفولة مشردة لا تدري ما الحياة، وما الحاضر وما المستقبل، وشباب تجهمت في وجهه الحياة وبهجة الأيام، وشيخوخة تقترب من القبر، ويبتعد عنها، وأمومة تمشي على الأرض، فلا تهتدي إلى أحد يرحمها، وينتشلها من وهدة البؤس والشقاء " ([2]) .

فالبؤس لم يستثن أحدا من طبقات المجتمع، كل طبقة وما يلائمها من وظائفه، فالطفولة نالها التشرد الذي يطمس معاني الحاضر والمستقبل، والشباب غاضت في نفسه معاني البهجة والإقبال على الحياة بتفاؤل في المستقبل الزاهر، وحتى الشيوخ الذين أصبحوا يتمنون الموت، ابتعد عنهم لئلا تنتقص صورة البؤس الاجتماعي من كمالها، وأمهات في حيرة الضعف الذي لا يهتدي لحيلة ينجو بها مما هو فيه .

وهذه الصورة البائسة لم تلق من الاستعمار سوى لفتات عابرة في المناسبات والأعياد، فاستحقت من أبواقه الإعلامية التنويه والتمجيد، لكن لو أنصفت الصحف الاستعمارية – كما يقول باعزيز – لملأت الدنيا صراخا بوجوب زوال مظاهر الفقر المؤذية، وتطهير البلاد منها، لا في الأعياد فحسب بل في سائر أيام السنة، فجمال الأعياد مطلقا لا يتم وفي المجتمع جيوش من المتسولين التي تهدد المجتمع بشر مستطير، لا تنفع معه المسكّنات العابرة، فالفقر مرض اجتماعي إذا لم تعالج أعراضه الأولى أوشك أن يعم المجتمع ويومئذ تحل

1ـ باعزيز :"البلدية الجزائرية تمنع التسول" ، البصائر، ع82، 1368/8/9هـ-1949/6/6م.

2 ـ المصدر نفسه .

الفوضى محل النظام، والرذائل محل الفضائل، وينضب معين الرحمة في النفوس([1]) .

فهذه العناية العابرة المنافقة لا تعدوا المسكنات التي لا تستأصل الداء من جذوره، ويراها باعزيز – بالتالي – غير ذات جدوى من أوجه :

ـ أن الجمال الاجتماعي الذي يبتغي العيد صنعه يلطخه قبح التسول المستشري .

ـ كثرة المتسولين والمتشردين تهدد المجتمع في أمنه الاجتماعي الأخلاقي.

ـ لا حيلة مع الفقر إلا بمعالجة وإزالة أسبابه، فتداعياته من فوضى وانحلال خلقي، وذهاب بالفضائل، مولدة للأحقاد، وشتى الرذائل الخلقية والاجتماعية ([2]). وقد أثبت الزمن صحة هذا التشخيص مما يدل على نظرة باعزيز الثاقبة في تحليل وتقدير أسباب الأمراض والانحرافات الاجتماعية .

ـ فقدان الثقة في الأنظمة السياسية التي ترفع الشعارات السياسية، والاجتماعية، تعد بالحرية والديمقراطية، بينما أفعالها في الواقع تكشف عن تناقضها مع أقوالها، فتبعث السخط، والكفر بمبادئها المظللة، في نفوس الفقراء والضعفاء، في هذا السياق يقول باعزيز: إن شكل الأهالي الفقراء في المدن الذين اتخذوا الشوارع منازل، يلعن مدنية القرن العشرين، ويحكم بإفلاس الديمقراطية والديمقراطيين، إذ لا توجد ديمقراطية مع وجود جيوش من الفقراء ينظر إليهم المسؤولون كشيء مألوف لا يحرك وجدانهم، ولا يثير عاطفة الإحسان ([3]) .

فهذه نظرة اجتماعية تربط بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية في صيغة توازن وتلازم، يؤدي فقدان إحداهما إلى فقدان الأخرى، فكلتاهما نابعتان من المجتمع لخدمته من خلال ما تحققانه له من حرية

---

1 ـ باعزيز :" حول المعنى الاجتماعي لأعيادنا "، البصائر 285، 1//1374هـ-1954/9/17م

2ـ باعزيز :"الشتاء في الجزائر "،البصائر،ع: 66، ص 2 .

3 ـ المصدر نفسه .

سياسية، وكرامة إنسانية، ورفاهية اجتماعية، ومساواة في تكافؤ الفرص، وتكافؤ اجتماعي. هذا إذا كان النظام السياسي نابعا من المجتمع . أما إذا كان هذا النظام الذي يرفع شعار الديمقراطية، استعمار أقلية لأغلبية يختلف عنها في كل الخصائص الحضارية، فإن موازين التعامل تختلف، فيكال للأقلية بمكيال (الديمقراطية) وللأغلبية بمكيال (الاستبداد والاضطهاد)، فتكون تلك الحكومة قد تحالفت حتى مع العوامل الطبيعية، والظواهر الاجتماعية لإدامة القهر والاستعباد، لاستتباب الاستقرار في الشعوب التي استعمرتها وهذا ما يبينه باعزيز في قوله : والحكومة في الجزائر قادرة على كل شيء إلا على محاربة الفقر، والبرد فإنها عاجزة لا تملك أمامها حولا ولا طولا، وكأنها تريد أن تتخذهما من الحلفاء تستعين بهما لإحراز النصر النهائي على الأعداء، فتأمن الغوائل، ويستقر النظام الذي طالما رأيناها تحاربه باسم المحافظة عليه " ([1]) .

فإن من عوامل حفظ النظام ودوام الأمن – في المنطق الاستعماري– ترك البرد يجمد حركات الأفراد، والفقر يفتك بهم، ويورثهم العجز والمرض، فتضعف فيهم كل مقاومة أو ما يؤدي إليها من تفكير. وهي وسائل الاستبداد السياسي الذي يطوع القهر الاجتماعي لخدمته .

وانتقاصا من قيم المجتمع الجزائري المسلم الحضارية والدينية من ناحية، ثم تبرئة للمستعمر من الرذائل الاجتماعية الفاشية في هذا المجتمع، ترُدُّ النُخب الثقافية الاستعمارية ظاهرة التسول إلى نظرته المستحسنة له، بل عده من مظاهر التدين فيه، خلاف الغرب الذي يزدريها ([2]) .

ثم يبين زيف هذا الادعاء بقوله : هذه الظاهرة مرض اجتماعي خطير هنا أو هناك، وهو حط لا من قيمة صاحبه فحسب، بل من قيمة المجتمع، والقائمين

1ـ المصدر نفسه .

2 ـ باعزيز : "مشكلة التسول"، البصائر،ع: 219 ، 13 / 1372/6هـ 2/27/ 1953م.ص 1 .

على أمره، أما مظاهر العطف في الشرق على السائل،فليست كما تصورها الكاتب [الاستعماري]، إذ أن العناية بالمريض لا تعني تحبيب المرض إليه، فكيف بافة سنّ الإسلام القوانين الاجتماعية للقضاء عليها ؟[1]، فهي - إذن في نظره - ظاهرة مخلة بالقيم الحضارية للمجتمع الراقي، يستهجنها الذوق السليم و الضمير السوي، ويعدها مرضا اجتماعيا، يستنفر نظمه السياسية و الاقتصادية و الأخلاقية للتصدي لها، وتحوّل طاقة المتسول الطفيلية السلبية، إلى طاقة انتاجية، وكفاية العاجز سواء بسنّ القوانين الاجتماعية أو التكافل الاجتماعي .

ومن الأسباب المباشرة لصنع بؤس الجزائريين - كما باعزيز - التدابير الاقتصادية، التي كان يلجأ إليها الاستعمار :" من المعلوم أن المجتمع الجزائري ليس فيه من العدل الاجتماعي بين طبقاته، وعناصره إلا ما كان من هذه التدابير القاسية[ارتفاع الأسعار] التي إذا حدثت في بعض الظروف قال الناس إنها عامة، لم ينج من شدتها أحد، وقسوتها عليهم ... ولكن الصدمة الكبرى إنما يتلقاها في الجزائر أولئك الأهالي الضعفاء المعدمون المعوزون، وهم الذين يؤلفون الأكثرية الشعبية السحقية، حتى أن كل شرّ ينزل يصيبهم، ويحلّ بدارهم، أما الخير و الحسن فلا ينالهم منها شئ " [2] .

فيكشف بقوله المفهوم الزائف للعدل الاجتماعي، إذ أن الإجراء الواحد برفع الأسعار لا يعني مراعاة قدرات الفئات الضعيفة والفقيرة على تحمل تبعاته، خلافا للموسرين الذين تُناسب مداخيلهم الإجراء .

1ــ المصدر نفسه .

2ــ باعزيز : "موجه الغلاء وارتفاع الأسعار بالجزائر"، **البصائر**، ع: 62 ، 2/4/ 1949.

وتفيدنا البيانات و الإحصاءات المتعلقة بالتطور الارتفاعي السريع للأسعار كما يظهرها الجدول الآتي:

"جدول رقم 7 يبين التحولات التي طرأت على بعض الأسعار ،وبالتالي الارتفاعي السريع للأسعار و أثره

	1939	1942	1944	1945
الخبز	3،10فرنك	3،70	8،15	8،88
الزيت	6	17	30	36،25
اللحوم	15،30	23،60	71،50	98،15
البن	15،75	22،40	43،30	31،30

في الواقع الأسعار المذكورة هنا هي الأسعار المحددة رسميا، إلا أن ندوة المنتجات أدت إلى النمو و تنظيم السوق السوداء . وهكذا قفز كنتال القمح من سعره المحدد بـ700و800 فرنك إلى سعر فعلي قدره 2000و3000 فرنك . على إثر ذلك أصبحت أوضاع العمال المعيشية مرهونة بتطور أجرهم " .

- بن اشنهو :"، مصدر سابق، ص 345/344

وكذلك الحد الأدنى لأجور العمال الزراعيين والصناعيين كما تظهر في الجدول الآتي:

ـجدول رقم8 يبين الحد الأدنى اليومي لأجور العمال الزراعيين

صنف	1942	1944	1945
غير متخصص	12 فرنك	20	50
متخصص	14	26	85

كان ارتفاع الأجور متوازيا مع ارتفاع الأسعار، إلا أن القوة الشرائية كانت مرهونة أكثر بمدى توفير المنتجات وتوزيعها إداريا أكثر منها بتحديد الأسعار من قبل السلطات ص 345.

الحد الأدنى لأجر الساعة من العمل لعمال الصناعة :

صنف	1942	1944	1945
عمال البناء	5،50فرنك	13،75	17،90
عامل مصنع للتبغ	8،72	19،25	25،10

ألمصدر نفسه:ص345 .

فكلها صحة حكم باعزيز بن عمر، إذ ينفق العامل الجزائري في ميدان الصناعة – مثلا – أسبوعيا نصف أجرته تقريبا في شراء المواد المذكورة إذا ما اقتصر على القدر الأدنى منها . هذا إن كانت تلك هي أسعار المواد حقيقة، إذ في الواقع أن الأسعار المذكورة هي المحددة رسميا،إلا أن ندرة المنتجات أدت إلى نمو، وتنظيم السوق السوداء .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وكان ارتفاع الأجور متوازيا – أيضا- مع ارتفاع الأسعار إلا أن القوة الشرائية كانت مرهونة أكثر بمدى توفر المنتجات وتوزيعها إداريا أكثر منها بتحديد الأسعار من قبل السلطات (1) . فتؤدي هذه السياسة الاقتصادية بالتحكم في كميات وجود المواد بالسوق، إلى إبطال مفعول الزيادة في الأجور،هذا إن كانت تفيد العامل الجزائري بشيء ذي بال، فضلا عن عموم الشعب البطال والعاجز عن العمل، وهذا ما ذهب إليه باعزيز بقوله:" يعلم الاستعمار أن العنصر الأهلي لا يقوى في مجموعه على مسايرة هذه التدابير الاجتماعية القاسية، ويعلم أن العنصر الأوروبي الذي يعيش في الجزائر، قد أخصب من زمن، وتحسنت حالته الاقتصادية، بما يلقى من تشجيعات، وما ينال من منح مالية لا تتعرض ميزانية الأسرة معها لاختلال بعد أن انتظمت وارتقى مستواها الصحي والاقتصادي ارتقاعا شمل موارد حياتها كلها ... أما السواد الأعظم من فقراء أمتنا، وذوي الأسر البائسة، فلا يرجون هذه المنح [التي تعطى للموظفين بالإدارة الاستعمارية] أو تلك الإعانات؛ لأن البؤس قد وطّن أنفسهم على الصبر، وعلمهم لكثرة ما مارسوه ألا فرق بين العسر واليسر، والشدة والرخاء " (2) .

ومن الآثار الاجتماعية الخطيرة، قلة الاكتراث بتوسع دائرة الفقر والتشرد خاصة بين الأطفال، إذ يوشك أن ينقلبوا إلى آفة اجتماعية، من أعراضها الانتقام من المجتمع الذي لم يفكر في مستقبلهم، ولم يعن بتنشئتهم النشأة الصالحة التي يجنى منها المجتمع الخير(3)،فتكاثرهم ونموهم عبر الزمن، يجعل منم قوة تتفجر طاقتها في أرجاء المجتمع فسادا وعبثا بأمنه وقيمه . ولا ينفع مع هذا التشرد مواجهته بإحسان أفراد من المجتمع " فانتشار التسول والبؤس في المجتمع بهذه الكثرة الضخمة، تهديد مباشر لذوي اليسار فيه حتى المحسنين منهم، إذ يصبح الجميع قلة أمامها لا يغني إحسانها قتيلا في رأب الصدع وجبر الكسر (4) .

1ــ بن آشنهو :مصدر سابق .

2ــ باعزيز : " موجة الغلاء وارتفاع الأسعار بالجزائر " البصائر،ع: 62 ص2، 3 .

3 ــ باعزيز: " في مجتمعنا الجديد"، البصائر، ع:301،ص3 .

4ــ باعزيز : :" المعنى الاجتماعي لأعيادنا " البصائر ص 285 .

ونرى اليوم صحة وجه النظر المذكورة، فرغم أعمال الخير الفردية وحتى الجماعية (هيئات وجمعيات خيرية)، فإنها لم تحُد من الفقر والبؤس؛ لأن مواجهة هذه الأوضاع لا ينفع معها سوى سن السياسيات التنموية الشاملة، والإصلاح الاجتماعي المدروس، مما تلقى فيه كل فئات المجتمع مكانها ودورها، باعتبارها القوى الحقيقية للتطور وهذا أبعد ما كان يفكر فيه الاستعمار، الذي يلجأ-كما قلنا سابقا- إلى حلول شكلية تسكن الداء ولا تعالجه، فتنطلق- في معالجة التسول مثلا - من مسلمة استعمارية، هي نفي أي مسؤولية للاستعمار عن الآفات الاجتماعية، إذ هي ذاتية النشأة، لا دخل له في إيجادها فيقف المسؤولون عند حد إطعام المتسولين مرتين أو ثلاثا في السنة في المناسبات والأعياد، كأنّ إطعام ساعة كاف لسد جوع سنة ([1])، ثم يستغلونه للتنويه به في حفلات مشهودة، وعلى أعمدة الصحف، ثم لا شيء بعد ذلك ([2]) .

فالغاية- إذن - ليست معالجة آفة لا مسؤولية لهم في حدوثها، بل التباهي والرياء الاجتماعي فحسب . وننوه في هذا المقام - حسب ما يرشدنا باعزيز- بقصور الإجراءات الاجتماعية التي يُلجأ إليها في المناسبات بالإطعام والكسوة، إذا ما اكتفينا بها . إذ لابد أن نهدف بالإصلاح الاجتماعي إلى ما يجعل من تلك الفئات قوى منتجة، تكف نفسها عن العطالة، والتطفل الاجتماعي، اللهم إلا من كان منهم عاجزا لسبب من أسباب العجز، لا يقدر معها حيلة أو كسبا، وقد رأينا في المجتمعات الراقية كيف تفجر طاقات كثيرة من هؤلاء ليؤدوا وظائف اجتماعية تكفيهم، قد ينقوى ويتطور بها المجتمع .

أما الحلول الحقيقية العملية المجدية التي يطرحها باعزيز لمشكلات : التسول، واليتم والتشرد، والشيخوخة، فيذهب فيها إلى ما يستأصلها من جذورها بالقضاء على أسبابها، والاحتياط - بالتالي - إجرائيا لآثارها السلبية، مع تحديد المسؤوليات، وإرشاد للوسائل المناسبة .

1ـ باعزيز :"مشكلة التسول في الجزائر " البصائر 219 ص ،

2ـ المصدر نفسه .

فالقضاء على التسول مهمة اجتماعية يشترك فيها المجتمع والدولة، إذا قام المسلمون بواجبهم نحو فقرائهم حسب ما يدعو إليه دينهم من العطف والبر بالفقير والمسكين، وأدت البلدية واجبها الحضاري، فمكّنت الناس من نيل أسبابها، وخيراتها، تمكن المجتمع من الرقي، والانسجام ولا يجد الاضطراب إليه سبيلا، وتأتّى للمتشائم أن يصبح متفائلا، يؤمن بوجود الخير والجمال والعدالة في الحياة([1])، فتقع على أفراد المجتمع المسلم القادرين ماديا مسؤولية دينية أخلاقية، وعلى مؤسسات الدولة مسؤولية سياسية مدنية وليس من الأولوية في شيء التفكير في أوضاع اليتيم بالمبادرة إلى سن قوانين تحفظ عليه أمواله وهو لا يجد مالا لأن أباه مات فقيرا، ولا مدرسة أو ملجأ يؤويانه، ويحميان طفولته من الآفات الاجتماعية المحدقة بها، وإن وجد مالا فقد المدرسة، والبيئة المناسبة لتكوينه وتوجيهه ... فبدون العناية بهذا الجانب الاجتماعي من حياة الطفولة اليتيمة، يبقى كل قانون يسن لحماية أموال اليتيم من الضياع لا جدوى له . لهذا فالعناية الحقيقية ينبغي أن تتوجه لإيجاد العمل لرب الأسرة، وتمكينه من حقوقه كلها، فتحمى الطفولة اليتيمة، وغيرها من التشرد، فيتم بهذا الإنقاذ الحقيقي لليتيم من أخطار اليتم وسوء المنقلب، وحماية عملية لحياته، وحقوقه كلها من عبث العابثين، وشهوات المغرضين، فينسجم المجتمع في رقيه، ونهضته انسجاما يلحقه بالمجتمعات الصاعدة، فيساهم في بناء صرح الحضارة ومدّ أسباب العمران ([2]).

ومن الوسائل الحضارية الاجتماعية التي يراها مناسبة للتعامل مع أوضاع الشيوخ الذين لا مأوى لهم، والأطفال المشردين يقترح إنشاء مراكز لإيواء الشيخوخة والطفولة المشردة، كما هو الأمر في المجتمعات الراقية ([3]).

1ـ باعزيز : " البلدية تمنع التسول "، **البصائر** ،ع: 82، ص 1 .

2 ـ باعزيز :" ليس في هذا من جديد "، **البصائر**،ع: 217، ص 1.

3 ـ باعزيز :" في مجتمعنا الجديد "، **البصائر**، ع: 20،301/جمادي الأولى 1374هـ 14 /1955/1م،ص3.

ولهذا لا يجد غضاضة أو حرجا في التنويه بما بادرت به الدولة مثلما نادى، من إنجاز ملاجئ لاستقبال المشردين بالعاصمة [1]، ويدعو باقي العمالات (الولايات) للإقتداء بهذا الإجراء [2] . وجريا على نزعته الناقدة والمتطلعة إلى ما يرقى الحلول والإجراءات المتخذة، يقترح " تدريب الصغار من الأولاد الفقراء على الصناعة بما يناسب أحوالهم واستعدادهم، إعدادا لهم للنفع والانتفاع، ويشمل هذا الإصلاح ماسحي الأحذية وباعة الجرائد من الصغار " [3] .

وهي اقتراحات منسجمة مع المنهج الإسلامي الاجتماعي الذي يفضل اليد العليا على السفلى، واستثمار الطاقات البشرية في أعمال مفيدة، بدلا من تبديدها في أعمال طفيلية قليلة الجدوى على أصحابها والمجتمع كله، ولهذا ينبغي -استفادة من هذه الآراء السديدة لباعزيز بن عمر- التفكير والعمل على إعادة إدماج الأطفال المشردين والمتسربين مدرسيا، سواء في المدن أو الأرياف في التكوين المهني، والاستعانة على ذلك بالتشريع، والتحسيس عبر وسائل الإعلام، والاتصال المباشر الذي يقوم به المساعدون الاجتماعيون، ومساهمة المجتمع المدني في العملية .

ووفقا لنظرة استراتيجية محكمة يذهب إلى أن مشروع البلدية بإيواء الفقراء المتسولين والمتشردين، وإطعامهم إذا أنجزته فقد أنجزت عملا تمدينيا عظيما يفوق حسن أثر تخطيط البساتين، وتفجير المياه من حولها، بطرق هندسية بديعة، إذ ما قيمة هذا إذا تمتع به فئة من الناس إلى جانبهم يسود بؤس أكثر الناس في المجتمع، فلا يتمتعون بجمالها، بل ينغص، عليهم لذة الاستمتاع بها، والنظر إليها، فلا معنى للحضارة وزينتها وسط ركام من البؤس والفقر [4] . يدل قوله هذاعلى فقه جيد للأولويات، ومثال حسن لتقديم المقصد الضروري على

1ــ باعزيز" البلدية تمنع التسول "، البصائر 82 .

2 ــ المصدر نفسه .

3 ــالمصدر نفسه .

4 ــ باعزيز : البلدية تمنع التسول "، البصائر 82 .

المقصد التحسيني، فإن يكن الجمال ومظاهره من سمات، وشروط النهضة والتحضر، فإنه يبدو نشازا إذا أحاطته مظاهر البؤس، التي يصنعها الفقراء والمتشردون، بشرط ألا تقتصر العناية بهؤلاء على مطالب الجسد وحدها من إيواء وإطعام، كما قد يوحي ظاهر قول باعزيز، بل ينبغي أن يصحبه تهذيبهم وتربيتهم، وترقية ذوقهم الجمالي لأن "للجمال أهمية اجتماعية هامة، إذا ما اعتبرناه المنبع الذي تتبع منه الأفكار، وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار وأعمال الفرد والمجتمع"([1]).

وقد يكون مثل هذا الرأي وراء ما ذهب إليه باعزيز بن عمر، من أن مصلحة السياحة التي تُعنى كل العناية بتوفير وسائل الراحة للأجانب السواح الوافدين على الجزائر لتغريبهم بالعودة إليها، رغبة في مضاعفة دخل البلد، كان من المفروض عليها أن تدرج ضمن برامجها السياحية تطهير البلاد من مناظر الطفولة والشيخوخة البائستين التي تؤلم الزائرين الذين طالما اشمأزوا منها، ومن كثرة ما يعترضهم من متسولين، وأطفال متشردين محترفين مسح الأحذية ([2]).

ودون توضيح مراده بهذا التطهير، فلا شك أنه يريد به عناية الدولة بهؤلاء على نحو ما ذهب إليه آنفا، فتبدوا معه صورة البلاد راقية عمرانيا، واجتماعيا، وطبيعيا، مما يجعلها ملائمة للنشاط الاقتصادي السياحي.

يمكن اعتبار ما ذكر باعزيز من أسباب الانحراف والآفات الاجتماعية، أسبابا خارجية أي أن الاستعمار هو سببها لكنه لم يغفل دور الأسباب الداخلية لبعضها، مثل تشتت الشباب وانبهاره بالجوانب السلبية في الحضارة الغربية، فوقعوا في الاستلاب الحضاري على المستوى النفسي والسلوكي والفكري، يقول: منهم من فتح عينيه على مظاهر المدنية الغربية فسحرته واستغوته، فاستعار مظاهرها، وارتكب آثامها، وتبع طرقها فانفصل عن أسرته، ومجتمعه فكل ما فيه صارا باليا يُنبذ ظهريا فهؤلاء استلتهم المدنية الغربية منا كما يستل الناسل الخيوط

1ـ بن نبي مالك : **شروط النهضة**، ص 92.

2 ـ باعزيز :" الضمان الاجتماعي في الجزائر "، **البصائر**،ع: 313، 1955/4/8،ص3.

من الثوب، فباتوا يعتبرون كل ما ندعو إليه، ونتمسك به من هذه المقومات لغوا باطلا ولهذا لا يجرؤ على انتقاد الذين فُتن بتقليدهم، والسير على غرارهم من شباب الأجانب(1).

فاستغواء المدنية الغربية لشبابنا ظهر في انحراف أخلاقه، وغربته الاجتماعية والنفسية والفكرية عن مجتمعه، الذي بات ينظر إلى مقوماته الحضارية بازدراء، والتعلق بمقومات الحضارة الغربية على اعتبارها الأصلح والنفع .

كما يرجع انحطاط شبابنا -أيضا - إلى مظاهر العطلة والكسل وقصور الهمة عن اقتناص فرص الحياة الصحيحة، فيقول : "تصور كثير من مظاهرنا الاجتماعية، ومنها أحوال شبابنا في الشوارع والمقاهي جانبا كبيرا من حياتنا الأهلية الاجتماعية تصويرا مشوها اتخذ مطعنا من الأعداء في شخصيتنا بوصفنا شعبا يتوق إلى النهضة والرقي الاجتماعي، والأخذ بأسبابه من اهتبال فرص الحياة الصحيحة، ونبذ الكسل والخمول، وسبب ذلك فقدان الشباب للتوجيه الشامل لفقد أسبابهما، ومعاكسة الاستعمار لهما (2). فينبغي - إذن - تأمين التوجيه الصالح، والبيئة الاجتماعية المناسبة للشباب كي يستقيم سلوكه وفكره، ويتجه الوجهة الصحيحة .

خلاصة القول: أن باعزيز بن عمر تفاعل مع قضايا مجتمعه الاجتماعية استقراء، وتشخيصا، وتحليلا، ومعالجة، وفق رؤية فكرية إصلاحية إسلامية، تمدها ثقافة عصرية مكنته- على تواضعها - من النظر إلى تلك القضايا في سياقاتها الاجتماعية والحضارية، فبرهن على واقعية الفكر الإصلاحي، ودنيويته كذلك استماتته في مواجهة المشروع الاستعماري في المجال الاجتماعي - على غرار باقي المجالات - بما يفيد إبطال دعواه الزائفة في نقل الحضارة إلى المجتمع الجزائري، فيكون بذلك قد نقض أهم ذريعة يتذرع بها أمام الرأي العالمي لإدامة استعماره للشعوب المتخلفة .

---

1 ــ باعزيز : الرقي الاجتماعي وحظنا منه "، **البصائر**،ع: 68 ، ص 2 .

2 ــ المصدر نفسه .

ونعتقد أن تركيز فكر باعزيز على هذه الأطروحة الاستعمارية المضللة في مجمل عطائه الفكري، وحده يحسب له إنجازا فكريا محمودا، ولو جاء زهيد التفصيل في المشكلات وحلولها .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

فكر باعزيز التربوي والثقافي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبـــحث الأول

التعلـــيم و اللـــغة

قارب باعزيز المسألة التعليمية و المسألة اللغوية (العربية)، مما كان يشغل الفكر الإصلاحي آنئذ من خلال ملاحظات متفرقات، فعبّر بها عن وجهات نظره حولها، بما يناسب موقعه بوصفه مربيا وكاتبا إصلاحيا. وقد حصرناها في الفروع الآتية:

1- من قضاياالتعليم -2- تعليم الصغار -3- تعليم المرأة -4- الزوايا - 5- التعليم الريفي -6- اللغة العربية.

المطلب الأول: قضايا في التعليم: يواصل باعزيز منهجه الاحتجاجي الذي يدين فيه الاستعمار وسياساته ومواقفه، وينال التعليم حظه - أيضا- من هذا الأسلوب. فيرى أن التعليم والتثقيف سلاحان ماضيان يخشاهما الاستعمار على نفوذه " إذا ملك الأهالي شيئا منها أمكنهم أن يفتحوا أعينهم على ما يعمل له الاستعمار بين سمعهم وبصرهم من إبقائهم جاهلين، عبيدا لا يصلحون إلا أن يكونوا آلة صماء في يده، لا علم ولا تربية ولا ثقافة؛ لأن وجود شيء من هذا بين يدي أبناء المستعمرات، يدفعهم للتمرد على نظمه التي سنها، لانتزاع الثقة من نفوسهم، وجعل قلوبهم هواء ليس فيها معنى الشعور بعزة الحياة " (1)، فطبع الاستعمار يمنعه من احتمال رؤية أبناء البلاد الأصليين تنفتح أعينهم على واقعهم بعد أن تبصر نور العلم، والدين، والثقافة*، فينهضوا لتغييره. ثم يدّعي مع هذا السريان

---

1 ــ باعزيز:" اللغة العربية بالمدارس الثانوية"، **البصائر**،ع:10، 11/28/ 1366هـ-1949/3/28م.

* الغريب أن سلوك الاستعمار الفرنسي في هذه الناحية استمر إلى تاريخ متأخر من القرن العشرين، فجزر القمر ــ مثلا ــ التي جلا عنها سنة 1975، لازال التعليم فيها يعاني معاناة شديدة، والأمية فاشية فيها على أوسع نطاق، كل هذا بفضل التمدين والتحضير الفرنسي لرعاياها .

المتواصل للتعليم، لكن ثبت بتقرير رسمي وحجج دامغة، وبيانات وافية أن عدد الأطفال الذين هم في سن التمدرس، وهم خارج المدارس يزيد عن المليون طفل، فأين الديمقراطية أو العدالة الاجتماعية في هذا ؟(1)*

ولما تحولت زيادة السكان في الجزائر إلى أمّ المشكلات، ينتقي منها الاستعمار في كل ناحية ما يفيده في الاحتجاج، ولتبريرعجزه بالوفاء بالمطالب والحاجيات، فإنها سبب التقصير أيضا في هذا الجانب. كما يذهب باعزيز في قوله: جعل المستعمرون من ظاهرة نمو النسل بالجزائر محور حديثهم عن مستقبل الجزائر، فانتزعوا منها مثلا ما يبرر عجزهم عن تنفيذ مشروع التعليم، الذي زعموا قدرته على حل مشكلة التعليم بالجزائر . . . والحقيقة، فإن العناية بالتربية، والتعليم عندهم تأتي في الدرجة الثانية بالنسبة للعناية بالبحث عن موارد جديدة للاقتصاد الجزائري، كالنظر في استغلال الصحراء وإحالتها إلى جنات تجري من تحتها الأنهار، مما يصادف هوى الفئة المستعمرة من القدم؛ لتملأ خزائنها(2).

فالنزعة الاستغلالية للثروات تغلب عليهم، فلا حيلة لهم معها،حتى وإن بقيت الأجيال تتخبط في ظلمات الجهل فقيرة من " العلم والدين . . . وهما أقوى ما لدى الإنسانية من التراث الخالد للخروج بها من الظلمات إلى النور في هذه الحياة، وإن هزيمة هذين السلاحين أمام شهوات الإنسان، وأمراضه الفتاكة بالإنسانية، لخليقة أن تكون من النذر الأولى بما يهدد عالم اليوم من شر المآل وسوء المصير"(3)، ونحن نرى اليوم معاناة البشرية من غيابهما عن المجتمع المعاصر معا، فإن حضر العلم وحده غاب الدين فاستشرى الانحلال والاستكبار، وإذا حضر الدين مشوها غاب العلم وعمّ الجهل.

---

1 ــ باعزيز: " مشكلة التسول في الجزائر"، **البصائر**219 .

* قارن بالإحصاءات التي ذكرناه في فصل التعليم، عن نسبة أطفال المدارس، والتي بلغت عشية الاستقلا37 %(أقصى نسبة)، بفعل الضغط الثوري، والنفاق الاستعماري .

2 ــ باعزيز: " نمو النسل في الجزائر"، **البصائر**،25.

3 ــ باعزيز : " مقاومة آفة الكحول "، **البصائر**، 294.

ومن قضايا التعليم التي ترددت في فكر باعزيز، المفهوم الواسع للعلم في القران فقد حث – كما قال باعزيز – " علىطلب العلم في كثير من اياته بلا قيد ولا شرط ليتناول ذلك العلوم الدينية وغيرها من العلوم الكونية التي تخدم العقل والروح معا، وتمكّن الإنسان من دراسة مظاهر الكون والوقوف على أسراره العجيبة من كل ما خلق الله من إنسان وحيوان، وقد سار المسلمون أولا على نهج القرآن في طلب العلم، فكان منهم علماء في كل فرع من فروع العلم، فأفادوا بذلك البشرية وخدموا الفكر البشري، ورفعوا مستوى العقل إلى أسمى درجاته، وتركوا ذكرا جميلا بعد أن فجّروا أنهار العلوم تفجيرا، إذ درسوا الفلسفة، والطبيعة، والرياضة، على ضوء الدين، ونظروا في الآداب والفنون على ضوء الخير والجمال، وكانوا في كل هذا متصفين بقوة الملاحظة والاستقراء وبعد النظر، والتجويد والقياس الصحيح إلى غير هذا مما تقيده دراسة هذه العلوم الكونية"([1])، فعلى هذا قام المنهج الإسلامي العلمي، وتأسست حضارته، فآيات كتابه المقروء وجهت العلماء إلى قراءة كتابه المشهود(الكون)، وبالقراءتين رسمت المعرفة الإسلامية أيام الازدهار، والنموذج الأمثل لتكامل علوم الدين والدنيا.

ومنها – أيضا – بيانه لغاية التعليم كما رسمها القرآن وسار عليه النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: تربية نفس المتعلم وتقويم أخلاقه، وتهذيب ذهنه، مع قدرته على توليد أفكار جديدة، واستنتاجات خاصة، كلما تقدم في سبيل العلم ومراحل الحياة، وما المسائل الدقيقة، والمعلومات الصحيحة التي تُستفاد مع ذلك إلا فوائد ثانوية تأتي في التعليم عفوا بطول الدراسة، وهذا هو أسلوب القرآن الذي اتبعه النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم أمته، وإعدادها للخير، وتلوين الشخصية([2])، والنص لا يكتفي بذكر تلك الغايات، إنما يتعداها إلى المنهج في التعليم، الذي يرشد فيه إلى إيلاء العناية لتكوين العقلية العلمية القادرة على التحليل

---

1 ــ باعزيز: "الإسلام في ديمقراطيته ونظمه الاجتماعية"، البصائر،84.

2 ــ باعزيز: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،ص115.

والاستنتاج، أما تفاصيل وفروع وجزئيات العلم فثانوية، تُكتسب عبر التدرج في الدراسة.

وبالطبع لا يمكن التسليم بوجهة النظر هذه، إذ العلم منهج للتعلم، ومعلومات تدرس، وما جُعل الأول (المنهج) إلا لخدمة الثاني (العلم)، فإن لم نولها العناية اللازمة، فكيف يتقدم المتعلم، اللهم إلا أن يكون في قوله إشارة إلى الطريقة التي اتفق عليها ابن باديس و الإبراهيمي في تعليم الناشئة، بالوصول بها إلى الفهم الصحيح ولو بعلم قليل*، فعندئذ يُنظر إلى قوله في سياق الظرف التاريخي، الذي ورد فيه لا على إطلاقه، بوصفه قاعدة في التربية والتعليم.

كما أرشد إلى عوامل نجاح التعليم وهي:- تأسيس لجنة تسيير للبرامج وإصلاحها- أن تكون مواده صحيحة مبوبة ومنظمة- أسلوب المعلم ينبغي أن يكون ملائما لعقل التلميذ- سلوكه يتحرر فيه تحررا زائدا يشمل مواقفه كلها ومظاهره، وشخصيته، وهندامه، وصوته، وكيفية وقوفه(1) .

تتناول هذه العناصر بعض أركان العملية التربوية التعليمية، وهي المنهاج- الوسيلة(الكتاب هنا)- أسلوب التعليم-المعلم، دون التعرض لركن مهم وهو التلميذ/المتعلم. فأما المنهاج فلابد من مراجعته من ذوي الاختصاص باعتباره يمثل الاختيار الدقيق لعدد قليل من المواد التي يجب تعليمها من بين مواد عديدة(2)، وتُراعى في هذا الاختيار اعتبارات عدة لا يقدر عليها غير المتخصصين . أما أسلوب التعليم فاقتصر فيه على سمة واحدة، وهي التيسير والبعد عن التعقيد، مع

---

*يقول الإبراهيمي:" كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعاتنا بالمدينة المنورة في تربية النشء ألا نتوسع له في العلم، وإنما نربيه على فكرة صحيحة، ولو مع علم قليل"

ـ الإبراهيي، محمد البشير: " أنا" ،مجلة الثقافة،ص21.

1 ـ باعزيز :**سجل مؤتمر العلماء**، ص126.

2 ـ حجازي،هدى عبد السميع:" التحيز في المقررات الدراسية"، في المسيري(محرر)، إشكالية التحييز ط1،الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1417هـ-1996م،ج1، سلسلة المنهجية الإسلامية رقم (9)،ص87 .

وجود غيرها كالدقة والوضوح، وسلامة النطق. وأصاب في تركيزه على أهم سمات المعلم، وهي أن يكون القدوة الحسنة لتلاميذه، ومراقبة نفسه في مخبره ومظهره، خاصة أثناء تأدية وظيفته التربوية.

ويوجه المعلم لمعاينة مستوى تلاميذه بالاختبار فبه يعرف توجيه التلميذ والاطلاع على استعداده، فيُوجه من لا استعداد لديهم إلى تعلم الصناعة، كي لا يعرقلوا سير التعليم ببلادتهم؛ إذ كثيرا ما يكون أصل بطء النتائج في قسم كامل ضعف تلميذ أو تلميذين. وعلى المعلم ملاحظة أخلاق التلاميذ داخل وخارج القسم دون تكلف، حتى يضع التأديب والزجر في محلهما، ويسجل الملاحظات التي يستعين بها على عمله التربوي([1]). ويؤكد صحة نظرته في توجيه من تثبت بلادة عقله، وانحطاط مستواه التعليمي لتعلم الصناعة أو ما يُعرف اليوم بالتكوين المهني، الخطأ الجسيم الذي وقعت فيه بعض الأنظمة التربوية، حيث اعتمدت النجاح أو الانتقال من مستوى إلى آخر بمقتضى النسب، لا بحقيقة التحصيل والمستوى الحقيقي للتلميذ، فدفعت أجيال الثمن، نتيجة التسرب المدرسي، والتوقف الدراسي عند مستوى النهائي ثانوي، ثم الخروج إلى ميدان الحياة دون مستوى علمي ذي شأن، وفوات فرص التكوين المهني المناسبة، فخسر المجتمع طاقات كبيرة جدا تحولت إلى أعباء لا احتمال لها، وإلى مصدر اضطراب وقلق وفوضى فيه. كما ضاعت آلاف مصادر الأرزاق بقلة ذوي الصنائع الذين من المفترض أن يوفرهم التكوين المهني، وانحط مستوى الخدمات في المجتمع. و ها هي ذي الأنظمة التربوية ذاتها تكرّ عودا على بدء لهذا التوجيه البسيط الفعال الوارد في سياق تحليلنا لنظرات باعزيز التربوية التعليمية.

أما ملاحظته حول دور ووجوب متابعة المعلم لأخلاق تلامذته خارج القسم، والتأديب بناء على ما يبدر من التلميذ مما يستحق عليه التأديب، فكم أفادت في أزمنة مضت، حين كان المعلم يمارس دورا أخلاقيا اجتماعيا، إلى جانب ممارسة

---

1 ــ باعزيز: **سجل مؤتمر جمعية العلماء**، ص125.

دوره التربوي، دوره داخل المدرسة. وتضييعا لهذا المبدأ نلاحظ -عكسه- بتركيز فكرة انتهاء مسؤولية المعلم عن التلميذ، وسلطته عليه بمجرد خروجه من القسم، ومن حصة المعلم نفسه، في أذهان الناشئة، وهي إساءة للتربية ابتداء، وتخسيرا للأجيال والمجتمع.

كما تناول مسألة(بيداغوجية) في غاية الأهمية، وهي أثر الامتحانات على نفسيات وعقول التلاميذ، فقال:" أما في المجتمعات العريقة في المدنية والحضارة، فإن موسم الامتحانات يحل ويذهب كشيء طبيعي عادي يتلقاه التلميذ تلقيا عاديا من غير أن يشعر بأدنى ضغط عليه من طرف ذويه وأساتذته، بقصد إرهاقه وإجهاده في آخر ساعة، وإكراهه على السهر الليالي الطوال في المراجعة والحفظ واستذكار الدروس، ذلك أنهم جميعا يعلمون أن طرق الحياة معبّدة أمام الجميع، وأن التلميذ إذا لم ينجح في العلميات، فلا يصعب عليه أن ينجح في الصناعيات أوالزراعيات، وما إليها من أعمال التجارة وأنواع الوظائف، كما أن ما يبديه أثناء السنة الدراسية من مواظبة وانكباب على دروسه هو الذي يجب أن يتوقف عليه نجاحه، في أي مرحلة من مراحل التعليم، لا ما يحاول أن يبديه آخر السنة من نشاط مصنوع عابر"([1]) .

ونلاحظ من موقع التجربة الأثر البالغ السوء على المستوى التعليمي لدى المتعلمين في مختلف المراحل، خاصة الجامعية منها، نقصد عادة تراكم الدروس، والهجوم على مراجعتها ومحاولة فهمها في الأيام والليالي السابقة وأثناء الامتحانات، ونتائجها الوخيمة على نفسياتهم وعقولهم، والانحرافات التي تجرها كاللجوء إلى أساليب الغش وتبعاته، حتى ليمكن عدها من أخطر أسباب ضعف المستوى التعليمي اليوم، فلا المتعلم يحصّل علما حقيقيا، ولا يجتاز امتحاناته في ظروف مناسبة لائقة نفسيا.

---

1 ــ باعزيز: "موسم الامتحانات"، البصائر، ع: 323، 1374/10/26هـ-1955/6/17م.

ومن الأساليب الخاطئة التي طالها نقده الاقتصار في تعليم القرآن الكريم على كتابته وقراءته وتحفيظه ، إذ أنها لا تمس عقل المتعلم، ولا تُعنى بتوجيه تفكيره. ومزج ما يتلقى بروحه، ولا تُعده ليكون عضوا عاملا لنفسه أو المجتمع. ولا تقصد ربطه بإحكام بأمته، أو السمو بعقله وعاطفته، وخلقه وسلوكه مع الله، والناس([1])، فكأنها تعمل على إنتاج آلة مسجلة لا تفقه معاني ومقاصد القرآن، من بناء الإنسان الصالح، والمجتمع المتحضر.وقد حاولت حركة الإصلاح في منهجها التربوي، تلافي هذا النقص المعيب في أسلوب تعليم القرآن السائد في العالم الإسلامي حينئذ*.

كما يأخذ على المعلمين تعليمهم لغة بأخرى، فقد أثبت الزمان عقمها؛ لما في هذا الطريقة من فساد الملكة اللغوية، والتلقين الناقص في المتعلم، ومن خطر على اللغة يشل العقل، ويعطل الذهن عن التفكير المنظم، ويطمس على المواهب([2])، ومعلوم أن مما يوصي به الباحثون التربويون تجنب هذا الأسلوب، فمنعته التوجيهات التربوية الصارمة على المعلمين .

وردا على سؤال ورد إليه حول حفظ(مقامات الحريري) من قبل الناشئة المتعلمين بقصد تجويد الملكة اللغوية، وأسلوب الكتابة، بيّن الأثر السيئ للاعتماد على مطلق الحفظ على الموهبة فقال:" نجد صنفا من الناس يطغى عليه الحفظ الكثير للشعر وغيره، ولكنه حين يحاول التأدب يأتي أدبه صورة لما حفظه، جيده

---

1 ــ باعزيز: **سجل المؤتمر**،ص120.

*قال ابن باديس ناقدا هذه الطريقة العقيم: " ودعانا القرآن إلى تدبره وتفهمه، والتفكر في آياته، ولا يتم ذلك إلا بتفسيره، وتبيينه، فأعرضنا عن ذلك، وهجرنا تفسيره وتبيينه، فترى الطالب يفنى حصة كبيرة من عمره في العلوم الآلية[كالنحو والبلاغة]، دون أن يكون طالع ختمة واحدة في أصغر تفسير كتفسير الجلالين مثلا، بل ويصير مدرسا متصدرا ، ولم يفعل ذلك" .

-ابن باديس: **تفسير ابن باديس**، ط 3؛(د.م):دار الفكر، 1399هـ ــ1979م ص283.

2 ــ باعزيز:" اللغة العربية والدين بالجامعة الجزائرية"، **البصائر**،ع: 5 جمع وترتيب: شاهين، توفيق محمدو رمضان، محمد الصالح. 11/28/ 1366هـ/1949/3/28م.

و رديئه، فتضيع مواهبه الفطرية، وشخصيته الأدبية ([1])، وهذا بعدم استقلال أسلوبه، ومنح مواهبه، فرص التعبير عن حقيقتها وقدراتها. وعليه يرى أن الأسلوب الأفضل يتمثل في أن ليس الطريق إليهما حفظ كل ما أنتجه الأقدمون، بل هو البحث، والدرس، والذوق السليم، والاستعداد الفطري الموهوب . وليس احتذاء الأقدمين في كل ما سلكوه هو الطريق إلى ذلك، ما دام السبق إلى الغايات شأن الأولين والآخرين . والإمامة بعلم ليست بقوة الحفظ فحسب بل يجمع إليه قوة التمييز بين الصحيح والسقيم، والاستقلال في الفهم الخاص به ([2]) .

نستنتج من قوله الأهمية الكبيرة التي يوليها لتنمية الموهبة، وفتح الطريق أمام الاستقلال الفكري والإبداع، فهُما مما يحقق الإضافة الحقيقية للعلم والأدب، والحياة الاجتماعية أما الحفظ وحده فلن يعطي سوى إعادة إنتاج المحفوظ، وقد يأتي في شكل رديء.

والنظرة نفسها ينظر بها إلى تعلم الفقه وعلوم الشريعة، فيرى أن الجمود على ما يتلقاه من يتلقى الفقه والعلوم الشرعية على فروع الفقه، وغيره. تعارض تقويم العقل وتهذيب الفكر، ولا تدفع الهمم للرقي العلمي([3])، يصب هذا الرأي في الدعوة للاجتهاد والتجديد اللذان هما من أكثر مسائل الحركة الإصلاحية وضوحا في منهجها. فلا بد لذلك من دُربة للعقل بالعودة إلى مصادر الأحكام الشرعية في مقدمتها (القرآن والسنة)، وإحكام مناهج الاستدلال، وقواعد الاستنباط، ومعارف متنوعة، يحتّم الإلمام بها ضرورات الاجتهاد، والإفتاء والدعوة والإصلاح.

---

1 ــ باعزيز:" مقامات الحريري وتنشئة الأدباء"، **الشهاب**،م11،ج11،1/11/1354هـ1/2/1936م. ص602،601.

2 ــ المصدر نفسه.

3 ــ باعزيز: " في إصلاح التعليم"، **الشهاب**،ج9م11،1/9/1354هـ1/12/1935م ،ص506،505.

المطلب الثاني: تعليم الصغار:

رأينا سابقا في مبحث التعليم الثورة التي أحدثها ابن باديس وجمعية العلماء من بعده في ميدان التعليم، خاصة منه الموجه للصغار، فكان أكثر الميادين التي نشط فيها الإصلاح، انطلاقا من مسلّمة ابن باديس حول أساسية التربية والتعليم لكل إصلاح يليهما. ومن ثمة كانت تعقد لهذا النشاط المؤتمرات التعليمية، وتُلقى الخطب، فتطرح فيها الأفكار، وتدرس الحلول، ويدلى فيها كل بدلوه.

و باعزيز بن عمر الذي مارس التربية والتعليم – كما رأينا – كان أحدهم، فلطالما أبدى آراء، وقرر حقائق، وقدم توجيهات في هذا المضمار، منها رأيه حول أهمية التعليم الابتدائي، فهو أساس النبوغ، وأصل العبقرية، لذا كان الاهتمام به زائدا، وتهذيب مناهجه متواصلا لدى الأمم التي تفقه معنى الحياة، وتعرف وجودها ومركزها في العالم، وفيه تُتقن المبادئ الأساسية جيدا، لأن ما يفهم ناقصا يصعب فهمه فيما بعد، وما الضعف الذي يبدو على بعض الناس في بعض العلوم إلا سببه عدم تثبتهم من فهم المبادئ منذ البداية، فالأمم الراقية – لهذا – تتنافس في ترقيته وتعميمه، والإنفاق الواسع عليه، وجعله إجباريا. وهو لا يختلف في حاجتنا إليه عن حاجتنا للضروريات الحيوية الجسمية(1).

فيؤكد – بقوله – ما للتعليم القاعدي(الابتدائي) من قيمة حاسمة في بناء فكر الناشئة، وتحديد مستقبل الأمة به، ودوره – أيضا – في ترسيخ مبادئ العلم بالأذهان، فكانت الحاجة إليه ضرورية كحاجة الجسم في مراحل النمو الأولى للفيتامينات التي يتوقف نموه السليم عليها.

فكان لمثل هذا التوجيه دوره في تحديد جمعية العلماء أهدافا للتعليم في مدارسها، ووضعها برنامجا قائما على شعب ثلاثة هي:-1- تربية إسلامية متينة

1ـ باعزيز: **سجل المؤتمر**،ص117.

منضمة –2– ثقافة عربية ابتدائية –3– مبادئ أولية للمعارف العلمية([1]) لهذا ارتقى الإسلام به لمنزلة الواجبات، كما يقول: " أما الإسلام فقد فرضه[التعليم الابتدائي] فرضا بما فوق معنى الإجبار، لأنه إن جاز لأحد من غير بني الإسلام، أن ينشأ جاهلا، ويموت كذلك، فلن يجوز لمسلم يتطلب منه دينه تكاليف فردية، واجتماعية، لا يسقطها الجهل عليه، ولا يمكن أن يؤديها، إلا بالتعلم والتعليم "([2])، على معنى أن العلم فريضة شرعية على المسلم، والتعليم الابتدائي، بما يضمنه من تلقي مبادئ لا تصح عبادة المسلم إلا بها، ذلك هو القدر المشترك بين المسلمين جميعا عليهم السعي لتحصيله، وعلى أولى الأمر توفير فرصه ووسائله.

لكن هذه الوسائل إذا لم تكن مناسبة للعملية التعليمية أثرت سلبا على نوعية ومردودية التعليم، كالحال التي عليها في الكتاتيب آنذاك، فهي أبنية تحت الأرض وفوقها، تلقن الأطفال الذين يلتحقون بها في سني الثالثة ثم الرابعة أو الخامسة، تلقنهم القرآن تلقينا مشوها، وتدربهم عليه تدريبا محرفا، وأحوال منفرة من جلوس، وسوء نظام، ونظافة، وانعدام وسائل الصحة، ولا مواقيت معينة في الدخول والخروج، ولا اختبارات، ولا تشجيعات مادية أو معنوية تنشّط النشء([3])، فالأسلوب موحش منفر منحرف، عن قواعد التعلم السليمة، إذ يقوم أساسا على دور الذاكرة في استيعاب الحفظ دون بذل أي عناء في فهم ما يحفظ([4])، أما الوسائل فبالية، والظروف منحطة مزرية، والنظام والانضباط والتحفيزات منعدمة، وكل ذلك محبط لنفوس الناشئة، مضيع للفائدة، مشوه للعلم.

وقد كان لهذا التشخيص وأمثاله الدور في نقل التعليم بأطواره إلى مدارس الجمعية، والمعهد الباديسي، والارتقاء بوسائله وأساليبه، فكانت بحق المدرسة

1ـ عشوي، مصطفى: **المدرسة الجزائرية إلى أين؟** (د.ط)؛الجزائر:دار الأمة،(د.ت).،ص37.

2 ـ باعزيز: **سجل مؤتمر الجمعية**،ص117.

3 ـ مصدر نفسه .

4 ـ عشوي، مصطفى : مصدر سابق،ص62 .

الباديسية تجربة رائدة بالجزائر في التجديد التربوي والتعليمي*.

كما اقترح -أيضا- لحفظ القرآن استبدال المصحف والحفظ منه بالألواح الخشبية، فتعليم القرآن عليها فيه تضييع لوقت المعلم والمتعلم، فالأولى تلقّيه من المصحف قطعا قطعا، وسورا سورا، مع إشراف المعلم على نطق التلميذ وحفظه مرتين أو ثلاثا، فيتعود على القراءة من المصحف، ويتقن الحفظ، ويعلم بقواعد التجويد، ومخارج الحروف، وتفسير يناسب أفهام التلاميذ(1)، واقتراحه هذا هو المتبع اليوم في معاهد علمية متخصصة في تحفيظ القرآن الكريم، ليرتبط المتعلم بالقرآن في نصه الكامل بالمصحف نظرا وقراءة وفق قواعد الترتيل، وربما فهما إذا أضيف له تفسير ميسر: فينشأ -بذلك- المتعلم جامعا للحفظ والفهم معا.

المطلب الثالث: تعليم المرأة:

أبدت جمعية العلماء عناية فائقة في تعليم البنات والنساء، وتشجيعا للأولياء على ذلك قرر ابن باديس أن يدرسن مجانا بمدارس الجمعية، حتى الموسيرات منهن. وقد لاحظت الإدارة الاستعمارية-كما دلت الوثائق- نشاط الجمعية في هذا الصدد، فأوردت إحصاءات عن عدد المتعلمات بمدارس الجمعية، ووجود دروس خاصة بالنساء في المساجد(2) .

وقد اتفقت أقوال المصلحين في موضوع تعليم المرأة لحاجتها والمجتمع إليه، لأن تعليمها- كما يرى باعزيز- وتثقيفها بالثقافة الإسلامية العالية يحي فيها النبوغ الذي كانت عليه أسلافها، ونبوغها لا يقل في دائرتها عن نبوغ الرجل(3).

---

* مصدر نفسه .

1 ــ باعزيز: **سجل مؤتمر**، ص125 .

2 ــ مطبقاني، مازن صلاح، مصدر سابق، ص109.

3 ــ باعزيز: "يوم الجمعية الخيرية الإسلامية"، **الشهاب**، ج2، م10، 11. 1354/2/1هـ-1935/5/5م.

إلا أنه يرى لنوعية ما تتعلمه خصوصية، فلا بد من مراعاة الطبيعة الخاصة بالناشئة في التربية المدرسية، فنفرق بين الطبيعة الخاصة لكل جنس(1)، وفضلا عما يشير إليه هذا الرأي من طابع المحافظة التي تطبع المجتمع انذاك، خاصة في موضوع المرأة عموما، حتى ليُعد الخروج بها للتعلم والمناداة به موقفا يستحق التقدير. فإن باعزيز تابع في هذا لرأي أستاذه ابن باديس الذي يرى "أن نعلمها ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها، ونربها على الأخلاق النسوية، التي تكون بها المرأة امرأة، لا نصف رجل ونصف امرأة، فالمرأة التي تلد لنا رجلا يطير خير من التي تطير بنفسها... تعليم البنات تعليما يناسب خلقتهن، ودينهن، وقوميتهن" (2).

وقد لاحظت وثائق الإدارة الفرنسية أثر هذا التوجيه الباديسي، حيث احتوى برنامج تعليم الفتاة على المبادئ الأساسة للتعليم، ومبادئ الأخلاق، والتدبير المنزلي، ورعاية الطفل، وغير ذلك(3)، ولا نعرف رأي -باعزيز- في توسع المرأة في التعليم خاصة فيما يحتاجه المجتمع من نتاج علمها.

المطلب الرابع: تعليم الزوايا

نظرا لتخرجه في الزاوية -كما سبق القول- كان على إلمام بأوضاع الزوايا*، ونوعية التعليم فيها، وما منه صالح يحافظ عليه وما ينبغي إصلاحه. فيعرّف الزاوية بأنها "اسم جامع لمكان بقطع النظر عمن يجمعه هذا المكان من المنزوين إليه، هذا من حيث الوضع اللغوي أما من حيث الوضع الاصطلاحي فالزاوية، اسم لكل حجرة تجمع طائفة من الناس ذات مبدأ خاص، ومقاصد خاصة

---

1 ــ باعزيز: "في الحياة الاجتماعية"، **الشهاب**،ص10.

2 ــ ابن باديس: الآثار ج5، ص441.

3 ــ مطبقاني: المصدر نفسه،ص109.

*كتب بالشهاب مقالات عديدة عالج فيها التعليم بالزوايا، وعلاقة طلبتها بالإصلاح، وجمعية العلماء وهي:- 1-شعور طلبة الزوايا بالزواوة نحو جمعية العلماء:ج8،م7 .-2-الزوايا بالزواوة وما هي الأرقى منها:ج11،م7 .-3-الزوايا بالزواوة:ج1،م9 .-4-الزوايا بالزواوة:ج2،م9 .-5-الزوايا بالزواوة:ج3،م9 .

قد تكون أو يكون بعضها حسنا"[1]، فهذا التعريف شديد الإيجاز* غير جامع ولا مانع، فيبدو على صاحبه اعتماده على فهم أهل زمانه للزاوية. لكن لا يمكن اعتماده تعريفا اصطلاحيا لها.

أما أعمالها فتنحصر في أمرين هما: الأول: ما يشيع فيها من أعمال منكرة من رقص، وتصفيق، وضرب بالدفوف. الثاني: قراءة العلم، وتحفيظ القرآن، وتعليم علوم العربية والشريعة، وإقامة الشعائر الدينية، وإطعام الفقير وابن السبيل، وهو أمر اجتماعي إسلامي صحيح، ولأجله أُسست الزوايا بزواوة[2]، فمنها- إذن- الصالح والطالح، وأكثر زوايا منطقة زواوة من النوع الثاني*، فقد أسست منذ القدم لقراءة القرآن، وما يستلزمه من علوم العربية والشريعة، وأوجدها مؤسسوها بإيمان ثابت، وهمم عالية، بأموال أهل البر والصلاح الذين التزموا بمدها بهبات منتظمة . ومؤسسوها رجال عظام عرفوا بالصلاح والتقوى، ويسهرون على خير الإنسانية [3] .

---

[1]- باعزيز:"الزوايا بالزواوة" **الشهاب** ج1،م9 ص14 .

*قارن بالتعريف:الآتي الزاوية كالرباط،أبنية أعدت للتدريس الابتدائي،وحفظ القرآن،ولسكنى الطلبة، يخصص لنزول المسافرين بها قسم.وفيها مسجد تقام فيه الصلاة،وتلقى دروس للثانوي والعالي.فهي رباط ضاق نطاقه،فاقتصر على جهود التربية الدينية،ونشر العلم،والإحسان للفقراء،وإيواء اليتامى.وتكون الزاوية غالبا في طرف المدينة،أو في قرى بعيدة عنها.وقد سميت زاوية لانزوائها عن المدن،أو لأنها في زاوية من المدينة بركن منزو بها.

- دبوز، محمد علي: **نهضة الجزائر وثورتها المباركة**ج1، ط1؛(د.م):المطبعة التعاونية،1385هـ ـ1965م،ج1 ص43،42.و- سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ج4،ص28،25.

[2] ـ باعزيز:"الزوايا بالزواوة" **الشهاب** ج1،م9 ص14 .

* يصف دبوز النوع الثاني بقوله: حفظ الله في الأزمنة الأخيرة زوايا كثيرة من الفساد، وتسلط الاستعمار، وهي تلك الممتنعة بالجبال والصحارى، لم يعبأ بها في أول عهده بالجزائر، فأفادت فائدة كثيرة، بنشر العلم والدين، وكانت من أوتاد العربية والإسلام، فاستعصت على الاستعمار، ونبغ فيها علماء صالحون حموا الدين واللغة، فكانوا جند النهضة المخلصين.

ـ دبوز، محمد علي، المصدر السابق،ص50،49 .

3 ـ باعزيز: " الزوايا بالزواوة "، **الشهاب**، ج11،م7،ص679،678.

ومع هذا يرى أن طريقة التعليم فيها عقيمة، إذ تتبع الأسلوب القديم القائم على حفظ القرآن، وشتى الفنون ثم دراسة الفقه، وعلوم اللغة على طريقة التسليم بكل شيء، أي ما لا ينبغي التسليم به لمصادمته للعلم الصحيح. كما يكلف المتعلم بأعمال كثيرة يباشرها داخل الزاوية وخارجها، فتعوقه كثيرا من الوصول إلى التعلم في المدة اللازمة، فلم تتحدد بها –إذن– مدة التكوين اللازم للطالب([1])، وربما ينطبق كلامه هذا على أفضل الزوايا كالتي انتسب إليها، لأن غيرها أسوأ حالا مما ذكر*، لهذا دعا لإصلاح التعليم فيها باعتباره أعلى وظائفها وأخصها، بإرسال البعثات العلمية على نفقة الزوايا إلى مناهل العلم كالزيتونة أو قسنطينة حيث يسمع الطالب –على الأقل– بفكرة الإصلاح، ويجد نظاما أرقى من نظام الزاوية، فيرجعون وهم عارفون بالإصلاح، وهل يُوجدُ الإصلاح إلا العارف به؟ والأجدى –أيضا– إزالة صفة الزاوية عن دُور العلم معاهد الزواوة، واستبداله بما يناسب العلم ومحاله، و في لغة القرآن ما نريد من أسماء تطابق المسميات([2])، فإصلاحها –إذا– بقصد تأدية دورها العلمي والإصلاحي، فلا تبقى أمكنة لصب المعلومات في أذهان طلابها، بل معاهد علمية تشع منها مبادئ الإصلاح، وترقى –أيضا– إلى مصاف المعاهد العلمية، فلا تبقى تحت صفة الزاوية التي أصبح اسمها دالا على أنشطة معزولة عن حركية المجتمع المتطلع للنهضة.

---

1 ــ باعزيز: " الزوايا بالزواوة"، **الشهاب**،ج2،م9،ص76،75.

*يقول الشيخ أبو يعلى الزواوي واصفا حال الزوايا في زواوة:"وبعض الزوايا اتسع حالها، وكثر طلبتها...فيبلغ عدد الطلبة في إحداها مائة وزيادة،وليس لهم سوى معلم قرآن،يقتصرون على حفظه،ويتنافسون في تجويده،وإتقان رسمه، ولا يزيدون على ذلك سوى دروسا نحوية في بعض الزوايا، فالفقه منعوه بدعوى أنه يعوق عن حفظ القرآن،وهو غاية القرآن ونتيجته.والحال أن من الطلبة من يبلغ الثلاثين أو الأربعين سنة من العمر وهو لا يحسن فرائض الوضوء والصلاة،فينقطع حينئذ في زاوية ليؤذن ويصلي بالناس وهو جهول. مثلهم، ويكتب التمائم للمرضى، ويقرأ على الموتى، أو يتكهن ويفتات على الله، ويفتري.

ــ الزواوي أبو يعلى:" كتاب مفتوح إلى الزواوة أصحاب الزوايا" **البصائر**15، 1355/01/25هـ-1936/04/17م؛ ص7 .

2 ــ باعزيز: "الزوايا بالزواوة"، **الشهاب** ج2،م9،ص78،77.

المطلب الخامس: التعليم الريفي:

في إطار رؤية إعمارية ناضجة تقرب القرية من المدينة، لمعالجة ظاهرة النزوح الريفي، اقترح باعزيز حلولا ناجعة في مجال التعليم الريفي، بوصفه أحد الأسباب المساعدة على الاستقرار بالريف، وتطويره وتحضيره، باعتبار معالجة القرية، وربطها بالتحضر تحاشي لمشكلات كثيرة([1])، فرغم وحدة هذا التعليم، وهو تكوين المواطن الصالح، وجب توجيهه بما يتفق مع مصالح البلاد، مثل ما عليه الأمر في الدول المتطورة بفضل تطوير التعليم، وتوجيه المتعلمين . فنطبق من مناهج التعليم المدرسية لأبناء القرى، الأهداف التعليمية والتربوية الآتية:

-1- إقناع التلاميذ وذويهم بقيمة ثرواتهم الزراعية، والحيوانية التي ينبغي استغلالها علميا بما يفيد القرية والمدينة معا.

-2- تكوين الأجيال الجديدة من أبناء الريف على حسن استغلال الأرض، وتمكينه من وسائل ترغبه في البقاء مع ذويه فيها، وتعلمه الطرق الزراعية الحديثة التي تربطه بأرضه وتغنيه عن التطلع للحياة في المدينة.

-3- إقناع الآباء بأن التعليم الريفي لا يقل دخلا وثروة وفائدة عن التعليم المغاير في المدن.

وهي أهداف اعتنت بها الدول المتطورة لقدرتها على تخريج رجال عمليين من تلامذتها نهضوا بالريف، فازدهرت فيه الصناعات الزراعية، وتربية المواشي والدواجن والنحل، فعمت الفائدة البلاد والعباد([2])، وتتطابق هذه الرؤية مع ما أصبح يعرف اليوم "بالتنمية المستدامة" أهم خطة تراهن الدول عليها في النمو والتقدم، صحيح أن هذه الأفكار ليست من ابتكار باعزيز تماما، لكنه استفادها من ثقافته ومطالعاته ([3]) وأسبغ عليها من فكره ، فأصبحت جزءا منه.

---

1 ــ فكار، رشدي: في حوار(خميس البكري)، .ط1؛مصر:مكتبة وهبة،1407هـ1986م ص112.

2 ــ باعزيز: " دور التربية في التقريب بين القرية والمدينة" ، **لمحات**، ع:5، السنة الرابعة ، 1973. ص57.

3 ــ المصدر نفسه.

المطلب السادس اللغة العربية:

رافع باعزيز لصالح اللغة العربية، ليس فقط من جانب ما تعرضت له من اضطهاد استعماري وإنما أيضا في طريقة وأسلوب تدريسها بالمدارس والثانويات التي أسسها الاستعمار* وقرر تدريس العربية فيها ولكن بغير العربية، كما دفع شُبه القائلين بصعوبتها.

فيقرر أولا خصوصية اللغة في التعبير عن ثقافتها،" فلكل لغة خصائصها وتفكيرها المطبوع عليها، لا تقوى ثقافة أخرى على نقلها بحذافيرها ومميزاتها كلها إلى عقل مهما عظُم حظه من الثقافة الأولى التي صقلته وعملت على تكوينه وتوجيهه وجهة المنطق الصحيح"([1])، وعليه استنكر تدريس العربية بغيرها أي بلغة أخرى، ويعتبر أن "لو كان هذا صحيح لكانت تكفينا لغة واحدة لدرس كل ما في العالم من ثقافات كتبت بلغات مختلفة...ترمي لخدمة العقل...وتنشر شيئا واحدا يسمى العلم"([2])، مستدلا على أن العلم الذي لا يعرف الأوطان والألوان يفرض علينا ما يؤدى به من لغات هذه الأوطان، وتلك الألوان، وما يتصل بها من خصائص تعجز الترجمة عن تأديتها بأمانة([3])، فمقتضى فكرته أن العربية ليست مجرد لغة تُؤدى بها معاني الحياة، وإنما لغة ارتبطت بالدين الإسلامي أهم مقوم في حياة المسلم والمجتمع الإسلامي، فلا استنباط لأحكام شرعية بغيرها. كما أنه لا سبيل للغة عالمية واحدة تؤدى بها ثقافات العالم المختلفة مضمونا ولغة دالة عليها.

---

*هو التعليم (العربي الفرنسي)المزدوج،الموجه إلى الجزائريين،ومنه (الابتدائي):المدرسة الحضرية الفرنسية-المدرسة العربية الفرنسية-المدرسة الأهلية.ومنه التعليم المتوسط الثانوي،المدارس الرسمية الثلاث التي كانت بدايتها عربية،ثم أصبحت مزدوجة،وهي لتخريج القضاة،والمترجمين،والمدرسين.ومنه المدرسة السلطانية أو الكوليج الإمبريالي(الإمبراطوري) أسس للدراسة العالية المزدوجة والعالية بالجزائر.والهدف المشترك بينها جميعا هو خدمة المدرسة الاستعمارية بإبعاد الجزائريين عن أصولهم وتراثهم وصهرهم في بوتقة الفرنسية.

ـ سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، ص321-322

1- باعزيز : "اللغة العربية والدين بالجامعة الجزائرية". البصائر،4 .

2 ـ باعزيز:"اللغة العربية والدين بالجامعة الجزائرية" **البصائر** ،ع:4، 1366/10/13-1366/9/29/ص6 .

3- باعزيز:"صعوبة اللغة العربية" **البصائر**،ع:83، 1368/8/16هـ-1949/6/13م. ص2

وبسبيل رده عن المدّعين صعوبة العربية، يورد ما ذهبوا إليه من كونها عاجزة عن أن تسع الحضارة القائمة، مما يدعو الالتفات لغيرها[1]، وأسباب هذه الدعوى هي:-تسرب هذه الفكرة من المدارس الأجنبية التي اعتمدت أساليب عقيمة في تعليم العربية لأبنائها، ولمن رغب في تعلمها من أبناء الأوروبيين، هؤلاء الذين استخلصوا صعوبتها وراحوا يبوحون بذلك لزملائهم من أبنائنا-فقد الصلة بين العربية ولغات أبناء الاستعمار- الدعاية السيئة التي ينشرها في الشرق دعاة الاستعمار الفكري[2]، فهي صعوبة متوهمة ليست من خصائص العربية ذاتها -كما يرى- وإنما من أسباب خارجية عنها افتعلها خصومها وعملوا على بثها في أبنائها.

ثم يرد على هذه الدعوى بما يلي:

-اللغة ثروة في يد أصحابها إن شاءوا زادوا فيها، وإن شاءوا بقوا بها جامدة ضيقة لا تساير تقدم الحضارة -لا تكون اللغة صعبة على أبناء بيئتها إلا إذا تغيرت الأوضاع -الحرص والإرادة على تعلمها كفيلان بتحقيق المراد -ما حققه الأسبقون من تعلمها حجة على مدعي صعوبتها -السير في تعلم العربية على طريق تعلم الفرنسية[3]، لكنه لم يشر إلى الصعوبات التي تعيق العربية عن أداء دورها في المجال العلمي، وهي -بالطبع- ليست مسؤوليتها الذاتية بل مسؤولية أبنائها، كي ترقى في أدائها العلمي، وتعبر عن الحضارة ومنتجاتها، كما سلف في تجربتها الحضارية.

وعن دور المدرسة في رفع الفوارق بين العامية والفصحى، يذهب إلى أن المدرسة وحدها هي القادرة على ذلك، يرفع الأولى(العامية) إلى مقام الثانية(الفصحى)[4]، وقد أشار -فعلا- باحثون إلى ذلك"بتنقيح لغة التلاميذ العامية،

---

1 ــ باعزيز: " اللغة العربية والدين بالجامعة الجزائرية"، **البصائر**، 4.

2 ــ المصدر نفسه .

3 ــ المصدر نفسه، وانظر أيضا:

4 ــ باعزيز" سهولة العربية وصعوبتها"، **لمحات** ، اللجنة الوطنية الجزائرية لليونيسكو ع:2س،1968،ص19.

وتنقيتها من الشوائب، وتعديل صيغها، وتراكيبها اللفظية، وأساليبها على نحو مبسط ميسر لتتلاءم، وتنسجم مع الفصحى...كما يمكن التنبيه على الألفاظ الفصيحة المستخدمة في العامية، والألفاظ التي طرأ عليها بعض التحريف(1)، كل هذا يقرب ما بينهما من تباعد إلى أن يستقر المتعلم الناشئ على لغته العربية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1ـ المعتوق، أحمد محمد: **الحصيلة اللغوية** ، .ط1؛الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1417هـ 1996م، عالم المعرفة رقم(212). ص171 .

المبـــحث الثاني

التربيـــة والشباب

تدور آراء باعزيز بن عمر المتفرقة في قضايا التربية والشباب، حول المحاور الآتية:-1-تربية الأطفال-2-التربية الدينية-3-منقضاياالشباب-4-مسائل تربوية.

المطلب الأول : تربية الأطفال:

يُشخّص حالة الطفولة في ظل النظام الاستعماري محملا سياسته في إيجاد صنفين أو طبقتين من الطفولة، واحدة أعدت لها أسباب النعيم والنجاح والتفوق في الحياة(1)، وهم بالطبع أبناء المعمرين ومن سار في ركابهم. والأخرى شقية، جاهلة، فقيرة كبرت في مهد البؤس الذي سايرها في جميع مراحلها، حرمت من التعليم، فانصرفت إلى الشوارع تعُب من مناظر الرذيلة فيها، وتتربى في أحضانها فنشأت نشأة تشل الجسم والعقل معا، مما يعرض حياة الأمة لخطر كبير، فتنعدم منها-ومن الأسرة-وحدة التفكير، والنشاط في العمل، والأمل القوي المشترك في الحياة، وسبب كل هذا فقدان العناية بالأسرة، والنظم الاجتماعية التي تحترم خصائص الطفولة، وتعمل على حمايتها(2)، يفيدنا تشخيصه في اتباع سياسة تربوية قائمة على الازدواجية أو التربية العنصرية، التي تهيئ الأسباب المادية والمعنوية لنمو فئة قليلة محظوظة من الأطفال نموا مشبعا بالمحفزات، ومترفا بالوسائل، وباعثا على الأمل في الحياة، ثم حرمان من تبقى منهم محرومين من كل ذلك، ستفضي حتما هذه التربية للإخلال بأمن المجتمع.

وهذا الواقع التربوي ممتد للطفولة بالأرياف على نحو يقربهم من التوحش، لابتعادهم وحرمانهم من أسباب المدنية التي تُربي العقل، وتهذب الحس والذوق،

---

1 ــ باعزيز:" الطفولة البائسة"، البصائر، ع:58 . 1/27/هـ1368، 1948/11/29م.

2 ــ المصدر نفسه.

وتقوم السلوك، فينشأ الأطفال في الأرياف - حسب قوله - في أحضان الطبيعة فتصنع بهم ما تصنع بالحيوانات، إذ تغيب المدارس والملاجئ وكل ما من شأنه تربية الأطفال والعناية بصحتهم وتعليمهم، فينشون بعيدا عن كل ما يُعدهم لفهم نظم المجتمع الحديث، وسرّ ما يتناهى لسمعه مما يزعجه من أبواق المدنية الغربية، فلا يفقه شيئا من ذلك . ثم إذا رشد دُفع لواجبات كثيرة ، يفرض عليه القانون إتيانها، فان أهمله جنينا، فلم يُعد لأمه ما يخفف آلام وضعها، ويقيها الأخطار ، فإنه يسارع بتسجيله في دفتر المواليد بدقة، لينتظر منه جنديا قويا، إذا نُودي للحرب استُصرخ للدفاع عن الحرية التي لم تكتحل عيناه بها، وبعد حياة مظلمة ليس فيها ما يفتق الذهن، أو يصقل الذوق ويثير المواهب، ويوجه الميول([1])، فالاستعمار يعاملهم معاملته للأشياء التي إذا احتاج إليها استعملها، وإن كان في غنى عنها أهملها .

ونظرا لهذه الأوضاع البائسة، يوجه المجتمع والقائمين على أمر النهوض به إلى واجبهم نحو هذه الطفولة، فيقول : في غمرة الدعاية الاستعمارية المضللة وجب علينا كشف الحقائق، لاستنارة الشعب بواقعه، ويتولى معالجة مشكلاته، وبحث أسبابها بنفسه، فيهتدي إلى العناية بالطفولة في مراحلها الأولى ويدرك أنها مستقبل الأمة، وأساس إصلاح الأسرة والمجتمع، وأن نهضتنا ستبقى عرجاء متعثرة في سيرها ما لم تعالج سريعا حالة الطفولة البائسة([2]) .

نستخلص من هذا النص أمور هي:

- أن المجتمع إذا مر بمرحلة انفصال عن السلطة، فعاكست سياساتها إصلاح مجريات أوضاعه، عليه التكفل ما استطاع بهذا الإصلاح بجهوده الذاتية الشعبية، وهو ما يتسق مع المنهج الذي اتبعته جمعية العلماء.

---

1 ــ المصدر نفسه .

2 ــ المصدر نفسه .

- نجاح الدعوة (النهضة) رهين في جوانب كثيرة، بالاهتمام العملي بمعالجة هذه المشكلات الاجتماعية الخطيرة، التي تعيق سيرها قدما.

- يعد هذا التفكير نموذجا للفكر التربوي العملي في مجابهة المشكلات .

ويقف بنا- باعزيز بن عمر- عند لمحة تربوية مفيدة في علاقة الآباء بالأبناء، فيقول:"إن من آثار ضعف التربية الدينية في الآباء والأمهات، أن ينقادوا للأبناء في كل شيء تميل إليه نفوسهم الغضة، وتنزع إليه رؤوسهم، ويخضعوا لهذا التيار الذي أنشأ بين أيديهم مزيجا من الآراء، والأفكار والمظاهر"([1])، فبتأثير عاملي ضعف التربية الدينية فيهم، وانقيادهم دون وعي لأفكار تربوية غير ناضجة عجزوا عن إدراك مسئوليتهم عن أبنائهم، فادا بلغوا التمييز"وخطو نحو الشباب، والتكليف والمسؤولية، أخذ المربي بالنصح والتبصير بالعواقب، المسؤوليات وحسن التصرف، وضبط النفس، وحسن الأداء ، واحترام الحقوق، وتقديس الحرمات، والسعي في الأرض بالعدل والإصلاح"([2])، لا أن ينقادوا لرغائبهم غير المبصرة بما يصلح لهم.

وحول طريقة تربيتهم تربية دينية في المدرسة، يرى أن يؤخذ الأبناء بالتوجيه لتربية إسلامية، يروضون عليها بوسائل الترغيب والترهيب ، فترشح فيهم أخلاق الإسلام، ويؤدون بالمكتب(المدرسة) ما يدركهم من الصلوات الخمس جماعة، مع تفهمهم معناها وحكمتها، وإيقافهم على أنها شعار الإسلام بطريقة لا تنبو عن أفكارهم([3])، ثم يبين أثر هذا الأسلوب التربوي الحكيم على شخصية الناشئة من كل الجوانب: فمثل هذه التربية تُرقى قواهم العقلية، والطبيعية و الأدبية وتنشط شعورهم، وتنبه وجدانهم، وتُفقه عقولهم، وتربي ذوقهم، وتوجه إرادتهم، وتُمرنها

---

1 ــ المصدر نفسه.

2 ــ أبو سليمان، عبد الحميد: **أزمة العقل المسلم**، ط2؛عين مليلة ــ الجزائر:دار الهدى،1413هـ ــ 1992م. ص187.

3 ــ باعزيز: **سجل مؤتمر العلماء**، ص122،123.

على العمل، وتقويم الأخلاق[1]، فان لم يمتثلوا لذلك فخرجوا عن الآداب الخاصة والعامة للمدرسة، عوقبوا عقوبات رادعة[2] .

ورغم توازن نظرته التربوية بين الترغيب والترهيب، فانه لم يبين لنا طبيعة العقاب ولا حدوده، وإن كان يتفق مع نظرة المربين المسلمين كالغزالي وابن سينا وغيرهما، ممن أقروا العقوبة أسلوبا تربويا، لكن مع مراعاة شروط، ووفق تدرج فيها، وتنويع في الأساليب[3] .

المطلب الثاني: التربية الدينية: شخّص باعزيز أسباب ضعف التربية الدينية في المجتمع سواء في المدن أو في الأرياف، وحصرها بالنسبة للأرياف في الأمية والفقر والجهل بالدين، وجهل الأم والأب وظيفتيهما.

وبالنسبة للمدن فهي: جهل المرأة والرجل لواجبيهما نحو دينهما وأولادهما، وفقد المدارس الدينية، وتغلب الثقافة الاستعمارية وتأثيرها في الأسرة والمجتمع[4]، فباستثناء السبب الأخير فكلها مشتركة بين المدن والقرى، ثم بيّن ما تعود به التربية الدينية من خير ونفع على الأفراد والمجتمع على النحو التالي:

أ- النمو النفسي السليم وضمان السعادة؛ فبانطباع حياة الناشئة بطابع الدين في مراحل الحياة، تُقوّم أخلاقهم صغارا وتعدهم للأمور العظيمة كبارا. وهي التربية الأساسة التي إذا سار عليها الطفل في نموه، وانبنى عليها سلوكه الاجتماعي وقته من الحيرة والتشاؤم، وامتلأ قلبه يقينا، وتفاؤلا وهدته لطريق الطمأنينة والسكينة في شيخوخته، وهي بهذا موئلنا الأمين، ومعقلنا الحصين[5].

ب – التربية الدينية تبني مجتمعا منسجما ماديا ومعنويا: " والتربية الدينية – إذا

---

1 ــ المصدر نفسه .

2 ــ المصدر نفسه .

3 ــ حسن، زينب حسن: " رعاية الطفولة"، في: ــ الشريف، عون، الجنحاني، الحبيب(محرران).الفكر التربوي العربي الإسلامي: المبادئ والأصول.(د.ط):تونس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ المجع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ــ مكتب التربية العربي لدول الخليج،1987. ص1006،1004.

4 ــ باعزيز:"التربية الدينية وحظ شبابنا منها" البصائر،ع:12.

5 ــ المصدر نفسه .

ازدهرت كما يريد الإسلام- قادرة على بناء مجتمع راق منسجم في حياته المادية والمعنوية لأنه يبني سعادة المجتمع التامة بتهذيب الأطفال والأحداث وإعدادهم لخوض غمار الحياة على مقتضى ما تتطلبه هذه الواجبات وتلك التكاليف، وهي التي تكوّن في نفوسهم ذلك الوازع الديني الذي يحرس المجتمع من الشرور والآثام ، ويجعل روابط التعاون بين عناصره وطبقاته قائمة لا يعتريها وهن، نامية لا يلحقها نقص، لأنها تقوم على أساسين عظيمين: خوف الله والأخلاق، وهما مصدر التهذيب الإنساني ومناط سعادة الأفراد والجماعات والأمم"([1]) .

ج- قوام المدنية الصحيحة:" إن المدنية الصحيحة هي ما قامت على الدين الصحيح، وما سنه من التعاليم القويمة لإصلاح المجتمع وتوجيه الأسرة في طريق يضمن لها النجاح، ويكسبها ما تتغلب به على الأحداث الاجتماعية التي من شأنها أن تحدث تغييرا في مجرى الحياة العامة، إذ تأتي على بعض الأوضاع القائمة فتقلبها وبعض النظم الاجتماعية فتشذبها"([2]) .

د- ضبط جموح العلم: إذ لا بد أن يتلازم التعليم بالتربية الإسلامية الصحيحة، وإلا كان العلم في يد صاحبه كالسيف في يد المجنون، يضر به ولا ينفع، وكان وجوده وبالا على الأمة، فالمعلومات دون تربية لا تكفي ليكون الرجل عظيما في قومه نافعا لدينه وأمته([3])، فإضافة إلى ما يشير إليه النص من ضرورة انضباط العلم بالأخلاق، فإنه يثير مسألة(المثقف) و(المتعلم) ، وضرورة الجمع في شخصية واحدة بينهما، كي ينتفع المجتمع بالجانبين.

<u>المطلب الثالث: من قضايا الشباب :</u> أولاها باعزيز بن عمر بعض ما تستحق، فشخّص بعض مشكلاتهم، وعرض حلولها، معترفا بالصعوبة التي تعترض المصلحين، نتيجة لتغير العالم وسرعة تنقل الشر([4])، ويبدو هذا التغير – في رأيه – العامل الأكبر الذي أنتج مشكلات

---

1 ــ المصدر نفسه .

2 ــ المصدر نفسه .

3 ــ باعزيز : "<u>شبيبتنا والأفلت الاجتماعية</u>"، **البصائر**،ع:126، 25رمضان ، 1369هـ ــ 10/7/؟.

4 ــ باعزيز : "<u>طليع رمضان الاجتماعي</u>"، **البصائر**، ع:85، 1رمضان 1368 ــ 1949/7/4م.

الشباب وهي ضعف التربية الدينية[1]، غرور المعرفة الذي يتملك من تلقى شيئا من العلم الحديث في بيئة تغلب عليها الأمية والجهل[2]، الانجذاب للثقافة المادية اللادينية[3]، حتى ما كان من بعضهم عودة للثقافة الدينية وكانوا لا يقيمون لها وزنا، فبتأثير من الشباب الأوربي الذي رأوه يهتم بالبحث عن دينه، ويتطلع للتشبث بماضيه[4] – إطلاق العنان للعواطف[5] – تطور وسائل الاتصال وما صاحبها من سرعة نقل المفاسد والشرور، من مكان لآخر لسهولة مداخله إلى النفوس، وانجذاب الناس إليه عن طريق ما وضعت له المدنية الحديثة من أساليب مغرية[6] –مفارقة البيئة الأصلية؛ فالشخص إذا فارق مجتمعه انجذب بسهولة إلى منطقة الرذيلة فرتع ولعب في مهاويها وتأتّى له أن يحذق فنونها حذقا تاما في أمد قصير[7] – الحيرة في خضم اختلاف الاتجاهات[8] الفراغ والكسل؛ إذ يفتح عينيه على مظاهرهما ويصحبانه للمدرسة إن وجدها، ويراهما في المجتمع، فيدخل الحياة وهو يلبسه[9]– انعدام السلوك الحضاري المتأتي من التقليد الأعمى، فهولا يعرف كيف يغشى الملعب ولا المسرح، ودور السينما، والجلوس في الحديقة، والاستمتاع بجمالها، فهو يشارك الشباب الأوربي في هذا كله مشاركة صورية لكن النظرة مختلفة، فالأوربي ينظر لذلك نظرة متيقظة فلا تلتبس عليه الفضيلة بالرذيلة، والجزائري ينظر إليهما بعين واحدة[10] .

لكن إذا كان الشاب الجزائري يفتقد للأخلاق والذوق والسلوك الحضاري في المواطن المذكورة ، فان الشاب الأوروبي الذي يتقن فن السلوك الحضاري

---

1 ــ المصدر نفسه.

2 ــ المصدر نفسه .

3 ــ المصدر نفسه .

4 ــ باعزيز: " الاصلاح الإسلامي ونزعة التجديد"، **البصائر**، ع:76.

5 ــ باعزيز: " طابع رمضان الاجتماعي"، **البصائر**، ع: 85.

6 ــ باعزيز:" شيبيتنا والآفات الاجتماعية"، **البصائر**، ع:126.

7 ــ المصدر نفسه .

8 ــ المصدر نفسه.

9 ــ المصدر نفسه .

10 ــ المصدر نفسه .

في بعضها، فانه كثيرا ما يفتقد للأخلاق، فأغلب تلك الوسائل منبع الرذائل والانحرافات.

أما علاج تلك المشكلات فيراها في مضاعفة المربى المسلم لجهوده في إنماء عاطفة الدين في نفوس الشباب، والعمل في رفق زائد على التوفيق بين مطالب الروح والجسد، والدين، والعلم، فنقرب – بهذا – للشباب ثمرات الإسلام، فيقطفون منها، ويستنبطون أسراره، فيسهل عليهم ما كانوا يستوعرونه من صعوبة الجمع بين ما يدعو إليه من تزكية النفس، وطيبات الحياة، ومطالب العصر كما يكبح شهوات النفس وانطلاق العواطف[1] .

ولا أحسبه يقتصر على هذا الحل وحده ، فقد رأينا ما ذهب إليه في معالجة المشكلات الاجتماعية من تغيير المحيط والواقع، وتكوين البيئة الاجتماعية السليمة، والقضاء على أسباب تلك المشكلات كالبطالة والجهل والأمية . ودعوته إلى الإصلاح السياسي الذي يعتبره سابقا لكل إصلاح، وإنما اقتصر على هذا الحل في هذا المقام، لأنه جاء في سياق تربوي، كما أنه أقوى الحلول وأصلها.

المطلب الرابع: قضايا تربوية (عامة): انطلاقا من مسلّمة أن البيت هو المعمل الأول لتكوين الأسرة النموذجية الصالحة[2]، يرسم باعزيز صورة عن الأسرة الجزائرية من الناحية التربوية، فيقول: قد ترى أفراد الأسرة مجتمعين في ميدانها، ولكنهم مشتتين، تنطق مظاهرهم بأنهم أنصاف غربيين، وأنصاف أهليين، فالأب يتحدث عن الجيل الماضي المتمسك بالدين واحترام الصغار للكبار، والأم كذلك تحدث عما أدركته منهم، وما كانت عليه المرأة من حرص على التعلق بدينها والقيام بشعائره، أما الأولاد؛ فالشاب يتحدث عن الأفلام المعروضة بدور الملاهي، والألعاب الرياضية، والبنت تبدي إعجابها عن الأزياء الجديدة، وتفتن في وصفها لأمها، أما دين الأمة وتاريخها ولغتها، وحظ الناشئة

---

1 ــ باعزيز : " طابع رمضان الاجتنذماعي"، **البصائر**، ع:85.

2 ــ باعزيز : " شبيبتنا واستقبال رمضان "، البصائر، ع:191، 1371/9/2هـ/1952/26م.

منها، فلا يدخل في الحوار العائلي، لأنه حديث يخوض فيه المتأخرون، ومن لف لفهم من ذوي الفراغ([1]). تعكس هذه الصورة العائلية انقسام المجتمع واختلاف اهتماماته النابعة عن تباين مصادره الثقافية التي مارست فيها المصادر الخارجية (الغزو الثقافي) التبديل الثقافي في مستواه السلبي، فهدّمت البيئة الأخلاقية نتيجة للعوامل الآتية كما ورت في فكره:

- غزو البيئة الأجنبية بمغرياتها وآفاتها الاجتماعية- خلو البيت من التربية الدينية الصحيحة – جهل الآباء بالدين الصحيح، وعدم اهتمامهم بمستقبل أبنائهم الروحي – الزج بهم في مدارس أجنبية من غير تحصينهم بالتهذيب الديني والخلقي والتثقيف الإسلامي الذي يحول دون اندماجهم في البيئة الأجنبية القوية – خلو المدارس الأجنبية من التعليم الديني والثقافة الروحية الإسلامية([2])،فقد لاقت العوامل الخارجية فراغا داخليا وروحيا وثقافيا فتمكنت من النفوس والعقول وطبعت الخلق والسلوك بمميزاتها.

أما مجابهتها- كما يستفاد من كلام باعزيز- وإعادة بناء البيئة الأخلاقية ، فيجب اتباع الأساليب الآتية:

أ- **التحصين الثقافي:** للأبناء خاصة أولئك الذين يلتحقون بالمدارس الأجنبية، فتؤسس لهم قاعدة علمية وخلقية صحيحة ، بتعليمهم مبادئ دينهم، ويتشربون من معين الثقافة الإسلامية الصافي كي ينشئوا على الاعتزاز بدينهم وتراثهم الصالح وشخصيتهم الإسلامية، ويتحصنوا ضد الشبهات والزيغ الذي تحمله إليهم الثقافة الأجنبية([3]) .

---

1 ــ باعزيز:"التربية الدينية وحظ شبابنا منها" **البصائر**،ع12.

2 ــ باعزيز: " شبيبتنا واستقبال رمضان "، **البصائر**، ع:191.

3 ــ المصدر نفسه .

ب- **توحيد التعليم وتوحيد التربية في الأسرة:** فما يقع في المجتمع من اضطراب واختلاف الميول والآمال منشؤه اختلال التربية في الأسرة واختلاف مناهج التعليم، فوجب توحيد التربية في البيت والمدرسة، وتوحيد التعليم لتحقيق وحدة الثقافة الإسلامية([1]). فتتعاون هاتان المؤسستان الاجتماعيتان على التربية والتعليم على أسس تربوية متفق عليها، بواسطة التواصل، والحوار المستمر بين الآباء والمعلمين، شرط أن تكون الأطراف كلها على قدر من الوعي التربوي.

ج - **تعاون المدرسة ووسائل الإعلام والفنون في التربية:** فمن أعظم الإصلاحات السينمائية في الغرب-كما يقول- الاتجاه بأفلامها إلى أداء أدوار تربوية، تثقيفية، توجيهية، اجتماعية، فتتناول سائر جوانب الحياة المعاصرة، من صحة، وشؤون الأسرة، وتحضير البادية. لكن هذا النوع لن يثمر في غياب مدارس، فالتعاون بين المدرسة، وهذه الوسائل الحديثة في عالم التربية، يجب أن يتم على أكمل وجه لبلوغ الغايات السامية، في نشر التربية العامة([2])، ومنها التربية الأخلاقية، فتتعاون هذه المؤسسات (الأسرة، والمدرسة، والإعلام) في بناء البيئة الاجتماعية أخلاقيا، وثقافيا، معرفيا.

د-**تربية الفرد على الإحسان:** وهذا الدور منوط بالعلماء والدعاة، "إن إحسان الفرد هو الذي يتكون منه إحسان الجماعة، فلابد من تربية الأفراد على فعل الخير، وعاطفة البر والإحسان. والذين يتولون بث خلق الإحسان، في نفوس الأفراد، والجماعات، وغرس مبادئ الخير والرحمة في قلوبهم، هم العلماء الدينيون، فمن واجبهم أن يدعوا إليه في كل مناسبة، لأن المجتمع الإنساني عرضة دائما للأحداث، والخطوب التي تصيبه، أحيانا في الأنفس والأموال، ولا يخفف أثر هذه الأحداث وويلاتها إلا إعداد المجتمع لها عن طريق الدين والتربية الاجتماعية"([3])، فتفجير عواطف الخير في النفوس من أقوى عوامل النهضة والاستقامة الخلقية.

---

1 ــ باعزيز: **سجل مؤتمر جمعية العلماء**، ص122.

2 ــباعزيز: " أفلام التسلية وأفلام التربية"، **البصائر**، ع:279، 1373/11/16هـــ1954/7/16م

3 ــ باعزيز : " الاسلام في ديمقراطيته ونظمه الاجتماعية "، **البصائر**،ع: 84 .

ه-**التربية الجمالية:** فمن المبادئ الأساسة التي تقوم عليها الحضارة جعل الحياة جميلة محبوبة، ما وُجد إلى ذلك سبيلا، وتحقيق معناها حتى يتمكن الفرد أن ينعم بالمسرات، واللذات، ويتملى من جمال الحياة، فيفر من الظلام، والضيق، والآلام بحثا عن اللهو البريء، والسرور الطبيعي، إلى أن يقوى على تنمية ممتلكاته المادية، والمعنوية(1)، فالتنعّم بمظاهر الجمال الطبيعي، والتنفيس البريء عن مشاعر الضيق، مما يعدل المزاج، ويبعث على النشاط و العمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1. باعزيز : "هل تريد البلدية منع التسول "، **البصائر**، 88 .

المبـــــحث الثالـــث

فـــكر باعـــزيز الثـــقافي

إن فكر باعزيز في المجالات السابقة يمكن إدراجه تحت صفة (النضال الثقافي) الذي خاضه في مواجهة الاستعمار من ناحية، وللإصلاح الشامل من ناحية أخرى. وإلى جانب تلك القضايا الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والتربوية، فهناك مسائل ذات طابع ثقافي محض ورد بها فكره، نعرض لها بعد الاستقراء كما يلي:

المطلب الأول: التغريب : يُعد التغريب أحد تحديات الانحطاط المعاصر التي واجهها الإسلام*، ويسمى أيضا "العلمانية"و"الاستلاب"و"الاستئصال" كما وصف باسم حامليه وممثليه وهم "النخبة". وقد كانت هذه موضع نقد كبير، ومستمر من طرف الإصلاحيين بسبب مواقف ثقافية أو سياسية** .

ويكشف لنا باعزيز بن عمر كيف أدت سياسة الاستعمار لنشوء هذه النخبة، فيقول:" يبني الاستعمار سياسته على التفوق الجنسي، والامتياز العنصري الذي لا يؤمن بالديمقراطية والمبادئ الإنسانية، لهذا نراه يبني سياسته التعليمية في البلاد على التفريق بين أبناء الأمة الواحدة، فألحق عن طريق التبعية فريقا من أبناء الأهالي، وأذن لهم بالاجتياز للتعليم العالي، لينقطعوا بعدئذ عن جسم أمتهم، ويسهل تكوين فريق من أبنائها تكوينا أوروبيا خالصا راقيا مهذبا مثقفا، في نظرها يحسن كيف يسوق باقي الأمة، بما فيهم علماء ورجال الثقافة الإسلامية، فيجنون من ثمار العلوم والمعارف ما يغذي فيهم روح التفوق، ويُعدهم للسيادة والجبروت(1) .

---

* شفيق، منير: **الإسلام وتحديات الإسلام المعاصر** ؛ ط2؛مصر: الزهراء للإعلام العربي،1407هـ-1987م وهذه التحديات إلى جانب التغريب،هي: التجزئة التبعية-الصهيونية ولم يذكر الاستعمار لأنه أمّها طبعا.

-مثلا-رد ابن باديس على فرحات عباس: **آثار الإمام ج5 ص293-294 1

1 ــ باعزيز:"الطفولة البائسة" البصائر، ع:58 ،ص.03

وهكذا تصنع النخب الثقافية والسياسية، التي تمارس -بعد تمكنها من الحكم- الاستبداد بأشكاله المختلفة، خاصة في الموقف إزاء العودة للإسلام، ونظمه.

والاستعمار -في نظر باعزيز- مجبول على هذه النزعة مطبوعة بها ثقافته التي تقتطع من تغذوا عليها من جسم أمتهم، وتوجههم إلى غير وجهتها، وهذه بدعة ابتدعها الاستعمار الذي لا يرفع قوما إلا ليضع آخرين، فهو لا يسره أن تزول الفوارق بين الناس، بل يسيئه أن ترتفع الطبقات، وتنهض الشعوب، ويتطلع الناس إلى حياة أسمى، ومجد أعلى(1)، فيحقق بذلك نتيجتين هما: الأولى: السيادة حتى على المستوى الثقافي، على عقول الأمة بعد أن ساد في الأرض وسطا على المقدرات المادية. والثانية: الاستمرار في الوجود من خلال هذه النخب التي اقتطعها من جسم الأمة، إذ يوهمهم أنهم بما نالوه من ثقافة أصبحوا أعلى مقاما من أصحاب الثقافة الأصلية، وأوسع فهما للحياة المعاصرة، وأنهم النخبة التي تقود الذين يسيرون في الظلام، حتى إذا اقتنعوا بكل ذلك رأوا أن حضارة أوروبا هي التي ينبغي أن تقود(2)، فتنشأ فيهم عقدة التفوق التي تملي عليهم سلوك الاستبداد بالرأي والحكم.

وبعضهم يراوغ بإظهار انتسابه لشعبه وأمته، وأن ما يذهب إليه من التفرنج ليس سوى تمسكا بالحضارة والتطور، فيكشف حقيقتهم قائلا: "إن حقيقة هذه الطائفة هي أنها ليست شرقية ولا غربية، إذ لو كانت صحيحة الانتساب إلى الشرق لتعلقت بلغته وثقافته وبنت ما تأخذه عن الأجانب عليهما، فهضمت كل ذلك هضما لا يجعل للتغرب والتفرنج عليها سبيلا، ولم تكن غربية لأنها لم تتعلم عنه إلا ما تتطلبه قاعد(التواليت) التي تتفنن في إتقانها، وهذا لا يحقق الانتساب إلى الغرب وما أخذت من ثقافته، ولغته إلا مقدار ما ترد به التحية على الأسياد في المجالس الحكومية الاستعمارية(3)، والحقيقة أن الطائفة المعنية هنا ليست سوى ممن تعلقوا

---

1 ــ باعزيز : " هل انتم من القسم الأول "، **البصائر**، ع:73، 1368/6/28-1949/3/28م.

2 ــ المصدر نفسه .

3 ــ باعزيز: " اللغة العربية في مؤتمر أنصار السلم "، **البصائر**،ع: 80. 1368/7-/8/25هـ-1949/5/23م.

بالغرب وحضارته تعلقا شكليا ظاهريا، فقلدوه في المظاهر تقليدا أخرقا، فليسوا ممن تعمق في ثقافته، فبلغت من نفسه وفكره مبلغا كبيرا، حتى صار يتمثلها في كل شأنه، وهم الصنف الذي يمثل التغريب حق تمثيل.

ويبدوا أن باعزيز بن عمر يدرك الفرق بين الفئتين فيُسدي النصح لتلك الموهومة بالتحضر قائلا:"أن الاستعمار يقدم الجاهلين للثقافتين معا عمن اعتقدوا أنهم النخبة المفضلة لديه، لأن أولئك هم الذين يحققون آماله السياسية. فلم يجد لإزالة حيرته سوى إبعاد كل من فتح عينيه على بصيص من الثقافة. فالعودة إلى حمى الثقافة الأصلية أجدى على الذين أوهموهم، بالتفوق لثقافتهم المتغربة، إنهم أسمعوهم صوت الحرية في المدرسة صغارا، وحالوا بينهم وبينها كبارا، ولقنوهم معنى الديمقراطية، والمساواة، ثم فطموهم عن كل ما يتصل بهما في المجتمع، وأروهم خلاف ما درسوا[1]، وبأيديهم أن يحققوا هذه المثل والقيم بفضل ثقافتهم الأصيلة. كما أكدت الأحداث ذلك من خلال الدور الرئيسي الذي لعبته تلك الثقافة في تحرير البلاد والعباد من الاستعمار

المطلب الثاني: إصلاح خطبة الجمعة: تُعد خطبة الجمعة إحدى أهم وسائل الإصلاح والتغيير الإسلامي، وقد أدى انحطاطها إلى القعود بالمسجد عن أداء دوره الديني، والثقافي، وتجلى هذا الانحطاط-حسب باعزيز- في مشايعتها ما ساد حياة المسلمين من شلل وحدتهم، وانقضاض العدو عليهم، وسلبهم حريتهم، وقعدت بهم عن مجاراة الأمم الحية، وعاكست ما شرعت له من تبصير المسلمين بأحوال دينهم ودنياهم وواجبهم نحوهما، وبانطماس هذا المعنى، خلفه ما راق الأعداء من ذاك التزهيد الشنيع في الدنيا، وطيباتها، سوقهم إلى الرغبة فيما عند الله عن طريق الفقر، والضعف، والمسكنة[2]، وهو خطاب مجافي لروح الإسلام، فقد اعتبر ابن باديس طلب الآخرة وحدها مذموم في الإسلام[3]، فعجزت الخطبة الحاملة لمثل

1ـ باعزيز: " هل أنتم من القسم الأول ؟"، **البصائر**، ع:73.

2 ـباعزيز: "خطبة الجمعة " ، **البصائر**،ع:12، 1366/12/12-1947/10/27.

3 ـ **آثار الإمام ابن باديس** ج5، ص116.

هذا الخطاب عن تنبيه المسلمين إلى عظمة الإسلام، والخطر الذي داهمهم فمزقهم، وجعلهم لقمة سائغة لغيرهم، بل حسّنت لهم أحوالهم الجامدة، فولج الناس أبواب الحياة، وتأخروا هم عنها هائبين(1)، ففقدت-إذن- قدرتها على التوجيه، وتصحيح المفاهيم، ورفع المعنويات، وبعث الهمة العالية في النفوس، ووصل القلوب بربها فضلا عما يشحذها ضد الظلم، والاستعباد، ومقاومة المستعمرين.

وبدلا من أن تكون دافعا للإبداع والإنجاز الحضاري في عالم الشهادة، لعبت دور الكف عن ذلك. ولهذا فالحاجة إلى إصلاحها-في رأيه- ماسة، إصلاحا عاجلا يعيد لها مكانتها في القديم، ويكيفها تكييفا يساير ما جد في الأمة من آمال، يقوّم ما يظهر في حياتها العامة من اتجاه جديد(2) .

وبالطبع فإن هذا الإصلاح لا يتحقق إلا بإصلاح القائم عليها وهو الإمام الخطيب، فينبغي تكوينه التكوين الجيد، في المعارف الشرعية، وتثقيفه ثقافة عصرية مناسبة، تؤهلانه للإصلاح الديني، وتعديل الاتجاهات، ومواجهة الانحرافات. إلى جانب تدريبه على الخطابة التي هي فن أدبي قائم بذاته، مثلما كانت تفعل جمعية العلماء في مدارسها.

---

1 ــ باعزيز : " خطبة الجمعة "، مصدر سابق .

2- المصدر نفسه .

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ذكرنا في بداية هذا البحث تحول الجزائريين في مطلع القرن الجديد إلى ما وصفناه بطوالع كفاح جديد، اتخذ صورة سياسية، والتعبير الثقافي عن التطلع إلى النهضة . التي تجلى فيها الفكر باستهداف أمرين هما : مقاومة الاستعمار ثقافيا، وتطور المجتمع، ونهوضه .

وفكر باعزيز ــ باعتباره عينة من الفكر الإصلاحي الجزائري ــ يصب في الهدفين معا . فلا تكاد تعثر على جزئية تقبل الاستثناء منهما . وبالتالي نموذجا للفكر المقاوم الذي ساد البلاد المستعمرة أنذاك، يبتغي التحرر الثقافي بوصفه مقدمة للتحرر السياسي من ربقة الاحتلال الأجنبي .

ولزم عن ذلك أن يتعرف باعزيز على مجتمعه كي يتأتى له مقاربة معظلاته، بأنوار الفكر تشخيصا ومعالجة . وقد أداه التعرف إلى الوقوف على حجم المأساة التي أوقع فيها الاستعمار شعبه وبلده . فأخذ يعرضها ــ عبر كتاباته ــ مفرقة مصوبا العلاج الذي قدّره مناسبا لكل جزئية أو مشكلة على حدا. فاتجه بفكره وجهة الإصلاح الثقافي أو الوعي الحضاري، والإعداد الفكري الذي لابد منه، لكل حركة تاريخية حضارية، لم تتخذ لها مكانا في مجال حركة التاريخ ([1]).

ورغم أن باعزيز لم يقدم ــ غالبا ــ دروسا مباشرة في هذا الوعي، ولا صاغ مذهبا فلسفيا ــ كما رأينا ــ في التغيير، فإن كشفه لزيف الاستعمار، ودعايته، هي المقاومة الثقافية لتشخيصات المشروع الاستعماري على أرض الواقع ، وهذه المقاومة ــ كما خاضها باعزيز ــ تصب في التوعية الحضارية من جنس ما أدته حركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

وقد تأطر فكره بالثقافة الإسلامية، فكانت رافده المباشر أو غير المباشر، فأتى صورة حسنة عن وصل العقل بأصول الدين، وهو " أن يكون

1ــ مؤنس : مصدر سابق ، ص115 .

كل ما يصدر عن العقل من رؤى وأفكار ذات طبيعة نظرية، أو ذات بعد عملي، موافقا للأصول الدينية "[1]. فاتسم طرحه بالصفة الإسلامية، مما يسهل على الباحث رده إلى تلك الأصول .

وفكره ناقد، لإدراكه أن جوهر التغيير الاجتماعي والإصلاحي يقوم على النقد [2]. وتفاوتت مستوياته، فإن اتجه به إلى الاستعمار وصنائعه كالطرقيين، أومشاريعه علت حدته، لكن لا نجده على المستوى نفسه فيما يطول الأوضاع العقلية والنفسية، وأحيانا الأخلاقية للمجتمع . وتفسير ذلك — في تقديرنا — أنه كان يعطي المسبب الأكبر والرئيس (الاستعمار) للمشكلات ما يستحقه من شجب وإدانة، أما نتائجه فهي وإن كانت خليقة بالنقد إلا أنها لا ترقى في عرفه إلى مصدرها .

ونعتقد أن هذا الأسلوب في الإصلاح بالنقد قليل الجدوى في التغيير؛ لأن ما بالنفوس من معوقات النهوض أحرى بالتتبع دراسة وتحليلا ونقدا، كي يتأهل للتخلص منها والاتجاه نحو إزالة العوائق المادية . وعليه فإن الشحن الثقافي للنفوس الذي مارسته كتابات باعزيز قد يكون أفلح في مقاومة الاستعمار ثقافيا، لكن لا أراه كذلك في بناء إنسان التغيير والبناء الحضاري .

حاول باعزيز الاستفادة من علم الاجتماع في فهم قضايا اجتماعية، أو الاحتجاج ببعض نظرياته، و توجيه المسائل التي يناقشها بما يتناسب مع قناعاته . فكأنه أدرك دور هذا العلم من خلال نتائجه وقوانينه[3] في فهم المجتمع، والسعي إلى تغييره . لكن دون أن يتحول عنده ذلك إلى تخصص أو الرغبة فيه .

1ـ النجار : مصدر سابق ص110 ، 111.

2 ـ الطالبي ، عمار ، مصدر سابق ص71

3ـ المبارك ، محمد : **المجتمع الإسلامي المعاصر**، .ط5؛ بيروت، دار الفكر،1400هـ ـ1980م. ص45

فالمسألة الاجتماعية كانت تلح على ذهنه، فيقتبس منه ما يفي بغرضه الإصلاحي .

التطلع للاستفادة من الحضارة الغربية في نظمها وصنائعها، وجوانب من مظاهرها السلوكية، حاضرة في طرح باعزيز الفكري، فكثيرا ما يعود بما يطرحه إلى حاجتنا للإقتداء والاعتبار بإنجازاتها. دون أن يبين كيفية هذه الاستفادة ولا فلسفتها، اللهم إلا شرط عدم تعارضها مع الإسلام . فتبقى موقفا عاما يفتقر إلى إرشادات تطبيقه .

غلب على خطابه ــ كما قلنا ــ النزعة الاحتجاجية ــ خاصة ضد الاستعمار ، والطرقيين فاستهلكت كثيرا من قواه الفكرية والعاطفية، التي كان من الأجدى صرفها إلى الإجابة المفصلة عن سؤالي، كيف؟ وبما ننهض؟ مما لا نظفر به في فكره، الذي وإن استشرف به النهضة، إلا انه لم يجاوز حدود الإرشاد إلى إصلاح هنا أو هناك، إذ النهضة مشروع فكري، وفلسفي، يرشد إلى كيفيات ووسائل الإنجاز .

الوحدة الإسلامية التي ترجم عنها شعار " الجامعة الإسلامية " راج رواجا واسعا في العالم الإسلامي، لكن لم يتجاوز حدود الشعار لترسم له الحركة الإصلاحية، برنامجا يتوفر على الحد الأدنى من التأصيل العلمي لمقومات الوحدة الإسلامية، ومزاياها، وعناصر قوتها، ثم رسم تصورات الإجرائية لتحقيقها على الأقل بما هو متاح من امكانات تلك الفترة (1) . وما اختلف في المسألة عن هذا في شيء، بلا كانت ترد عنده أحيانا في شكل خيال مجنح، وعاطفة جياشة، مطبوعة بالمبالغة، والتفاؤل المفرط، كما هو الشأن في قضية استقلال أندونيسيا، أو قضية فلسطين .

1ــ النجار : المصدر السابق، ص166، 167 .

لاشك أن نقطة الضعف الشديد في فكر باعزيز أنه ورد سائبا من غير مذهب ينتظمه، ولو لا المرجعية الإسلامية لبدا مجرد أفكار وانطباعات ورؤى، لا أصل لها . وقد يبدو السبب في ذلك كون أفكاره وردت في مقالات صحفية، وهو سبب واه لا يقوى على التبرير؛فغيره حمّل مقالاته الصحفية فلسفته ومذهبه التغييري* .

وباعزيز نتاج للحركة الإصلاحية التي عجزت عن الرقي بمشروعها الإصلاحي إلى مشروع فلسفي علمي للتقدم، فهي كما قال مالك بن نبي : "خلقت اتجاها معينا يهدف إلى التقدم، لكنها ظلت عقيما؛ لأنها لم تكن منظمة في نطاق فقه محدد لمعنى الفاعلية . فكانت النهضة، ولكن دون توجيه منهجي، فتحررت قوى كانت من قبل جامدة، بيد أنها لم تتخذ مجالا، أو تتسلم دورا "(1) وآية ذلك أنك إن طلبت في فكر الحركة الإصلاحية عندنا مذهبا سياسيا، أو اقتصاديا، أو اجتماعيا، بالمعنى العلمي أو الفلسفي، لم تُعد بغير أصول ومبادئ، أو آراء متفرقات تفتقر إلى التفصيل المنهجي، فضلا عن الوسائل، وإرشادات تطبيقها . ومشروع النهوض الحقيقي الذي ولو كانت تملكه لخاضت به إثر الاستقلال ساحة التدافع الفكري والسياسي .

ومع هذا فقد برهن باعزيز بن عمر عن كون حركته الإصلاحية (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، لم تكن منحازة إلى الإصلاح الديني المرتبط بالبعد الأخروي فحسب، بل هي حركة دنيوية ــ أيضا ــ يناضل زعماؤها، وكتابها، من اجل الاستقامة العقائدية، والخلقية، نضالها في سبيل العدالة الاجتماعية، والإصلاح السياسي، والاقتصادي، والعلمي .

---

* مالك بن نبي النموذج اللامع على ذلك حمل مقالاته الصحفية فلسفته ، ومذهبه التغييري .

1ــ بن نبي، مالك : **وجهة العالم الإسلامي** ، ص 84 ، 85 .

ولا نرى لباعزيز خصوصية فكرية تميز بها من بين مفكري وكتاب الإصلاح، غير استغراق القضايا الاجتماعية إنتاجه . و لا نجد له ــ بمقاييس فترته ــ إبداعا فكريا حقيقيا فيما طرقه من مسائل، عدا المستوى اللغوي دون تفرد فيه، فلا يصح عدّه من أصحاب "الأساليب ".

ونرى حاجة الإصلاح الإسلامي اليوم إلى التخلي بصفة مطلقة عن نقيصة الخطاب الاحتجاجي، حتى ليمكن عده خطابا غير شرعي، دالّ عن العجز والزمانة . وعليه فكل فكر اليوم يتصدى للإصلاح والتغيير إما أن يلتزم إلتزاما صارما بالعلمية، والبناء، والإبداع، و إلا سقطت عنه أي صفة للإلزام الشرعي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا : الكتب العربية

ـ ابن باديس، عبد الحميد. تفسير ابن باديس، ط 3؛(د.م):دار الفكر، 1399هـ ـ1979م.

ـ ـــــــــــــــ .آثار ابن باديس. ط1؛الجزائر:وزارة الشؤون الدينية،1406هـ ـ1985م،ج4.

ـ ـــــــــــــــ .آثار ابن باديس.ط1؛الجزائر: وزارة الشؤون الدينية،1412هـ1991م،ج5.

ـ ـــــــــــــــ.آثار ابن باديس.ط1؛الجزائر: وزارة الشؤون الدينية،1415هـ1994م،ج6.

ـ أبوسليمان ، عبد الحميد أحمد.أزمة العقل المسلم.ط2؛عين مليلة ـ الجزائر:دار الهدى،1413هـ 1992م.

ـ أبو الفضل منى(محررة).المرأة العربية والمجتمع في قرن: تحليل وبيبلوغرافيا للخطاب العربي حول المرأة في القرن العشرين.ط1؛ بيروت ـ لبنان،دمشق ـ سورية : دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 1423هـ 2002م.

ـ آجيرون، شارل روبير.تاريخ الجزائر المعاصرة.ط2؛ترجمة عيسى عصفور.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،1982.

ـ بن عمر،باعزيز.الجزائر الثائرة(مسرحية تاريخية).ط1؛ الجزائر:الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب،2003.

ـ بن نبي،مالك.مذكرات شاهد القرن.ط2؛الجزائر ـ دمشق،سورية:دار الفكر،1404هـ1984م.

ـ ـــــــ.مذكرات شاهد القرن:الطالب.(د.ط)؛د.م(:دار الفكر،)د.ت.

ـ ـــــــــ.وجهة العالم الإسلامي.ط1؛بيروت ـ لبنان،دمشق ـ سورية:دار الفكر المعاصر،دار الفكر، 1420هـ2000م.

ـ ـــــــــ.في مهب المعركة.ط1؛بيروت ـ لبنان،دمشق ـ سورية : دار الفكر المعاصر،دار الفكر، 1420هـ2000م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـ ـــــــــــ.المسلم في عالم الاقتصاد.ط3؛ بيروت ـ لبنان،دمشق ـ سورية : دار الفكر المعاصر،دار الفكر، 1420هـ2000م.

ـ ـــــــــــ.القضايا الكبرى.ط1؛ ؛ بيروت ـ لبنان،دمشق ـ سورية : دار الفكر المعاصر،دار الفكر، 1420هـ2000م.

ـ بوحوش،عمار.التاريخ السياسي للجزائرمن البداية إلى غاية1962.ط1؛بيروت، لبنان:دار الغرب الإسلامي،1997.

ـ ـــــــــــ العمال الجزائريون بفرنسا.ط2خ الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1979.

ـ ـــــــــــ بن آشنهو، عبد اللطيف.تكوين التخلف في الجزائر.(د.ط)؛ترجمة نخبة من الأساتذة،الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1979.

ـ بوالصفصاف ،عبد الكريم.جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931ـــ1945.(د.ط)؛الجزائر: المتحف الوطني للمجاهد،1996.

ـ ـــــ بريان،أندري(وآخران).الجزائر بين الماضي والحاضر.(د.ط)؛ترجمة اسطنبوليراح،منصف عاشور،

ـــــــــ بلغيث،محمد المين.تاريخ الجزائر المعاصر.ط1؛الجزائرـلبنان:دار البلاغللنشروالتوزيع،دار ابنكثير،1422هـ ـ 2001م.

ـ الجابري،محمد صالح.النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900ـ1962.(د.ط)؛ ليبيا،تونس ـ الجزائر: الدار العربية للكتاب ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1983.

ـ حماني،أحمد.الصراع بين السنة والبدعة.ط1؛قسنطينة ـ الجزائر:دار البعث،1405هـ ـ1984م،ج1.

ـ حسين ،محمد الخضر.الدعوة إلى الإصلاح.ط2؛(د.م):(د.ش)،1393هـ 1973م.

ـ خير الدين،محمد .مذكرات .(د.ط)؛الجزائر :المؤسسة الوطنية للكتاب،(د.ت).

ـــــ خدوسي، رابح.موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين.ط1؛الجزائر :دار الحضارة،2002.

ـ دبوز،محمد علي. نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة.ط1؛(د.م):المطبعة التعاونية،1385هـ ـ1965م،ج1.

ـ ـــــــــ. نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة.ط1؛الجزائر :المطبعة العربية،1391هـ 1971م،ج2.

ـ دوبو، رينيه.إنسانية الإنسان.ط2؛ترجمة نبيل صبحي الطويل، بيروت ـ لبنان:مؤسسة الرسالة،1404هـ 1984م.

ـ رابح ،تركي.التعليم القوميوالشخصية الجزائرية.ط2؛الجزائر :الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981.

ـ زوزو،عبد الجميد.نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر.(د.ط)؛الجزائر : المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،1984.

سعدالله، أبو القاسم.الحركة الوطنيةالجزائرية.ط4؛بيروت ـ لبنان:دار الغرب الإسلامي،1992،ج3،2.

ـ ـــــــــ.تاريخ الجزائر الثقافي.ط1؛بيروت ـ لبنان:دار الغرب الإسلامي، 1998،الأجزاء:3،4،5،6،7.

ـ ـــــــــ.أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر.ط2؛بيروت ـ لبنان:دار الغرب الإسلامي،1990،ج2.

ـ ـــــــــ.أفكار جامحة

ـ ـــــــــ.في الجدل الثقافي.(د.ط)؛سوسة ـ تونس:دار المعارفللطباعةوالنشر،1993.

ـ سعيد ، ادوارد.الثقافة والامبريالية.ط1؛ترجمةكمال ابو ديب،بيروت: دار الآداب،1997.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـــــــ السويدي، محمد .مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري.(د.ط)؛الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية،(د.ت).

ـ شريط عبدالله،الميلي، محمد.الجزائرفي مرآة التاريخ.ط1قسنطينة ـ الجزائر : مطبعة البعث،1965.

ـ شريط، عبد الله .المشكلة الأيديولوجية وقضايا التنمية.(د.ط)؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،1981.

ـ الشريف، عون، الجنحاني، الحبيب(محرران).الفكر التربوي العربي الإسلامي: المبادئ والأصول.(د.ط)؛المتونسك المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ المجع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج،1987.

ـــــــ الصديق،محمد الصالح.أعلام من المغرب العربي.(د.ط)؛الجزائر :موفم للنشر،2000،ج2.

ـ ـــــــــــــ الشيخ الرزقي الشرفاوي.ط1؛الجزائر :دار الأمة،1998.

ـــــــ صاري جيلالي،قداش، محفوظ.المقاومة السياسية1900ـ1954.(د.ط)؛ترجمة حراث عبد القادر الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،1987.

ـ الطالبي، عمار(إعداد وتصنيف). ابن باديس حياته وآثاره.ط1؛ لبنان: دار اليقظة العربية، 1388هـ 1968 م.

عشوي،مصطفى.المدرسة الجزائرية إلى أين؟.(د.ط)؛الجزائر :دار الأمة،(د.ت).

ـ عباس ،فرحات.حرب الجزائر وثورتها:ليل الاستعمار.(د.ط)؛ترجمة رحال أبو بكر،المحمدية:المغرب،مطبعة فضالة،(د.ت).

ـ العقاد، صلاح.الجزائر المعاصرة(د.ط)؛مصر: معهد الدراسات العربية العالية،1963.

ـ غيث،محمد عاطف.التغير الاجتماعي والتخطيط.(د.ط)؛إسكندرية ـ مصر:دار المعرفة الجامعية،1987.

ـ القرضاوي،يوسف.أمتنا بين قرنين.ط1؛القاهرة ـ مصر:دار الشروق، 1421هـ 2000م.

ـــــ ـــــــــــــــ.دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي.ط1؛القاهرة ـ بيروت:مؤسسة الرسالة،1422هـ 2002م.

ـ قطب سيد .العدالة الاجتماعية في الإسلام.ط7؛القاهرة ـ بيروت:دار الشروق،1401هـ 1981م.

ـ قنان،جمال.قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.(د.ط)؛الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد،1994.

ـــــ المدني، احمد توفيق.كتاب الجزائر.ط2؛البليدة:دار الكتاب، 1382هـ1963م.

ـ مطبقاني.مازن صلاح حامد.جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية.ط1؛دمشق ـ بيروت: دار القلم ،دارة العلوم،1408هـ 1988م.

ـ مؤنس، حسين. الحضارة.اط2؛الكويت:المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1409هـ1998م،عالم المعرفة رقم(1).

ـ مرشو ،غريغوارمنصور:مقدمات الاستتباع:الشرق موجود بغيره لا بذاته.ط1؛الولايات المتحدة الأمريكية:المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1416هـ 1996م.

ـ الميلي،مبارك بن محمد.رسالة الشرك ومظاهره. ط3؛قسنطينة ـ الجزائر: دار البعث،1403هـ 1982م.

ـ الميلي، محمد.ابن باديس وعروبة الجزائر.ط2؛الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1980.

مرتاض ، عبد الملك.فنون النثر الدبي في الجزائر1934ـــ1954.(د.ط)؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،1983.

ـ المحافظة، علي.التجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة1798 ـ 1914.ط3؛ بيروت:الأهلية للنشر والتوزيع،1980.
ـ المبارك، محمد.المجتمع الإسلامي المعاصر.ط5؛ بيروت، دار الفكر،1400هـ ـ1980م.
ـ منير، شفيق.الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر.ط2؛مصر: الزهراء للإعلام العربي،1407هـ1987م.
ـ المعتوق،احمد محمد.الحصيلة اللغوية.ط1؛الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1417هـ 1996م، عالم المعرفة رقم(212).
ـ مناصرية، يوسف . الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية .(د.ط)؛ الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988.
ـ المسيري عبد الوهاب(محرر).إشكالية التحيز.ط1؛الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1417هـ1996م،ج1، سلسلة المنهجية الإسلامية رقم (9).
ـ النجار ، عبد المجيد بن عمر.للشهود الحضاري للأمة الإسلامية: مشاريع الإشهاد الحضاري.ط1؛بيروت لبنان:دار الغرب الإسلامي،1999،ج3.
ـ ناصر، محمد.المقالة الصحفي الجزائرية:نشأتها تطورها ـ أعلامها 1902ـ1931.(د.ط)؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1398هـ 1978م،ج2.
ـ ـــــــــ. الصحف العربية في الجزائر1847ـ 1939.(د.ط)؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1980.
ـ نسيب، محمد.زوايا العلم والقرآن بالجزائر.(د.ط)؛ دمشق ـ الجزائر: دار الفكر،(د.ت).
ـ والتر، رودني.أوروبا والتخلف في أفريقيا.ط1؛ترجمة أحمد القصير،إبراهيم عثمان.الكويت:المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1988،عالم المعرفة، رقم(132).

ثانيا: الكتب باللغة الأجنبية:

-HELLAL,AMAR.le mouvement reformiste Algerien:les homme etl'histoire(1831- 1957);Alger:office des publications universtaires,2002. _

- Kaadech*/*/*/**/*/*/

–KHALDI,A.leproblèmealgériennes.(S.L.),éditions Algériennes en nahdha,1946.

ثالثا : مقالات:

ـ مقالات باعزيزبن عمر

أولا : مقالات الشهاب :

ـــــ "الزوايـــا بـــالزواوة ومـــاهي الأرقـــى منهـــا".ج11/م9، 1350/8/1هـ1931/11/1م.

ـ"الزوايا بالزواوة ". ج1- مجلد 9، 1351/9/1.هـ 1933/1/1م.

ـ "الزوايا بالزواوة". ج2-مجلد 9، 1351/10/1هـ 1933/2/1م.

ـ "الزوايا بالزواوة".ج3م1،1351/11/9هـ 1931/3/1م.

ـ "شعور طلبة الزوايا". بالزواوة.ج8/م1350/4/9.8هـ1931/8/1م.

ـ "الشباب العامل بباريس".ج9/م12، 1355/9/1هـ1936/12/1م.

ـــــ "الـــرأي العـــام وأثـــره فـــي المجتمـــع".ج1/م11، 1354/1/1هـ1935/4/5م.

ـ "إلى الأستاذ الشيخ محمد الرزقي".م9/ج11.

ـ "الاندفاع إلى الكتابة".ج3/م12. 1355/3/1هـ1936/7/1م.

ـــــ "نظـــرة مـــن وراء الطائفيـــة إلـــى الوطنيـــة".ج2/م7، 1349/9/1هـ1936/3/1م.

ـ "في الحياة الاجتماعية". 1355/1/1هـ1936/4/1م.

ـ" فلسفة الإمضاءات".ج4/م1355/4/12.1هـ1936/7/1م.

ـ "المثبطون للعزائم".ج11/م6، 1350/8/1هـ1930/12/1م.

ـ" كلمة مختصرة في المؤتمر الإسلامي الجزائري".ج5/م1،1355/4/12هـ1936/7/1م.

ـــــ" تـــأبين الأســـتاذ الســـيد محمـــد رشـــيد رضـــا". ج10/م11، 1354/9/1هـ1935/1/1م.

ـــــ" بعـــض آثـــار الجهـــل فـــي مجتمعنـــا".ج3/م11، 1354/3/1هـ1935/6/3م.

ـــــ "يـــوم الجمعيـــة الخيريـــة الإســـلامية بالعاصـــمة".ج2/م11، 1354/2/1هـ1935/5/5م.

ـــــ" بعـــض اثـــار الجهـــل فـــي مجتمعنـــا".ج3/م11، 1354/3/1هـ1935/6/3م.

ـــــ "يـــوم الجمعيـــة الخيريـــة الإســـلامية بالعاصـــمة".ج2/م11، 1354/2/1هـ1935/5/5م.

ـ" مجلة الإسلام ثم مجلة الإيمان ثم مـــاذا فلـــتكن مجلـــة الإحســـان"، ج4/م1، 1354/4/11هـ1935/7/3م.

ـ "مقامـــات الحريـــري وتنشـــئة الأدبـــاء والناشـــئين". ج11/م11، 1354/11/1هـ 1936/2/1م.

ـ "الأستاذ الإمام الشيخ محمـــد عبـــده بمناســـبة ذكـــراه". ج6/م11، 1354/6/1هـ1935/9/1م.

ـــــ "عظمـــة جبـــال زواوة وجمالهـــا الطبيعـــي". ج12/م11، 1354/12/1هـ1936/3/1م.

ـــــ "اشـــتغالنا بالشـــرق أنســـانا أنفســـنا".ج4/م1، 1354/5/14هـ1935/8/1م.

ـ "اشتغالنا بالغرب". ج8/م11، 1354/7/1هـ 1935/10/1م.

ـ العروبة.ج3/م12، 1355/2/1هـ 1936/5/1م.

ـ "مثال المرأة المسلمة المتعلمة".ج3/م12،

ـ "خطبة باعزيز".ج4م14، 1/5، 4/ 1357هـ 7، 1938/6م.

ثانيا : البصائر

ـ" قانون الكراء الجديد"، ع : 68، الســـنة الثانيـــة ربيـــع الثـــاني ـ 1368ت /2/4/ 1949م.

ـ "التأمين الاجتمـــاعي فـــي الجزائـــر ": 27 جمـــادى الثانيـــة 1368 ـ 1949/4/24م.

ـ موجة الغلاء وارتفاع الأسعار بـــالجزائر ـ ع: 62، 3ربيـــع الأول 1368 ـ 1948/1/3م.

ـ الضمان الإجتماعي فـــي الجزائـــر . 311، ســـنة 7، 3رجـــب 1374ـ 3/25/ 1955م.

5 ـ مشكلة البطالـــة فـــي الجزائـــر. ع: 277، 1/ذو القعـــدة /1373هـــ 1954/7/2م.

ـــــالأرقام الناطقـــة. 306، 25 جمـــادى الثانيـــة 1373هـــ 1955/2/18م.

ـ اليد العاملة مهددة بانتشار الماكينات والآلات .304، 11/جمـــادى الثانية 1374هـ 1955/2/4م.

ـ الضمان الاجتماعي في الجزائر.1،313/شعبان هـ1374/ 1955/4/8م.
ـ مقاومة آفة الكحول أو المشروبات الكحولية . 294 ، 30/ربيع الأول 1374 ـ 1954/11/2م.
ـ بين البادية و الحاضرة، ع 291ـ 2ربيع الأول هـ1370ـ 29 ـ 1954/10م.
ـ العمل و الاستهلاك هما أساس الانتاج .ع : 295، 17/ربيع الثاني /1374 هـ 1954/12/3م.
ـ تقدم المرأة . ع:299، 6جمادي الأولى ه1374ـ 1954/12/21م.
ـ في مجتمعنا الجديد .ع: 301، 20/جمادي الأولى 1374هـ 14 /1955/1م.
ـ آفة البطالة. 21/297/ربيع الثاني 1374 ـ 1954/12/17م.
ـ "الطفولة البائسة". ع: 58/1/27/1368ه، 1948/11/29م.
ـ" طابع رمضان الاجتماعي".ع: 58، 1رمضان 1368 ـ 1949/7/4م.
ـ" ليس في هذا من جديد" . ع:217، 28/جمادي الأولى /1372 ـ 1953/2/13م.
ـ "دفع شبهة في تعليل ظاهرة نمو النسل في الجزائر" .ع:251 ـ 1953/12/17-1373/4/12م.
ـ"مشكلة التسول في الجزائر" ع: 219-1372،136-2/72/ 1953م.
ـ"عمالنا بفرنسا" .ع: 258،1373/6/هـ1954/2/12م.
ـ "عمالنا بفرنسا". ع: 259-15،/17- 1373هـ1954/2/19م.
"مشكلة اللباس" .ع: 30،11/281/هـ373-30-1954/7م.
ـ "حول المعنى الاجتماعي لأعيادنا". 1//1374هـ1954/9/17م.
ـ "الاقتصاد الجزائري والإصدار".ع: 14،1368/5/71هـ 1949/3/14م.
ـ "الرقي الاجتماعي وحظنا منه".ع: 68، 1368،/4/23هـ 1949/2/21م.
ـ "الشتاء في الجزائر".ع: 66، 1368/4/9 هـ1949/2/7م.
ـ" الضمان حالة المرض ".ع: 312، 1374/8/8 هـ1955/4/1م.
ـ "دخول الكهرباء إلى القرية.ع: 2،1374/7/307هـ1955/2/25م.
ـ "تحديد النسل ليس حلا للمشكلة.ع:305، 1374/6/18هـ1955/2/11م.
ـ" يا ولد" .ع: 9،1374/7/308هـ1955/3/4م.

ـ "الإسلام في ديمقراطيته ونظمه الاجتماعية". ع:24،1368/8/84هـ 1949/6/20م.
ـ"البلدية الجزائرية تمنع التسول" 9،1368/8/82هـ1949/6/6م.
ـ "هل هذا بداية عهد جديد للغة العربية ؟" ع:59-؟
ـ "لا بمنجم ".ع:86 ، 1368/9/15هـ 1949/7/11م.
ـ "هل نحن في عصر التعاون الإنساني حقا ؟".ع: 221، س5 ، 1372/6/27 هـ 1953/9/13م.
ـ "عيد الميلاد" .ع:64، 1368/1/24هـ1949/1/24م.
40 ـ "لا استقرار تحت قبة العالم الحر" .ع: 262، 1373/7/6هـ 1954/3/12م.
ـ"مؤتمران يلتقي فيهما العالم الشرق والغرب.215ع ـ،1372/5/14ـ 1953/1/30م.
ـ "عام حافل بالأحداث والمآسي" .ع:253، 1954/5/3 هـ 1954/1/8م.
ـ "متى تحتفل الشعوب بدل الحكومات وحدها بيوم الأمم المتحدة".ع: 206 ، 1372/2/15هـ 1952/11/3م.
ـ" بلدان لا ناقة لنا فيها ولا جمل:ع 81 ، 1378/8/2 هـ 1949/5/30م.
ـ "شبهة تزول". ع:324، 1374/11/4هـ 1955/6/25م.
ـ "جبهة استعمارية في مجلس الأمم المتحدة ".ع:99، 1369/2/29 هـ1949/12/19م.
ـ"أثر المعاهدة المصرية الإنكليزية".ع:176-9،4/176/هـ1371 1952/1/7م.
ـ "دعوى الاتصال بالشعب".ع: 75، 1368ه/6/13هـ1949/4/11
ـ "من بلاد القبائل إلى التراب العسكري".ع:95، 1369/1/23ـ1949/11/14
ـ "جماعة المسلمين". ع:87، 1368/9/22هـ1949/7/18م.
ـ "على هامش الانتخابات الجزائرية ".ع: 252، 1373/7/26 هـ1954/1/1م.
ـ "ليس في الأمر من جديد".ع :210، 1374/7/23 ـ 1955/3/18
ـ "فصل الدين عن الحكومة". ع: 60 ، 2/18/ 1368هـ1948/12/20م.
ـ "في مجتمعنا الجديد".ع :315، 1374/8/29هـ1955/4/22م.
ـ "الذين يقولون ما لا يفعلون".ع : 225، 1372/7/26هـ

ـ "استقلال اندونيسيا.ع :107، 1369/6/24هـ 1950/2/13م.
ـ "هل أنتم من القسم الأول : 73- 1368/6/28-1949/3/28م.
ـ "موسم الانتخابات".ع :26،323/10/1374هـ1955/6/17م.
ـ "أثـر رمضـان فـي نهضـتنا الحديثـة".ع :125، 1369/9/18هـ1950/7/3م.
ـ "شبابنا واستقبال رمضان".ع : 2،191/9/1371هـ1952/26م.
ـ "الإسلام في ديمقراطيته ونظمه الاجتماعية". ع:24،84/8/1368هـ 1949/6/20م.
ـ "صعوبة اللغة العربية".ع : 16،83/8/1368هـ1949/6/13م.
ـ "اللغة العربيـة فـي مـؤتمر أنصـار السـلم ".ع:80، 25/8/- 1368/7هـ1949/5/23م.
ـ " التربيـة الدينيـة وحـظ شـبابنا منهـا ع: 72، 1368/5/12هـ1949/3/21
ـ "سير التعليم العام في الجزائر".ع: 6،237/11/1372هـ17/6/؟
ـ "اللغـة العربيـة بالمـدارس الثانويـة".ع : 28،60/11/13،1366/10/1947م
ـ "أفـلام التسـلية وأفـلام التربيـة".ع : 16،279/11/1373هـ1954/7/16م.
ـ خطبة جمعة : 12-12/12-1366/10/27-1947
ـ "ترجمة مقدمة الأستاذ الشيخ دراز لكتاب الظـاهرة القرآنيـة".ع : 7،4/11/1366هـ1947/9/19م.
ـ "الظـاهرة القرآنيـة لمالـك بـن نبـي". ع: 14،2/9/1366هـ1947/8/1م.
ـ "الـذكرى العاشـرة لإبـن بـاديس". ع: 29،116/6/1369هـ1950/4/17م.
ـ "ذكرى المولد النبوي الكـريم" .ع: 101 ، 1369/5/12هـ1950/1/2م.
ـ " من دروس الهجرة "ع: 3،14/1/1367هـ1947/11/17م.
ـ "مناقشة كتاب ابن نبي".ع:74 ،6/6/1368هـ1949/4/4م.
ـ "ذكرى ثامن ماي".ع : 79 ،11/7/1368هـ 1949/5/9م
ـ"هل تنال الجزائر شيئا من هذا".ع : 1،70/5/1368هـ1949/3/7
ـ "هل هذا بداية عهد جديـد للغـة العربيـة ؟".ع :59-5/2/1368-1948/12/6
ـ "مؤتمر أنصارالسلم والاستعمار".ع : 78-4/7/1368- 1949/5/2

ـ" اللغة العربية والدين بالجامعة الجزائرية".ع : 4-1366/10/13-1947/9/29

مجلة لمحات

ـ" سهولة العربية وصعوبتها".السنة الأولى، العددالثاني، 1968.ص ص15ـ 20.

ـ "دور التربية في التقريب بين القرية والمدينة". السنة الرابعة ، العدد الخامس، 1973.ص ص23 ـ 27.

ـ "حول قضية فلسطين ومؤتمر القمة الإسلامي". السنةالثالثة ، العدد الرابع، 1970.ص ص 20 ت 26.

ـ" ابن باديس المربي الكبير". .السنة الثانية، العدد1969،3.ص ص 11ـ 20.

مجلة العربي:(الكويتية)

ـ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي،العدد120، شعبان 1388هـنوفمبر1968م.

مقالات:

ـ بن قينة، عمر."ابن ضحية مؤامرة الصمت".*المنهل*،المجلد 59،السنة63،العدد540،المحرم1418هـ مايو1997م.ص.ص126ـ130.

ـ محمد، مراح ."نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات".*الكلمة،منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث،السنة 10،العدد 41، خريف 2003م ـ 1424هـ،ص ص30ـ49.*

رابعا: : وثائق:

ـ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :قانونها الأساسيومبادئها الإصلاحية.(د.ط)حالمطبعة الجزائرية الإسلامية،(د.ت).

ـ سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.(د.ط)؛ الجزائر:دار الكتب،1982.

خامسا: حوارات:

ـ الجيلالي، عبد الرحمن.حوار، بالعاصة في: /2004/5

ـ رمضان ، محمد الصالح. حوار ببيته بالجزائرالعاصمة، بتاريخ 2002/12/26.

ـ زكري إسماعيل(صهر باعزيز)، اتصالات هاتفية متتابعة.

ـ شيبان ، عبد الرحمن . حوار بمقر جمعية العلماء المسلمين بالجزائر العاصمة،بتاريخ2002/12/28.

ـ الصديق، محمد الصالح .حوار ببيته بالجزائر العاصمة بتاريخ 2002/12/18.

سادسا :رسائل جامعية

ـ عيساوي، أحمد: *الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي مصلحا*.أطروحة دكتوراه الدولة.غير منشورة،جامعة الجزائر،كلية أصول الدين ،1421هـ2000م/2001م.

ـ زرمان، محمد: الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الابراهيمي.أطروحة دكتوراه الدولة.غير منشورة .جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية معهد الدعوة وأصول الدين،1994ـ1995.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس
الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمـــــــة

الباب الأول : عصر باعزيز بن عمر وحياته 13

الفصل الأول : الأوضاع السياسية للجزائر في عصر باعزيز بن عمر 15

المبحث الأول : طوالع كفاح جديد وسياسة بلا أحزاب 15

المطلب الأول : طوالع كفاح جديد 17

المطلب الثاني: سياسة بلا أحزاب 22

أولا : النخبة 23

ثانيا : الأمير خالد 26

المبحث الثاني : الاتجاه التغريبي (اليساري و الليبرالي) 29

المطلب الأول :الاتجاه اليساري (الشيوعي) 29

المطلب الثاني : الاتجاه الليبرالي 33

المبحث الثالث : الاتجاهان الثوري والإسلامي الاستقلاليان 38

المطلب الأول : الاتجاه الثوري الاستقلالي 38

أولا : حزب نجم شمال إفريقيا 38

ثانيا : حزب نجم شمال إفريقيا المجيد 41

ثالثا : حزب الشعب الجزائري P.P.A 42

رابعا : حركة انتصار الحريات الديمقراطية M.T.L.D 43

المطلب الثاني : الاتجاه الإسلامي الاستقلالي 46

(جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني : الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية للجزائر 60

في عصر باعزيز بن عمر

المبحث الأول : أوضاع الجزائر الإقتصادية في عصر باعزيز بن عمر 61

المبحث الثاني : أوضاع الجزائر الاجتماعية في عصر باعزيز بن عمر 66

أولا : الهجرة إلى فرنسا 68

ثانيا : ظاهرة النمو الديموغرافي 70

ثالثا : قلة فرص العمل 72

الفصل الثالث : أوضاع الجزائر الثقافية و الدينية 75

في عصر باعزيز بن عمر

المبحث الأول : أوضاع الجزائر الثقافية 77

في عصر باعزيز بن عمر

المطلب الأول : التعليم 77

- التعليم المقاوم 82

المطلب الثاني : الصحافة العربية 84

المبحث الثاني : أوضاع الجزائر الدينية في عصر باعزيز بن عمر 88

المطلب الأول : هدم وتدجين 88

المطلب الثاني : الدجل الطرقي 91

الفصل الرابع :حياة باعزيز بن عمر 95

المبحث الأول : النشأة العائلية والعلمية 97

- **ميلاده** 97

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- تعليمه 98
- انتسابه للزاوية 99
- التحاقه بابن باديس للتتلمذ عليه 103
- توجهه للدراسة بالزيتونة 106
- مهامه ووضائفه 107
المبحث الثاني : أخلاقه وثقافته-آثاره 111
المطلب الأول : أخلاقه 111
المطلب الثاني : ثقافته 113
- ضغوط الإستعمار عليه والتربص به 117
- وفاته 118
الباب الثاني :فكر باعزيز بن عمر الإصلاحي 121
تمهيد : مفهوم الإصلاح وأسسه وشروطه عند باعزيز بن عمر 123
الفصل الأول : فكر باعزيز السياسي 134
المبحث الأول : إدانة الاستعمار من خلال سماته 135
- سمات الإستعمار 136
1- الإستعمار حالة حرب دائمة 136
2- الميز العنصري 136
3- الأنانية 138
4- المكر السياسي والمراوغة 139
5- القوة منطق العالم المعصر 141

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6- السياسة الإستعمارية تجمع بين المتناقضات و المتناطحات 141

7- تسخرير رجال الدين لخدمة سياساته 142

8- الإستعمار كارثة مدمرة 143

9- الأرستقراطية الاستعمارية (الرأسمالية) تحقد على الديمقراطية 145

10- الجبن 145

المبحث الثاني : الإصلاح السياسي 148

-1- ملامح من النظام السياسي الإسلامي 148

-2- دور العلماء في الحكم 150

-3- الإصلاح السياسي أساس كل إصلاح 152

-4- من عوامل النصر 153

(أ) الانتساب الحقيقي للإسلام 154

(ب) الاتحاد و الوحدة الإسلامية 154

(ج) الأخذ بالقوتين(المعنوية و المادية) 155

(د) المكر السياسي 156

(هـ) التخلص من الاستعمار الداخلي مقدمة للخلاص من الاستعمار الخارجي 157

(و) مطابقة الفعل للقول 158

-5- المنظمات السياسية الدولية، والحركات الشعبية العالمية 158

-6- اتصال النواب الحقيقي بالشعب 160

الفصل الثاني : فكر باعزيز الاقتصادي والاجتماعي 164

تمهيد 165

المبحث الأول : فكر باعزيز الاقتصادي 169

المطلب الأول : طبيعة الاستعمار 169

المطلب الثاني : من معايير النجاح الاقتصادي 171

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث : التصدير 173

المطلب الرابع : من آثار التحديث في ظل الاستعمار 175

المبحث الثاني : فكر باعزيز الاجتماعي 179

المطلب الأول : مفهوم الحياة الاجتماعية وإصلاحها 179

المطلب الثاني : البطالة –الهجرة- الضمان الاجتماعي 194

الفرع الأول : البطالة 194

الفرع الثاني : مشكلة العمال المهاجرين إلى فرنسا 195

الفرع الثالث : النزوح الريفي وآثاره 199

الفرع الرابع : الضمان والتأمين الإجتماعي والكراء 201

المطلب الثالث : المرأة ونمو النسل 204

الفرع الأول : المرأة 204

الفرع الثاني : نمو النسل 209

المطلب الرابع : التشرد والانحراف الاجتماعي 213

الفصل الثالث : فكر باعزيز التربوي والثقافي 225

المبحث الأول : التعليم واللغة 226

المطلب الأول : قضايا في التعليم 226

المطلب الثاني : تعليم الصغار 234

المطلب الثالث : تعليم المرأة 236

المطلب الرابع : تعليم الزوايا 237

المطلب الخامس : التعليم الريفي 240

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب السادس : اللغة العربية 241

المبحث الثاني : التربية والشباب 244

المطلب الأول : تربية الأطفال 244

المطلب الثاني : التربية الدينية 247

المطلب الثالث : من قضايا الشباب 248

المطلب الرابع : قضايا تربية عامة (عامة) 250

أ-- التحصين الثقافي 251

ب– توحيد التعليم وتوحيد التربية في الأسرة 252

ج – تعاون المدرسة ووسائل الإعلام والفنون في التربية 252

د--تربية الفرد على الإحسان 252

ه--التربية الجمالية 253

المبحث الثالث : فكره الثقافي 254

المطلب الأول: التغريب 254

المطلب الثاني: إصلاح خطبة الجمعة 256

خاتمـــــــــة . 258

المصادر 264

فهرس الموضوعات 278

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية